

يأجوج ومأجوج

دراسة مقارنة بين المسلمين وأهل الكتاب

د. أحمد حجازى السقا

مكتبة النافذة

يأجوج ومأجوج

دراسة مقارنة بين المسلمين وأهل الكتاب



تأليف

د. أحمد حجازي السقا



الناشر

مكتبة النافذة

يأجوج ومأجوج

د. أحمد حجازي السقا

الطبعة الثالثة: 2011

رقم الإيداع: 2005/9663

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر

مكتبة النافذة

1 ش المستشار حسن دياب (برج مكة 3) المنشية

(ميدان الساعة) _ إمتداد الثلاثيني

الطالبية _ فيصل _ الجيزة _ مصر

هاتف: 37241803 _ 39848568

محمول: 0123595973 فاكس: 37827787

Email:alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

من المشهور في الكتب الإسلامية التفسيرية:

١- أن يوم القيامة هو يوم الساعة في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾(١).

٢- وإن لهذه الساعة علامات منها ظهور المهدي إلى الله، ونزول المسيح عيسى من السماء...إلخ. وهذا المشهور باطل؛ وذلك لأن الساعة ليست هي يوم القيامة، وإنما هي ساعة المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين في أرض فلسطين. المعركة التي تعرف بمعركة اليرموك أو معركة هَرمَجَدّون. وقد قال المسيح عنها إنها تأتي بغتة.

ذلك قوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات ولا الابن إلا الأب".

وقوله: "فيصادفكم ذلك اليوم بغتة".

وبيان ذلك:

أن من أوصاف محمد ﷺ في التوراة، أن يشن حرباً ضد الذين يكفرون به من اليهود والأمم في حال مبعثه، ويفتح بلادهم، ويملك عليها، ويعلم الأمم الشريعة واليهود أيضاً ويلزمهم بها. ويطلق اليهود على هذه المعارك "يوم

(١) القمر: ١.

الرب"؛ لأن الحرب فيها من أجل التمكين لشريعة الله ﷻ، والمعركة الفاصلة بين النبي وأتباعه وبين اليهود لنــزع فلسطين، تكون في أرض "هرمجــدون" فــي سهل "أريحا".

وقد قال يوحنا عن هرمجدون ما نصه: "ثم سكب الملاك السادس جامــه على النهر الكبير الفرات؛ فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشــرق الشمس، ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبــي الكــذاب ثلاثــة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة؛ لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله، القادر على كــل شيء، ها أنا آتي كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشي عريانًا؛ فيروا عريته فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون"[2].

وقد عدد كتّاب أسفار الأنبياء أسماء القرى التي سيهلكها الله، أو ســيعذبها عذابًا أليمًا قبل نشوب معركة هرمجدون. وقد جاء عن هذا في القرآن الكــريم: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَــدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[3].

وقيامة القيامة: تحتمل معنيين:

المعنى الأول: هو قيامة بني إسماعيل بقيادة محمد ﷺ على بني إسرائيل؛ لنزع الملك منهم. وذلك كما تقول: قام بنو فلان على بني فلان، وقتلــوا مــنهم مقتلة عظيمة، وأخذوا منهم أرضهم. وعلى هذا الاحتمال تكون القيامة بمعنــى الحرب والقتال في الدنيا.

---

(2) رؤ: ١٦: ١٢- ١٦.

(3) الإسراء: ٥٨.

المعنى الأخر: هو يوم القيامة العامة من الأموات لله رب العالمين. وقوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[4]. يبين أن المراد هو المعنى الأول؛ لأن الكتاب هو التوراة. والنصوص على الإهلاك أو العذاب؛ موجودة فيه. في سفر إشعياء وغيره، ولأن الإهلاك أو العذاب قد حدث - أي منهما - في الفترة من نزول القرآن بهذه النبوءة إلى ما قبل معركة هرمجدون في زمن عمر بن الخطاب ﷺ. وهي نبوءة عن غيب، ووقع هذا الغيب كما قال.

والعلامة الوحيدة التي تعرّف اليهود بنبوة محمد ﷺ، هي أن يخبر بغيب، ويقع الغيب كما يقول.

وهذا هو النص الدال على ذلك من سفر التثنية: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع، قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا؛ لئلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وأن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه"[5].

وفي كتب التواريخ: أن فارس غلبت الروم، وأن الروم غلبت فارس، والحروب بلاء وعذاب، والحروب بينهما أضعفت قواهما، وسهلت على المسلمين فتح بلادهم في "يوم الرب العظيم".

([4]) الإسراء: ٥٨.

([5]) تث: ١٨: ١٥- ٢٢.

ومن الأمم المعينة للإهلاك أو للعذاب:

تجد الأمم هي:

بابل، أشّور، فلسطين، موآب، دمشق، وبني إسرائيل، كوش بلاد الحبشة، مصر، أشدود، أدوم، أورشليم، صور. وبعد ذكر هذه الممالك، تكلم عن دينونـــة الله لهذه الأمم، أي عقابهم في يوم الرب على يد النبي الأمي الآتـــي وأتباعـــه. فقال:

ففي سفر إشعياء: "هو ذا الرب يخلي الأرض، ويفرغها، ويقلب وجههـــا، ويبدد سكانها، وكما يكون الشعب هكذا الكاهن كما العبد، هكذا سيده كما الأمـــة، هكذا سيدتها كما الشاري، هكذا البائع كما المقرض، هكذا المقترض وكما الدائن، هكذا المديون تفرغ الأرض أفراغاً، وتنهب نهبًا؛ لأن الرب قد تكلم بهذا القول: ناحت ذبلت الأرض، حزنت ذبلت المسكونة، حـــزن مرتفعـــو شـــعب الأرض، والأرض تدنست تحت سكانها؛ لأنهم تعدوا الشرائع، غيروا الفريضـــة، نكثـــوا العهد الأبدي؛ لذلك لعنة أكلت الأرض، وعوقب الساكنون فيها؛ لـــذلك احتـــرق سكان الأرض وبقي أناس قلائل، ناح المسطار ذبلت الكرمة أن كل مســـروري القلوب بطل فرح الدفوف، انقطع ضجيج المبتهجـــين، بطـــل فـــرح العـــود، لا يشربون خمرًا بالغناء يكون المسكر مرا لشاربيه، دمرت قرية الخراب، أغلـــق كل بيت عن الدخول، صراخ على الخمر في الأزقة غرب كـــل فـــرح، انتفـــي سرور الأرض الباقي في المدينة خراب، وضرب الباب ردمًا إنه هكذا يكون في وسط الأرض بين الشعوب كنفاضة زيتونة، كالخصاصة إذا انتهي القطاف هـــم يرفعون أصواتهم، ويترنمون لأجل عظمة الرب، يصوتون من البحر؛ لذلك في المشارق مجدوا الرب في جزائر البحر، مجدوا اسم الرب إله إســـرائيل، مـــن أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجدًا للبار فقلت: يا تلفي يا تلفـــي، ويـــل لـــي، الناهبون نهبوا الناهبون نهبوا نهبا عليك رعب وحفرة وفخ يا ســـاكن الأرض،

ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة، والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ؛ لأن ميازيب من العلاء انفتحت، وأسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقًا، تشققت الأرض تشققًا، تزعزعت الأرض تزعزعًا، ترنحت الأرض ترنحًا كالسكران، وتدلدلت كالعرزال، وثقل عليها ذنبها؛ فسقطت ولا تعود تقوم، ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويجمعون جمعًا كأسارى في سجن، ويغلق عليهم في حبس، ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون، ويخجل القمر، وتخزى الشمس؛ لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد"[٩].

وفي سفر إرمياء يضيف بني عمون ومدن سورية منها: حماة ودمشق. ويذكر عيلام.

وفي سفر حزقيال يضيف صيدون، ويأجوج ومأجوج. ويقول: "إن حروب يأجوج ومأجوج ستكون في آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة، وهي نفسها أول أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة من محمد ﷺ".

ففي ترجمة دار المشرق لأول النص عن يأجوج ومأجوج:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال، وتنبأ عليه، وقل هكذا قال السيد الرب. هأنذا عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال، وأرجعك وأضع شكائم في فكيك، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرسانًا، كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم ممسكين السيوف فارس وكوش وفوط، معهم كلهم بمجن وخوذة وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصي الشمال، مع كل جيشه شعوبًا كثيرين معك، استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك، فصرت لهم موقرًا بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة، تأتي إلى

---

(٩) إش: ٢٤.

الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل، التي كانت دائمًا خربة للذين اخرجوا من الشعوب، وسكنوا آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشي الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك".

ووصف المسيح عيسى عليه السلام معارك "يوم الرب العظيم"، بأنها ستكون شديدة الوطأة على اليهود.

وقال للحواريين عن علامات كونية ستحدث قبل ظهور محمد ﷺ.

وقال عن يوم المعركة وساعتها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد... إلخ".

وقد لغا اليهود في نبوءة الساعة هذه بقولهم: إنها ساعة يوم القيامة العامة من الأموات.

وبثوا لغوهم في الكتب التفسيرية الإسلامية؛ حتى لا يفطن المسلمون إلى أنها نبوءة عن محمد ﷺ، وادعوا أن حروب المسلمين في فلسطين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت بين المسلمين والمسيحيين الروم، ولم تكن بين المسلمين واليهود. وينقض دعواهم أن المسيحيين طائفة من اليهود، وقد كانوا شركاء اليهود في هذه المعركة. وقد عبر الله عن أنهم شركائهم فيها بقوله: ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[2].

وقد ذكر الله معركة الساعة هذه في أول سورة الروم فقال: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

---

(2) الروم: ١٣.

لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأرض وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرض وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[8].

وهذا هو نص إنجيل لوقا عن معركة الساعة: "وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل: إنه مزين بحجارة حسنة وتحف. قال: هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض. فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا، وما هي العلامة عندما يصير هذا. فقال: انظروا لا تضلوا فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو، والزمان قد قرب فلا تذهبوا وراءهم، فإذا سمعتم

([8]) الروم: ١- ١٩.

بحروب وقلاقل؛ فلا تجزعوا؛ لأنه لا بد أن يكون هذا أولا، ولكن لا يكون المنتهي سريعًا، ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء، وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي، فيؤول ذلك لكم شهادة، فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا لأني أنا أعطيكم فما وحكمة، لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها، وسوف تسلمون من الوالدين والأخوة والأقرباء والأصدقاء، ويقتلون منكم، وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي، ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك بصبركم، اقتنوا أنفسكم، ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش؛ فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها؛ حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها فليفروا خارجًا، والذين في الكور، فلا يدخلوها؛ لأن هذه أيام انتقام، ليتم كل ما هو مكتوب. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام؛ لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض، وسخط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف، ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم، وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض، كرب أمم بحيرة البحر والأمواج تضج، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأن قوات السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحابة بقوة ومجد كثير، ومتى ابتدأت هذه تكون، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب. وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون، وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضًا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول؛ فاحترزوا لأنفسكم؛

لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة؛ لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض اسهروا إذًا وتضرعوا في كل حين؛ لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع إن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان"[٩].

هذا كله هو ما نريد إيضاحه في هذا الكتاب؛ ليعلموا علمًا يقينًا: أن الساعة هي ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود، وأن هذه المعركة قد وقعت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ.

وسأذكر طرفًا مما في الكتب الإسلامية عن يأجوج ومأجوج لعلامة من علامات الساعة بمعنى يوم القيامة؛ ليميِّز الناس بين الحق والباطل، وليطهروا الكتب التفسيرية الإسلامية من الإسرائيليات.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

٢٠/١١/١٤٢٥هـ

١/١/٢٠٠٥م

د: أحمد حجازي السقا
ميت طريف- الدقهلية

[٩] لوقا: ٢١: ٥- ٣٦.



الفصل الأول

في

يأجوج ومأجوج في الكتب الحديثية وبعض كتب التفاسير

الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ليُحَجنَّ البيت وليُعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج"**[١٠].

الشرح:

قال الحافظ ابن حجر: قوله: "ليحجن". قوله: "لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت". يظهر والله أعلم أن المراد بقوله "ليحجن البيت" أي مكان البيت.

٢- عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: **"لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه"**. وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **"نعم إذا كثر الخبث"**[١١].

الشرح:

قولها: "إن النبي ﷺ دخل عليها يومًا فَزِعًا". في رواية ابن عيينة "استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهه". يقول: "فيجمع على أنه دخل عليها بعد أن استيقظ النبي ﷺ فزعًا، وكانت حمرة وجهه من ذلك الفزع.

قوله: "ويل للعرب من شر قد اقترب" خص العرب بذلك؛ لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة كما وقع في الحديث الآخر

([10]) صحيح البخاري. حديث رقم ١٤٩٠.

([11]) صحيح البخاري. حديث رقم ٣٠٩٧، ٣٠٩٨.

"يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها" وأن المخاطب بذلك العرب.

قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة "ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا أنزل من الخزائن" فأشار بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده فكثرت الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جر الفتن، وكذلك التنافس على الإمرة، فإن معظم ما أنكروه على عثمان تولية أقاربه من بني أمية وغيرهم حتى أفضى ذلك أن قتله، وترتب على قتله من القتال بين المسلمين ما اشتهر واستمر.

قوله: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج". المراد بالردم السد الذي بناه ذو القرنين، وقد قدمت صفته في ترجمته من أحاديث الأنبياء.

قوله: "مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها". أي جعلهما مثل الحلقة.

قال ابن العربي: في الإشارة المذكورة دلالة على أنه ﷺ كان يعلم عقد الحساب حتى أشار بذلك لمن يعرفه، وليس في ذلك ما يعارض قوله في الحديث الآخر: "أنا أمة لا نحسب ولا نكتب". فإن هذا إنما جاء لبيان صورة معينة خاصة.

قلت: والأولى أن يقال: المراد بنفي الحساب ما يتعاناه أهل صناعته من الجمع والفذلكة والضرب ونحو ذلك، ومن ثم قال: "ولا نكتب". وأما عقد الحساب فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التلفظ وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع فيضع أحدهما يده في يد الآخر؛ فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما، فشبه ﷺ قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم.

وقد جاء في خبر مرفوع "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم" وهو فيما أخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رفعه في السد "يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا. فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله. واستثنى، قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس" الحديث.

قال ابن العربي: في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهارًا.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك.

قلت: وهو مردود، فإن في خبرهم عند وهب في المبتدأ أن لهم أشجارًا وزروعًا وغير ذلك من الآلات فالأول أولى.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن عمرو بن أوس عن جده رفعه "إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا وشجر يلقحون ما شاءوا" الحديث.

الثالثة: أنه صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود.

قلت: وفيه أن فيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

وقد أخرج عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة وقال فيه: "فإذا بلغ الأمر ألقى على بعض ألسنتهم نأتي إن شاء الله غدًا فنفرغ منه".

قوله: "قالت زينب بنت جحش". ويعين أن اللافظ بهذا السؤال هي زينب بنت جحش راوية الحديث.

قوله: "أنهلك" في رواية يزيد بن الأصم عن ميمونة عن زينب بنت جحش في نحو هذا الحديث "فرج الليلة من ردم يأجوج ومأجوج فرجة، قلت: يا رسول الله أيعذبنا الله وفينا الصالحون؟".

قوله: "وفينا الصالحون". كأنها أخذت ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[١٢].

قوله: "قال: نعم إذا كثر الخَبث". فسروه بالزنا وبأولاد الزنا، وبالفسوق والفجور، وهو أولى؛ لأنه قابله بالصلاح.

قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه، لكن حيث لا يجدي ذلك، ويصر الشرير على عمله السيء، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد؛ فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته. وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكًا عامًا لهم.

وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس ابن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى قال: "ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجال، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك؛ إذ

---

[12] الأنفال: ٣٣.

أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار، فيرغب عيسى نبي الله وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم النَّغَف - بفتح النون والغين المعجمة ثم فاء - في رقابهم فيصبحون فرسى - بفتح الفاء وسكون الراء بعدها مهملة مقصور - كموت نفس واحدة ؛ ثم يهبط عيسى نبي الله وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها، فبينما هم كذلك؛ إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، فيبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة".

وفي رواية لمسلم أيضًا "فيقولون لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دمًا".

وأخرج الحاكم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحوه في قصة يأجوج ومأجوج وسنده صحيح، وعند عبد بن حميد من حديث عبد الله بن عمرو "فلا يمرون بشيء إلا أهلكوه".

ومن حديث أبي سعيد رفعه "يفتح يأجوج ومأجوج فيعمون الأرض، وتنحاز منهم المسلمون فيظهرون على أهل الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم فيهز آخر حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم،

فيقولون قد قتلنا أهل السماء، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا".

٣- عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: "أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفا". ثم قال: "والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة". فكبرنا فقال: "أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة". فكبرنا فقال: "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة". فكبرنا فقال: "ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"[١٣].

الشرح:

قوله: "يقول الله". كذا وقع للأكثر غير مرفوع وبه جزم أبو نعيم في المستخرج.

قوله: "فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك". في الاقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضًا بتقدير الله كالخير.

قوله: "أخرج بعث النار". والبعث بمعنى المبعوث، وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناها هنا ميز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم؛ لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء. فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة الحديث.

([13]) صحيح البخاري: حديث رقم: ٣٠٩٩.

قوله: "قال وما بعث النار". الواو عاطفة على شيء محذوف تقديره "سمعت وأطعت" "وما بعث النار" أي وما مقدار مبعوث النار.

قوله: "من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين" يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألف واحد.

قوله: "فذاك حين يشيب الصغير وتضع". ظاهره أن ذلك يقع في الموقف، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب، ومن ثم قال بعض المفسرين: إن ذلك قبل يوم القيامة.

قوله: "فاشتد ذلك عليهم" في حديث ابن عباس "فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن".

قوله: "وأينا ذلك الرجل".

قال الطيبي: يحتمل أن يكون الاستفهام على حقيقته، فكان حق الجواب أن ذلك الواحد فلان أو من يتصف بالصفة الفلانية، ويحتمل أن يكون استعظامًا لذلك الأمر، واستشعارًا للخوف منه؛ فلذلك وقع الجواب بقوله: "أبشروا".

قوله: "فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل". ظاهره زيادة واحد عما ذكر من تفصيل الألف، فيحتمل أن يكون من جبر الكسر، والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين أو ألفًا إلا واحدًا، وأما قوله: "ومنكم رجل". تقديره والمخرج منكم أو ومنكم رجل مخرج، ووقع في بعض الشروح أن لبعض الرواة "فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفًا" بالنصب فيهما على المفعول بإخراج المذكور في أول الحديث؛ أي فإنه يخرج كذا، وروى بالرفع على خبر إن واسمها مضمر قبل المجرور، أي فإن المخرج منكم رجل.

قلت: والنصب أيضًا على اسم إن صريحا في الأول، وبتقدير في الثاني، وهو أولى من الذي قاله فإن فيه تكلفًا.

قوله: "ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة". والقصة التي في حديث أبي سعيد وقعت وهو ﷺ سائر على راحلته، ووقع في رواية ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس "بينا رسول الله ﷺ في مسيره في غزوة بني المصطلق".

ثم قوله: "إني لأطمع... إلخ". وقع بعد أن نزل وقعد بالقبة، وأما زيادة الربع قبل الثلث فحفظها أبو سعيد وبعضهم لم يحفظ الربع.

٤- عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: **ما تذاكرون؟** قالوا: نذكر الساعة. قال: **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[١٤].

الشرح:

قوله: ﷺ في أشراط الساعة: "لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال". هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريبًا من قيام الساعة، وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا، وإنكار ابن مسعود عليه، وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشًا من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان. وقد وافق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ، وأنه يمكث في الأرض أربعين يومًا، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار.

---

[14] صحيح مسلم: حديث رقم ٥١٦٢، ٥١٦٣.

٥- عن عمرو بن العاص قال: "إن يأجوج ومأجوج ذَرْء جهنم، ليس فيهم صديق، وهم على ثلاثة أصناف: على طول الشبر، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام".

٦- رُوِي عن عطية بن حسان أنه قال: "يأجوج ومأجوج أمتان، في كل أمة أربعمائة ألف، ليس منهما أمة تشبه بعضها بعضًا".

٧- رُوِي عن الأوزاعي أنه قال: "الأرض سبعة أجزاء، فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق".

٨- رُوِي عن قتادة أنه قال: "الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ - يعني: الجزء الذي فيه سائر الخلق غير يأجوج - فاثنا عشر للهند والسند، وثمانية آلاف للصين، وثلاثة آلاف للروم، وألف فرسخ للعرب".

٩- ذكر علي بن معبد عن أشعث عن شعبة عن أرطأة بن المنذر قال: ".....يأجوج ومأجوج ذَرْء في جهنم، وهم على ثلاثة أثلاث: ثلث على طول الأرز[15] وثلث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد، وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، وهم من ولد يافث بن نوح".

١٠- ومما أخرجه ابن عدي، وابن أبي حاتم، والطبراني في "الأوسط"، وابن مردويه من حديث حذيفة قال: "يأجوج ومأجوج أمة أربعمائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح".

١١- وأخرج ابن حِبَّان من حديث ابن مسعود رفعه: "إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا".

([15]) الأرز: شجرة الأرز المعروف، وهو شجر الصنوبر.

١٢- عن كعب الأحبار قال: "خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف: صنف أجسامهم كالأرز، وصنف أربعة أزرع طولاً وأربعة أذرع عرضًا، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى، فيأكلون مشائم[١٦] نسائهم".

***

وقد علق ابن كثير على هذه الأحاديث بقوله: "ومن زعم أن يأجوج ومأجوج على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جدًا، فمنهم من هو كالنخلة، ومنهم من هو غاية في القصر، منهم من يفترش أذنًا من أذنيه ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان، والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفًا فصاعدًا، فهي أحاديث غريبة جدًا وأسانيدها ضعيفة، وفيها نكارة شديدة"[١٧].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "لم يثبت في قدر أعمارهم شيء".

وأقرت لجنة العلماء الأزهرية التي وضعت "التفسير الوسيط" للقرآن الكريم، الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية، دخول الكثير من الخرافات على قصة يأجوج ومأجوج، وذلك عند تفسيرها لسورة الكهف بقولها: "يأجوج ومأجوج هما قبيلتان من البشر، وقد أحيطت قصتهم ببعض الخرافات..".

مما سبق يتضح أن هناك إجماعًا على أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء معًا، وينسبون إلى يافث بن نوح في الغالب، وأنهم كانوا بشرًا مثل سائر البشر يأكلون ويشربون ما يأكله ويشربه البشر، ولهم نفس صفات وطبائع وأشكال البشر، ولكنهم أشد منهم قوة وطغيانًا وشرورًا ومفاسد. كما أنهم ليس فيهم من يشبه الحيوانات أو الوحوش، أو يعمر آلاف السنين، مثلما أشيع في الأحاديث والروايات والأساطير الخرافية المروية عنهم".اهـ.

---

(16) المشائم: جمع مشيمة، وهي الغشاء الذي يحيط بالجنين، ويخرج عند الولادة.

(17) البداية والنهاية لابن كثير ج٢، فصل يأجوج ومأجوج.

هدم سد يأجوج ومأجوج وخروج التتار والمغول من ورائه علامة من العلامات الصغرى للساعة:

للساعة أمارات وعلامات صغرى وكبرى، والعلامات الصغرى للساعة تزيد عن المائة علامة، ذكرها النبي ﷺ في أحاديث متعددة، ومعظم هذه العلامات قد تحقق حتى الآن، وفيما يلي نبذة مختصرة عن هذه العلامات، وما تحقق منها، وما سيتحقق بمشيئة الله:

١- موت النبي ﷺ:

قال ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى"[18].

أي: أن النبي ﷺ أشار في هذا الحديث إلى أن الساعة ستكون قريبة جدًا من بعثته، وأنه أولى العلامات الصغرى للساعة. ويؤكد هذا قوله ﷺ في حديث آخر. "اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار؛ فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا"[19].

٢- كثرة الفتن:

قال ﷺ: "إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي"[20].

وقال ﷺ: "يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا"[21].

([18]) رواه البخاري.

([19]) رواه البخاري.

([20]) رواه مسلم.

وما أكثر الفتن التي تحيط بنا الآن من كل جانب: فتن في الشارع، وفتن في البيت، وفتن في العمل، وفتن بين الشعوب، وبين الإخوة، وفتن في الزوج والزوجة، والأب وأولاده، وفتن الرأسمالية والعلمانية والشيوعية، وفتن الحضارة والتطور التكنولوجي، وفتنة حب جمع المال بأي طريقة ووسيلة، حتى ولو كان بالتجارة غير المشروعة أو ببيع أعضاء من جسم الإنسان...إلخ.

وجميعها فتن جعلت كثيرًا من الناس يصبحون وهم يظنون أنهم مؤمنون، وجميع أعمالهم لا تدل إلا على الكفر من كثرة ما يحيط بهم من الفتن.

٣- كثرة الزلازل:

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى...وتكثر الزلازل.."[٢٢].

٤- كثرة الشح عند الناس، واتباع الأهواء والشهوات، وتعصب كل شخص لرأيه حتى ولو كان باطلاً:

قال ﷺ: "إذا رأيت هوى متبعًا، وشحًا مطاعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فانتظر الساعة".

٥- ذهاب العلم الديني وظهور الجهل (بعودة العادات الجاهلية الأولى، ككثرة القتل، والمتاجرة بالنساء، واتخاذ الأرقاء والعبيد، وزواج المتعة واللواط والسحاق...إلخ) وانتشار الزنا وشرب الخمر وقلة الرجال وكثرة النساء (بسبب كثرة الحروب التي تقضي على أعداد كبيرة من الرجال، وترمل النساء):

قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، والزنا، وشرب الخمر، وتقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"[٢٣].

([21]) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

([22]) رواه البخاري.

٦- تولّى الأحمق واللئيم والانتهازي المنافق للمناصب العليا، أو توليتها للرجل قليل الخبرة، أو لمن لا يستحقها بسبب المحسوبيات والمجاملات والوسائط:

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع[٢٤]"[٢٥].

وسأل أعرابي رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فقال: "إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة".

قال الأعرابي: يا رسول الله، وكيف إضاعتها؟ فقال: "إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله"[٢٦].

٧- اضطهاد الصالحين، وعدم تمسك الناس بدينهم:

قال ﷺ: "يأتي على الناس زمانٌ، الصابر على دينه كالقابض على الجمر"[٢٧].

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة، كحثالة الشعير أو التمر"[٢٨].

٨- انتشار اللواط بين الرجال، والسحاق بين النساء:

قال ﷺ: "من أشراط الساعة...وأن يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.."[٢٩].

---

(23) رواه البخاري ومسلم.

(24) اللكع: اللئيم الأحمق.

(25) رواه أحمد والترمذي.

(26) رواه البخاري.

(27) رواه الترمذي.

(28) رواه أحمد والبخاري.

ولعل ما يدعو إليه مؤتمر السكان ومؤتمر المرأة، اللــذان انعقــدا تحــت إشراف الأمم المتحدة من تحليل زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، هو أكبر دليل على انتشار اللواط والسحاق، ومحاولات إضفاء الشرعية على هذه العلاقة المحرمة، خاصة في المجتمعات الغربية.

٩- أن يصير الحفاة العراة رعاة الشاة ملوك الأرض وأصحاب المبــاني الشاهقة والقصور الفخمة:

قال ﷺ: "إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطالون فــي البنيــان، فانتظر الساعة "[٣٠].

وفي رواية أخرى: "... وترى الحفاة العراة صاروا ملوكًا..."[٣١].

١٠- ظهور المباني العالية الفخمة (الأبراج):

قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى... وحتى يتطاول الناس في البنيان..."[٣٢].

١١- كثرة القتل بين الناس والأمم والشعوب والجماعات:

قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى... ويكثر الهرج وهو القتل.."[٣٣].

١٢- كثرة المطربين، والمطربات، والراقصــين، الرقصــات، وانتشــار أدوات الغناء واللهو:

قال ﷺ: "من أشراط الساعة.... وتظهر المعازف والكبور..."[٣٤].

---

(29) رواه الطبراني.

(30) رواه البخاري ومسلم.

(31) رواه أبو نعيم في الحلية.

(32) رواه البخاري.

(33) رواه البخاري.

(34) رواه البيهقي.

١٣- إضاعة الصلاة، وقلة الزكاة، وتصديق الخائن، وتكذيب الصادق، وإذلال المؤمن، وظهور الأمراء الفسقة، والوزراء الفجرة، وحج الناس للكعبة من أجل اللهو والرياء والتفاخر، وكساد التجارة في الأسواق.... إلخ:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "حَج النبي ﷺ حجة الوداع، ثم أخذ بحلقة الكعبة، فقال: أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ فقام إليه سلمان فقال: أخبرنا، فداك أبي وأمي يا رسول الله. فقال: من أشراط الساعة: إضاعة الصلاة، والميل مع الهوى وتعظيم رب المال.

فقال سلمان: ويكون هذا يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفس محمد بيده، فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرمًا، والفيء مغنمًا، ويصدق الكاذب، ويكذب الصدق، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويتكلم الرويبضة.

قالوا: وما الرويبضة؟ قال: يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم، وينكر الحق تسعة أعشارهم، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا رسمه، وتُحلى المصاحف بالذهب، ويتسمن ذكور أمتي، وتكون المشورة للإماء، ويخطب على المنابر الصبيان، ويكون المخاطبة للنساء، فعند ذلك تزخرف المساجد، كما تزخرف الكنائس، وتطول المنابر، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة، وألسن مختلفة وأهواء جمة.

قال سلمان: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة، يذوب قلبه في جوفه، كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر، فلا يستطيع أن يغيره، ويكتفي الرجل بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكر، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، يضيعون الصلاة، ويتبعون الشهوات، فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها، عند ذلك يا سلمان يجئ سبي من المشرق، وسبي من المغرب، جثاؤهم جثاء

الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يرحمون صغيرًا ولا يوقرون كبيرًا. عند ذلك يا سلمان يحج الناس إلى هذا البيت الحرام، ويحج ملوكهم لهوًا وتنزهًا، وأغنياؤهم للتجارة، ومساكينهم للمسألة، وقراؤهم رياء وسمعة.

قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب، ويظهر الكوكب ذو الذنب، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتتقارب الأسواق.

قال: وما تقاربها؟ قال: كسادها وقلة أرباحها. عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحًا فيها حيات صفر؛ فتلتقط رؤوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيروه.

قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي بعث محمدًا بالحق".

١٤- كثرة عساكر الشرطة، وفساد حالهم:

قال رسول ﷺ: "من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة.........وكثرت الشرط - عساكر السلطة -...."[٣٥].

١٥- ظهور الأئمة المضلين - وما أكثرهم في هذه الأيام -:

قال رسول الله ﷺ: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة"[٣٦].

١٦- اثنتان وسبعون علامة:

عن حذيفة بن اليمان قال: "قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحلم ضعفًا، والكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخون الأمين،

([35]) رواه أبو نعيم في الحلية.

([36]) رواه أبو داود وابن ماجه.

وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف. وكان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وفاض[٣٧] اللئام فيضًا، وغاض[٣٨] الكرام غيضًا، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة؛ إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يغشيهم الله فتنة يتهاوكون[٣٩] فيها تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء - يعني: الدنانير -، وتطلب البيضاء - يعني: الفضة -، ويكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت المصاحف، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمر، وعطلت الحدود[٤٠]. وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكًا. وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة، وتفقه لغير دين الله، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمور في الطرق، واتخذ الظلم فخرًا، وبيع الحكم، وكثرت الشرط - عساكر السلطة -، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاقًا، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات»[٤١].

([37]) فاض: كثر.

([38]) غاض: قل.

([39]) يتهاوكون فيها: يقعون فيها بلا مبالاة.

([40]) عطلت الحدود: أي عطل العمل بالشريعة الإسلامية في الحدود.

([41]) رواه أبو نعيم في الحلية.

قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة: إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة... ونقصت الشهور... ونقضت المواثيق... وصارت الإمارات مواريث - صار الحكم بالوراثة -... وصعدت الجُهال المنابر... وصارت أموالكم عند شراركم... ولعبتم بالميسر... وطففت المكايل والموازين... ووليت أموركم السفهاء". رواه أبو الشيخ، وعويس، والديلمي، كلهم عن علي ﷺ[42].

ولنقارن الآن بعض ما ورد بالحديث من صفات بحال المسلمين في هذه الأيام؛ حتى يتم النفع بالحديث:

قوله ﷺ: "أضاعوا الصلاة".

أي: تركوها أو أخلّوا بشيء من أركانها وواجباتها، وقليل من المسلمين الآن من يؤدى الصلاة أو يحافظ عليها في مواقيتها.

قوله ﷺ: "أضاعوا الأمانة".

أي: فرطوا في الودائع والأسرار، وأداء الأعمال التي يؤتمنون على القيام بها... إلخ. واليوم كثيرًا ما نقرأ ونسمع عن شركات نهبت أموال المودعين، وقادة عسكريين أو مدنيين يفشون أسرار بلادهم إلى عدوهم مقابل المال، ورؤساء شركات وبنوك يستغلون مواقعهم وسلطاتهم في الاستيلاء على أموال الناس بطرق غير مشروعة، وموظفين يهملون في أداء أعمالهم وواجباتهم المكلفين بها، فكل هذه الصور وغيرها أنماط من التفريط في الأمانات.

"وشيدوا البناء". أي: طولوه ببناء الأبراج والعمارات الشاهقة، وما أكثرها.

"واتبعوا الهوى". أي: ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة المخالفة للدين والأخلاق.

"وأكلوا الربا": من طريق منح القروض لأجل بفائدة.

---

(42) نقلاً عن "الإشاعة لأشراط الساعة": البرازنجي ص ١٣٧، ١٣٨.

"وكثر الطلاق" أو "تهاونوا بالطلاق" في حديث علي. أي: يحلفون بالطلاق كثيرًا ولا يبالون بوقوعه.

"موت الفجأة". مثل: ما يحدث من موت فجائي بالسكتة القلبية، أو جلطة الدم، أو حادث قطار، أو سيارة، أو طائرة.... إلخ.

"وكثر القذف": وهو السب والتلاعن بين الناس.

"فاض اللئام فيضًا وغاض الكرام غيضًا". أي: كثر اللئام وقل الكرام.

"والولد غيظًا". أي: غيظًا لوالديه؛ بسبب عقه لهما، وبسبب غلاء المعيشة الذي أدى إلى ارتفاع تكاليف الزواج؛ مما يثقل كاهل والديه لمساعدته في بناء بيت وأسرة.

"وعطلت الحدود". أي: أوقف العمل بحدود الله؛ كحد السارق، والزاني، والقاذف.

"وولدت الأمة ربتها": وهذا كان يحدث في الماضي عندما كان الأمراء والملوك والأغنياء يتخذون إماء يجامعونهن ويلدن لهم، ويصبح المولود أو المولودة سيدة للأمة التي هي في الحقيقة أمها.

ويحدث في هذه الأيام عن طريق أطفال الأنابيب، ففي الدول الأوربية يحدث أن بعض الأغنياء المصابين بالعقم ويرغبون في الإنجاب، يأخذون منيهم وبويضة الخادمة، ويضعونها في أنبوبة داخل رحم الخادمة مدة تسعة أشهر، وبعد الولادة ينسب الطفل إلى الزوجين مقابل مبلغ من المال للخادمة، وبعد ذلك يصبح الطفل (أو الطفلة) سيدًا (أو سيدة) للخادمة، وهي في الحقيقة أمهما.

"وشاركت المرأة زوجها في التجارة". أي: زاحمته في ميادين العمل أو تصبح شريكًا له في تجارته، إما بسبب إصرارها على منافسته والمساواة به، أو بسبب احتياج الزوج لتعاونها معه للمشاركة في نفقات المنزل؛ بسبب الغلاء الفاحش للأسعار.

"وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال". أي: يرتدي الرجال زيًا مثل زي النساء، أو يتصرفون مثلهن أو يتطبعون بطبائعهن وصفاتهن، أو العكس.

"وبيع الحكم". أي: دفعت الرشاوى والهبات والعطايا للحصول عليه، كما يحدث من بعض الأعضاء الذين يدفعون للناس مقابل ترشيحهم لعضوية البرلمان، أو أحد المجالس أو لشغل المناصب المهمة.

"وصارت الإمارات مواريث". أي: أصبح كل حاكم يولي ابنه من بعده، ولا يترك للناس اختيار حاكمهم بالانتخاب؛ ليختاروا الحاكم الأكثر علمًا ورشدًا وورعًا وتقوى ونزاهة، وكان بنو أمية هم أول من فعل ذلك في المسلمين، ثم سار على منوالهم كثير من حكام المسلمين.

١٧- من العلامات الصغرى للساعة أيضًا: هدم سد يأجوج ومأجوج، وخروجهم من ورائه، وغزوهم للبلاد الإسلامية عندما يكثر فيها الخبث. وقد سمى رسول الله ﷺ هؤلاء القوم في بعض أحاديثه يأجوج ومأجوج. وفي البعض الآخر سمَّاهم باسم "الترك". وفي بعضها "خوزًا وكرمان من الأعاجم"، ولكن وصفه لملامحهم جميعهم كان واحدًا:

عن زينب بنت جحش أنها قالت: "استيقظ رسول الله ﷺ من النوم محمرًا وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه. وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث"[٤٣].

ففي هذا الحديث إشارة إلى اقتراب موعد هدم سد يأجوج ومأجوج من زمان النبي ﷺ، وخروج يأجوج ومأجوج من ورائه، ووقوع كثير من الشر على المسلمين نتيجة ذلك.

([43]) رواه البخاري.

وحددنا موقع السد وأكدنا هدمه؛ طبقًا لروايات بعض المؤرخين قبل خروج التتار والمغول من ورائه في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وقال ﷺ: "إنكم تقولون إنه لا عدو، وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاب، ومن كل حدب ينسلون كأن وجوهم المجان المطرقة"[٤٤].

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف[٤٥]، كأن وجوههم المجان المطرقة"[٤٦].

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حورًا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف[٤٧]، كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر"[٤٨].

فجميع الأحاديث السابقة أشارت إلى أن هدم السد، وخروج يأجوج ومأجوج أو الترك ومقاتلة المسلمين لهم، يعدّ علامة من العلامات الصغرى للساعة؛ لأن معظم الأحاديث التي قال فيها النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى..." تخصّ العلامات الصغرى للساعة في الغالب.

أما العلامات الكبرى للساعة، فقد حددها النبي ﷺ بعشر علامات فقط، وذكر ضمنها أيضًا خروج يأجوج ومأجوج.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف يكون هدم السد وخروج يأجوج ومأجوج من ورائه علامة من علامات الكبرى للساعة، التي لم تقع أي علامة

---

(44) رواه أحمد والطبراني من حديث بن حرملة.

(45) ذلف الأنوف: صغار الأنوف

(46) رواه البخاري.

(47) وفطس الأنوف: صغار الأنوف

(48) رواه البخاري.

منها حتى الآن؟ وفي نفس الوقت نؤكد أن السد قد هدم وخرج من ورائه يأجوج ومأجوج أو التتار والمغول؟

وللإجابة عن هذا السؤال يلزمنا التعرف على يأجوج ومأجوج المذكورين في العلامات العشر الكبرى للساعة، والتعرف على جميع الآيات القرآنية التي ورد بها ذكر يأجوج ومأجوج، ثم الوصول إلى نتيجة من هذه المعلومات.

***

وإذا كان التتار والمغول يأجوج ومأجوج، فمن يأجوج ومأجوج المذكور خروجهم بعد نزول عيسى من السماء لقتل الدجال كعلامة من العلامات العشر الكبرى للساعة؟

بعد أن تتم وتتحقق العلامات الصغرى للساعة، تبدأ العلامات الكبرى للساعة في الظهور، وعند ظهور أولها تتتابع باقي العلامات العشر في الظهور، كما تتتابع حبات العقد في الانفراط بعد قطع الخيط الذي يضم هذه الحبات ببعضها، كما أكد ذلك رسول الله ﷺ.

والعلامات العشر الكبرى هي: الدجال، وعيسى ابن مريم، يأجوج وماجوج، والدابة، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج نار من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم.

ويلاحظ أن الروايات المختلفة لأحاديث العلامات العشر الكبرى للساعة لم تتفق على ترتيب محدد لهذه العلامات، فمرة: يذكر الدجال، ثم عيسى، ثم يأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها...إلخ.

ومرة يذكر طلوع الشمس من مغربها، ثم الدابة، ثم الدجال، ثم عيسى، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدخان...إلخ.

كما لم تتفق الروايات على أول العلامات خروجًا، ففي بعضها طلوع الشمس من مغربها، وفي البعض الآخر: الدجال، وفي أخرى: الدابة أو النار التي تحشر الناس إلى محشرهم.

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال،وخروج عيسى ابن مريم، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا "(٤٩).

وقال ﷺ: "بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم وأمر العامة"(٥٠).

والعلماء مجمعون على أن الدجال سيأتي بعده عيسى ابن مريم؛ لأنه هو الذي سيقتل الدجال، وبالتالي لا بد أن يظهر الدجال قبله، والأحاديث صرحت بذلك، كما صرحت بخروج يأجوج ومأجوج بعد عيسى؛ لأنهم سيحاربون عيسى وأتباعه، ومتفقون أيضًا على أن طلوع الشمس من مغربها سيتبعه خروج الدابة أو العكس؛ لأن الأحاديث صرحت بذلك.

وأيضًا متفقون على أن الخسف بالمغرب والمشرق وجزيرة العرب، ثم خروج النار من قعر عدن؛ لتحشر الناس إلى محشرهم ستكون آخر العلامات العشر؛ لأنها ستقع قبل القيامة مباشرة.

والخلاف هو في تحديد ما إذا كان الدجال أول العلامات خروجًا، أم طلوع الشمس من مغربها؛ لورود روايات صحيحة بأن كلاً منهما هو أولى العلامات العشر للساعة، ولكن العلماء حسموا هذه المشكلة بأن الدجال لا بد وأن يكون

---

(49) رواه أحمد ومسلم وأهل السنن.

(50) رواه أحمد.

أول العلامات العشر؛ لأن الأحاديث صرحت بأن التوبة والإيمان سيغلقان بطلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة.

فعن أبي هريرة قال: "قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[51].

وعن عبد الله بن عمرو قال: "حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا**".

فهذه الأحاديث صرحت بغلق باب التوبة، وعدم قبول الإيمان إذا خرجت الدابة أو طلعت الشمس من مغربها. في حين صرحت أحاديث أخرى بأن عيسى لن يقبل في زمانه – بعد نزوله من السماء وقتله للدجال – إلا الإسلام، وسيقتل كل من لا يدخل فيه.

كما صرح القرآن بأن بعضًا من أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء وقبل موته، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل

([51]) الأنعام: ١٥٨.

رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وإن مِّنْ أَهْـلِ الكِتَـابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٥٢].

وما دام بعض أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء، فلا بـد وأن يكون باب التوبة والإيمان مفتوحًا، ولم يغلق بعد في زمانه، فلو كان طلوع الشمس من مغربها، أو الدابة سابقين عليه، فكيف يقبل الإيمان والتوبة في زمانه وباب التوبة قد أغلق قبل مجيئه؟ لذلك لا بد أن يكون طلوع الشمس والدابة بعد خروج يأجوج ومأجوج.

وقد جمع الحافظ "ابن حجر العسقلاني" بين هذه الروايات فقال: "إن الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العامة في الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلـوي، والنـار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة".

وعلى ذلك يمكن تقسيم العلامات العشر الكبرى للساعة على النحو التالي:

١- علامات مؤذنة ببدء تغيير أحوال الناس في الأرض، وهي: الـدجال، نزول عيسى ابن مريم، خروج يأجوج ومأجوج.

٢- علامات مؤذنة ببدء تغير أحوال السماء: طلوع الشمس من مغربهـا، الدابة، الدخان.

٣- علامات مؤذنة بالاقتراب الوشيك للساعة: خسف بالمغرب، خسـف بالمشرق، خسف بجزيرة العرب.

٤- علامات مؤذنة ببداية الحشر وقيام الساعة: خروج نار من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم.

وعلى ذلك فخروج يأجوج ومأجوج هو ثالث العلامات الكبرى للساعة.

([52]) النساء: ١٥٧ - ١٥٩.

والسؤال الآن:

كيف يكون السد قد هدم وخرج من ورائـه يـأجوج ومـأجوج (التتـار والمغول)، ثم نرى في الأحاديث أن خروجهم - والمفروض أن يكون من وراء السد- سيتم بعد نزول عيسى من السماء؟ ألا يحتمل أن يكون يأجوج ومأجوج لا يزالون وراء سدهم في مكان آخر من الأرض وأنه لم يفتح بعد؟

إن ذكر يأجوج ومأجوج ورد في القرآن الكريم مرتين: مرة فـي سـورة الكهف عند الحديث عن السد الذي بناه ذو القرنين؛ ليحجزهم وراءه، وفي هـذه الآيات أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هذا السد سيدك بالقرب من قيام السـاعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّـا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَجَمَعْنَـاهُمْ جَمْعًا﴾[53].

ثم ورد ذكر يأجوج ومأجوج مرة أخرى في القرآن في سورة الأنبياء، ولم يتحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن السد أو عن ذي القرنين، وأكد أن خروجهم في هذه المرة سيكون قريبًا جدًا من قيام الساعة؛ إذن إنه فـي سـورة الكهف ترك فترة زمنية بين هدم السد والنفخ في الصور، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِـخَ فِـي الصُّـورِ فَجَمَعْنَـاهُمْ جَمْعًا﴾[54].

ففي هذا إشارة إلى أنه بعد هدم السد سيكون هناك فترة زمنيـة معينـة، تدور خلالها مجموعة من الحروب بين يأجوج ومأجوج وبين النـاس، أو بـين يأجوج ومأجوج وبعضهم البعض، أو بين الناس وبعضهم البعض، أو يحدث كل

([53]) الكهف: ٩٨ - ٩٩.

([54]) الكهف: ٩٩.

ذلك على فترات متقطعة. المهم أن هناك فترة تاريخية قد تكون طويلة أو قصيرة بين هدم السد والنفخ في الصور.

أما في سورة الأنبياء فلم يذكر الله سبحانه وتعالى تلك الفترة الزمنية بين خروج يأجوج ومأجوج واقتراب الساعة، مما يوحي بأن خروجهم في هذه المرة سيكون قريبًا جدًا منها، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا..... ﴾[٥٥].

ففي هذه الآية لم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن فترة زمنية بين خروجهم واقتراب الساعة، كما لم يتحدث عن خروجهم من وراء السد، مما يؤكد أن خروجهم هذا سيكون بعد خروجهم الأول من وراء السد.

أي: أن هناك خروجين ليأجوج ومأجوج:

أحدهما: من وراء السد وقبل الساعة بفترة، وهذا الخروج من العلامات الصغرى للساعة.

والأخرى: عند قيام الساعة، وبالتحديد بعد نزول عيسى ابن مريم وقتله للدجال، وهذا الخروج من العلامات العشر الكبرى للساعة، كما أكد ذلك النبي ﷺ في حديثه عن علامات الساعة الكبرى.

ويؤكد ذلك أحاديث النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقد أكد فتح جزء من السد مثل الحلقة في زمانه، وأن ميعاد هدم السد أصبح قريبًا من زمانه، وحدث ذلك بعد زمان النبي ﷺ بحوالي ستمائة عام في غزوات التتار والمغول على البلاد الإسلامية.

([55]) الأنبياء: ٩٦ - ٩٧.

وفي هذه الأحاديث ذكر النبي ﷺ خروجهم من وراء السد، ووصف ملامحهم وأسلحتهم، ولباسهم وجميعها، كما سبق وأن بيّنا كانت تتطبق على ملامح وأوصاف التتار والمغول.

كما تحدث النبي ﷺ عن خروجهم في زمان عيسى، ولم يذكر السد في هذه الأحاديث، بل ذكر خروجهم بنفس النص الوارد في القرآن في سورة الأنبياء، وهو: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[٥٦].

ولو دققنا في معنى كلمة "حدب" و"ينسلون"، وراجعنا معنى كل منهما في المعاجم اللغوية؛ لفهمنا أن استخدام الله سبحانه وتعالى والنبي لهذين اللفظين كان له معناه ومغزاه ودلالته.

ولنتعرف الآن على المعنى اللغوي للفظين، ثم نحاول فهم الآية فهمًا صحيحًا بعد ذلك:

حدب: هو كل شيء ارتفع وغلظ من الأرض[٥٧].

ينسلون: مشتقة من نَسَلَ، ونسل الشيء؛ أي: انفصل عن غيره وسقط. والنسالة: ما سقط من الصوف أو الشعر عند نسله[٥٨].

ولو أمعنا النظر في معنى الكلمتين لفهمنا أن مجيء يأجوج ومأجوج في هذه المرة لن يكون من وراء سد، بل {مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} أي: من أشياء مرتفعة عن الأرض، يسقطون على عيسى وأتباعه منها؛ وهذا الخروج سيكون في السنين القادمة؛ لأن العلامات الكبرى للساعة لم تتحقق بعد، ونحن الآن في عصر الطائرات وسفن الفضاء، والصواريخ العابرة للقارات، والمظلات، والبالونات المطاطية...إلخ.

([56]) الأنبياء: ٩٦.

([57]) راجع المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، ومختار الصحاح، والمصباح المنير.

([58]) المصدر السابق.

فهل سيأتي يأجوج ومأجوج من شمال وشمال شرق آسيا إلى عيسى وأتباعه سائرين على أقدامهم؟ أم بالطائرات؟

نهاية يأجوج ومأجوج في الإسلام:

قال رسول الله ﷺ بعد ذكر قتل عيسى للدجال:

"...ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه – أي من الدجال – فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء.

ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحد خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله؛ فيرسل الله عليهم النغف[59] في رقابهم، فيصبحون موتى كموت نفس واحد، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت[60] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر؛ فيغسل الأرض؛ حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك..."[61].

من الحديث السابق نستنتج أن نهاية يأجوج ومأجوج ستكون بقدرة الله سبحانه وتعالى؛ إذ لن يكون لعيسى وأتباعه قدرة قتالهم، ونهايتهم ستكون في

---

(59) النغف: نوع من الدود يصيب أنوف الإبل ويقضي عليها.

(60) البخت: الإبل.

(61) رواه مسلم.

المنطقة بين جبل طور سيناء وبحيرة طبرية بشمال فلسطين؛ أي: ستغطي جثثهم كل أرض سيناء وفلسطين.

ودليل ذلك أنه عندما مر أوائل جيشهم ببحيرة طبرية شربوا ما فيها من ماء، ثم اتجهوا ناحية عيسى وأتباعه عند جبل الطور، وعندما وصل أواخر جيشهم، عند بحيرة طبرية، لم يجدوا فيها ماء؛ أي أن طول طوابير جيوشهم كان يغطي المنطقة من جبل الطور إلى بحيرة طبرية أو بعدها بمسافة قليلة في اتجاه سيناء، ثم حاصروا عيسى وأتباعه عند جبل الطور، وقطعوا عليهم جميع الإمدادات من ماء وطعام حتى كاد يهلك عيسى وأتباعه، ثم جاءهم الفرج من الله بإرسال نوع من الدود يأكل في رقاب فرسان يأجوج ومأجوج؛ حتى يقضى عليهم جميعًا.

والغالب أن هذا المرض - الدود - نوع معدي وينتشر بسرعة رهيبة، بحيث يمكنه القضاء على كل هذا الجيش في عدة ساعات.

وأود أن أشير إلى أن خروج يأجوج ومأجوج لن يكون بعد قتل عيسى للدجال مباشرة، بل سيكون هناك فترة زمنية بين قتله للدجال وبين خروج يأجوج ومأجوج. ويتضح ذلك من قول النبي ﷺ في إحدى الروايات:

"..ويرجع الناس إلى أوطانهم، قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطأون بلادهم..."[٦٢].

***

(62) رواه أحمد وصحح أحمد شاكر إسناده.

موقع سد ذي القرنين على خريطة العالم وصفاته:

١- صفاته:

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس، وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم.

قال البخاري: وقال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد. قال: وكيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر. فقال: رأيته هكذا. ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم، ولم أره مسندًا من وجه متصل أرتضيه، غير أن ابن جرير رواه في "تفسيره" مرسلاً فقال: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: انعته لي. قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته.

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلاً من جهته، وكتب لهم كتبًا إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينتهوا إلى السد، فيكشفوا عن خبره، وينظروا كيف بناه ذو القرنين، وعلى أي صفة، فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه بابًا عظيمًا وعليه أقفال، وأنه بناء محكم شاهق منيف جدًا، وأن بقية اللبن الحديد والآلات في برج هناك، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد، ومحلته في شرقي الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية.

٢- موقعه:

اختلف العلماء في تحديد موقع السد الذي بناه ذو القرنين، فبعض المؤرخين يؤكد أن يأجوج ومأجوج كانوا يسكنون قريبًا من خط عرض (٩٠) من الشمال وأن جبليهم هما أرمينية وأذربيجان، وأن سد ذي القرنين هو سد

"باب الأبواب" المشهور[٦٣]، ولكن هذا السد مبني بالحجارة ولا ينطبق عليه أوصاف سد ذي القرنين، كما أن بانيه هو كسرى "أنو شروان".

والبعض ذهب إلى أنه سور الصين العظيم الواقع بين الصين ومنغوليا، وهذا مستبعد لأسباب سبق شرحها.

وفريق آخر قال: إنه سد باب الحديد الواقع في عمالة "بلخ" بالقرب من مدينة "ترمذ" وهو سد مبني من الحديد والنحاس المذاب.

وذهب آخرون إلى أنه سد مضيق داريال بأرمينيا وهو مبني من الحديد فقط.

وقال " أبو الكلام أزاد ": "إن السد يقع في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر إلى البحر الأسود، وهو واقع بين بلدة "تفليس" و"ولادى كيوكز" وهو مبني بين جبلين، ومبني بالحديد.

وقد ذكر هذا السد "يوسيفوس" اليهودي المؤرخ عند ذكر رحلته إلى شمال قفقاز، وهو غير سد باب الأبواب الموجود على ساحل بحر الخزر، فإن التاريخ ينسب بناءه إلى كسرى أنو شروان، ويوسفوس هذا كان قبله - كان يعيش في القرن الأول الميلادي - كما أن سد باب الأبواب لم يستعمل فيه حديد قط"[٦٤].

ولكن هذا السد طبقًا لما ذكره "أبو الكلام أزاد" لم يستعمل فيه النحاس نهائيًا، بل استخدم فيه الحديد فقط، وبهذا فهو مخالف لسد ذي القرنين.

وبناء على ما سبق لا يبقى عليه أوصاف سد ذي القرنين سوى "سد باب الحديد" الموجود في عمالة "بلخ" بالقرب من مدينة "ترمذ" ببلاد التركستان، فهو السد الوحيد المبني من حديد مع نحاس مذاب.

***

---

(63) نقلاً عن التفسير الوسيط _ مجمع البحوث الإسلامية_ تفسير الكهف.

(64) نقلاً عن الميزان في تفسير القرآن _ مصدر سابق.

آراء علماء المسلمين الذين أكدوا
أن التتار والمغول هم يأجوج ومأجوج

ذهب كثير من المفسرين والمؤرخين إلى أن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول.

يقول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه، ثم الدليل على ذلك ما ثبت في "الصحيحين" من طريق الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك. فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا؛ فإن منكم واحدًا، ومن يأجوج ومأجوج ألفًا. وفي رواية: فقال: "أبشروا فإن فيكم أمتين؛ ما كانتا في شيء إلا كثرتاه -أي غلبتاه- كثرة".

وهذا يدل على كثرتهم، وأنهم أضعاف الناس مرارًا عديدة، ثم هم من ذرية نوح؛ لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[65]. وقال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾[66]. وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[67].

---

(65) نوح: ٢٦.

(66) العنكبوت: ١٥.

(67) الصافات: ٧٧.

وتقدم في الحديث المروي في "المسند" و"السنن": أن نوحًا ولد له ثلاثة؛ وهم سام، وحام، ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك. فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك، وهم مغل المغول، وهم أشد بأسًا وأكثر فسادًا من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم.

وقد قيل: إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه، فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه. فلهذا قيل لهم: الترك.

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم، فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك، وأنهم ليسوا من حواء، فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوي، في "شرح مسلم" وغيره، وضعفوه، وهو جدير بذلك؛ إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه؛ من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن. وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جدًا؛ فمنهم من هو كالنخلة السحوق، ومنهم من هو غاية في القصر، ومنهم من يفترش أذنًا من أذنيه ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم.

يقول الشيخ أحمد مصطفي المراغي في "تفسير المراغي" سورة الكهف: "يأجوج ومأجوج هم التتر، ومأجوج هم المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى ترك، وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي، وتنتهي غربًا بما يلي بلاد التركستان".

وقال سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن": "إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول".

وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف: "الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين، المعروفة بأسماء: التتار

والمغول والهون والسيث وغير ذلك، فقد كانت هذه القبائل تغير علـــى الـــدول المتحضرة من قديم الزمان".

وفي التفسير الوسيط للقرآن الكـــريم، الصـــادر عـــن مجمـــع البحـــوث الإسلامية، والذي قام بوضعه مجموعة من كبار علماء الأزهر - تفسير ســـورة الكهف - ذكر: "إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي، وتنتهي غربًا إلى التركستان، وحددت في هضبات آسيا الوسطى وشمال الصين ما بين الـــدرجتين الســـابعة والعشـــرين والخمسين من خطوط العرض الشمالية، وبذلك تبلغ بلادهم في العـــرض ثلاثـــا وعشرين درجة".

ويقول الشيخ طنطاوي جوهري في "تفسير الجواهر" عند تفســـير ســـورة الكهف: "يأجوج ومأجوج مأخوذان من أجيج النار، وهو ضـــوءها وشـــررها، ويشيران لكثرتهم وشدتهم، وذكر بعض المحققين أن أصل المغول والتتـــر مـــن رجل واحد يقال له "ترك"، وهو نفسه الذي سماه أبو الفداء باسم "يأجوج"، فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج، وهم كانوا يشـــغلون الجزء الشمالي من آسيا، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمـــد الشمالي، وتنتهي غربًا بما يلي بلاد التركستان، كما في "فاكهة الخلفاء"، وابـــن مسكويه في "تهذيب الأخلاق" وفي "رسائل إخوان الصفا". فقد ذكروا جميعًـــا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج.

وبلاد التركستان أو بلاد الترك تنقسم الآن إلى قسمين: قسم تابع لروسيا، وقسم تابع للصين. والتابعة للروس فيها بلاد فرغانة وجنوه وبخاري وطشـــقند ونهر سيحون وجيحون".

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" - الجزء الثاني - ذكر يأجوج ومأجوج: "يأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل[68] المغول، وهم أشد بأسًا وأكثر فسادًا، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم".

ويؤكد عبد الرحمن يوسف العبد في كتابه "ذو القرنين" أن التتار والمغول هم يأجوج ومأجوج فيقول: "...من الواضح من السياق القرآني أن يأجوج ومأجوج كانوا في أقصى الشرق من العالم القديم، وأقصى الشرق في العالم القديم كانت الصين، وكانت تسمى في ذلك الوقت "بلاد كاساي"، وكذلك سهول الإستبس الرعوية التي يسكنها شعب المغول والتتار (والمغول فرعان كبيران لشعب واحد).

وجغرافيا تقع بلاد المغول أو سهول الإستبس إلى الشمال والشمال الغربي للصين في المنطقة الممتدة من هضبة التبت غربًا إلى سواحل الصين شرقًا، وبين خطي عرض ٣٠، ٥٠ شمالاً، وبهذا الموقع الجغرافي يكون التتار والمغول مجاورين للشعوب التركية الضاربة في وسط آسيا وإلى الجنوب والشرق منهم تقع الصين، وتفصلهم عن العالم الإسلامي في غرب آسيا مرتفعات آسيا الوسطى.

ولقد كان المغول والتتار سكان هذه المنطقة شعبًا رعويًا، على درجة مخيفة من الهمجية والميل لسفك الدم والعدوانية الشرسة".

---

(68) مغل: أي أشد طائفة فيهم.

الفصل الثاني

يأجوج ومأجوج

في

التوراة والإنجيل

تحدث القرآن الكريم عن خروج يأجوج مأجوج مرة من وراء السد، ومرة في زمان عيسى بعد نزوله من السماء، وقتله الدجال، كما أوضحنا ذلك في الفصول السابقة.

وذكرت التوراة والإنجيل خروج يأجوج ومأجوج في نهاية الزمان أيضًا، ولكنهما لم يتحدثا إلا عن خروج واحد لهم في زمان عيسى بعد قتله الدجال وأتباعه في حربه التي ستدور معهم على أرض فلسطين، في المعركة الكبرى أو الحرب العالمية التي يطلقون عليها "معركة هَرْمجدُّون" أو "يوم الله القادر على كل شيء" أو "الخربة الأبدية" أو "يوم الرب" أو "يوم الدينونة".

ويقول النبي حزقيال عن يأجوج ومأجوج: "وأنت يا بن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبال، وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال، وآتي بك على جبال إسرائيل"[٦٩].

".. وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرسانًا، كلهم لابسين أفخر لباس، جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف.. وجومر وكل جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوبًا كثيرين معك. استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المتجمعة إليك فصرت لهم موقرًا. بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة

---

[69] حزقيال: ٣٩: ١- ٢.

من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل... وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشى الأرض، أنت وكل جيوشك، وشعوب كثيرون معك"[٧٠].

"وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال، أنت وشعوب كثيرون معك، كلهم راكبون خيلاً، جماعة عظيمة، وجيش كثير. وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشى الأرض. في الأيام الأخيرة يكون"[٧١].

البيان:

إن يأجوج ومأجوج يسكنون أقاصي الشمال من الكرة الأرضية وحدد موقعهم في روش (روسيا) وماشك (موسكو) وتوبال (توبلسك)، وجومر وتوجرمة (شعوب أرمنيا)، وأنهم سيأتون على أرض إسرائيل في الأيام الأخيرة (نهاية الأيام)، ومعهم شعوب أخرى كثيرة من شرق وشمال آسيا.

•••

رأي مفسري الكتاب المقدس في هذه النصوص:

يفسر بعض أهل الكتاب "جوج" على أنها رمز أو اسم لرئيس روسيا، وماجوج هي يأجوج أو اسم شعب الرئيس "جوج"، وهم شعب روسيا.

والبعض الآخر يفسر جوج وماجوج على أنها رمز لشعوب يأجوج ومأجوج المعروفين بهذين الاسمين عند العرب.

فيعرف قاموس الكتاب المقدس جوج وماجوج بما يلي:

جوج وماجوج: جوج كان رئيسًا على شعب ماشك وتوبال، وماجوج كان ثاني أبناء يافث، وكان جوج أسيرًا لماشك وتوبال - أبناء يافث بن نوح والذي سمى نسلها فيما بعد على اسمها - وجوج وشعبه ماجوج يقصد بهم قبائل

([70]) السابق: ٣٨: ٤- ٩.

([71]) السابق: ٣٨: ١٥- ١٦.

السكيثيين المتوحشة، الذين كانوا يأتون من الشمال بقواتهم العظيمة فرساناً ومشاة متسلحين بالقسي. وهم رمز للوثنية في النبوءات (التوراتية والإنجيلية).

وفي القرون المتوسطة سمي السوريون بلاد التتر " ماجوج "، وأما العرب فسموا الأرض الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود "ماجوج"، وظن الأكثرون أن أهل ماجوج هم السكيثيون (الروس)(٧٢).

والبلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود هي أرمينيا وأذربيجان وتركيا.

كما يعرف قاموس الكتاب المقدس توبال وماك وروش وجومر وتوجرمة بما يلي:

توبال: اسم لخامس أولاد يافث بن نوح، وسميت ذريته على اسمه، ويرجح أنهم كانوا يقطنون البلاد الواقعة في شرق آسيا الصغرى (شرق تركيا، وهم حاليًا أرمينيا وأذربيجان وجنوب الاتحاد السوفييتي سابقًا).

ماشك: اسم لسادس أولاد يافث بن نوح، وسميت ذريته باسمه، ويرجح أنهم كانوا يقطنون الأراضي الواقعة بالقرب من ينابيع الفرات ودجلة (أي بالقرب من تركيا).

روش: اسم شعب من شعوب الشمال، ويرى البعض أنه ربما يكون هو اسم قديم لروسيا.

جومر: اسم لأول أبناء يافث بن نوح فهو بكْرُهُ، وقد قطنت ذريته جانبًا عظيمًا من آسيا الصغرى (تركيا) وما وراء القفقاس (جنوب غرب الاتحاد السوفييتي السابق)، واستوطنوا فريجية وكبادوكية. ويذكر " هيرودتس" أن "هوميروس" الشاعر الإغريقي لقبهم بأهل الشمال الأقصى في كتابه "الأوديسا".

---

(72) قاموس الكتاب المقدس. دار الثقافة. القاهرة. بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط.ص ٢٧٦، ٨٢٩.

توجرمة: ثالث أبناء جومر بن يافث بن نوح، وقطنت ذريته في أقاصي الشمال، وتوجرمة تقع في الغرب الجنوبي من بلاد أرمينيا.

ويقول المؤرخ اليهودي "يوسيفوس": إن يأجوج ومأجوج هم السيث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود(٧٣)، وهم الاتحاد السوفييتي (قبل تفككه).

ويقول "جيروم": إن مأجوج سكنوا شمال القفقاز قرب بحر الخزر(٧٤) (بحر قزوين حاليًا)، أي: أنه يعتبرهم الاتحاد السوفييتي سابقًا.

ويقول "بروس أنيستي" في كتابه "الأحداث النبوية": "إن حلف يأجوج ومأجوج المذكور في سفر حزقيال، سيضم روسيا ودولاً أخرى في أقصى الشمال"(٧٥).

ويقول "تاشد حنا" في تفسير سفر الرؤيا أصحاح ٢٠:

"الظاهر من نبوءة حزقيال أن جوج هو رئيس روسيا، فكلمة "روش" هي بعينها روسيا، وماشك هي موسكو، وتوبال هي توبلسك. ويقول النبي إن جيوشهم تأتي من أقاصي الشمال، وهو موقع روسيا...".

ويقول "رشاد فكري" في تفسير سفر حزقيال أصحاح (٣٨- ٣٩):

"إن جوج هو رئيس روسيا وموسكو، وتوبلسك وماجوج هم شعوب هذه المناطق".

ومن النصوص الواردة بسفر حزقيال وشروحها طبقًا لتفسيرات أهل الكتاب، نجد أنهم يعرفون يأجوج ومأجوج، أو جوج وماجوج حسب الأسماء الواردة عندهم بالعبرية، بأنهم الشعوب التي كانت تقطن شمال آسيا وهم الآن: دول الاتحاد السوفييتي سابقًا، وتركيا، وأرمينيا، وأذربيجان.

---

(73) نقلا عن "ثلاثة ينتظرهم العالم": عبد اللطيف عاشور ص٧٦.

(74) السابق.

(75) الأحداث النبوية من الاختطاف إلى الحالة الأبدية: بروس أنيستي. ص٣٦.

وورد بسفر حزقيال (الأصحاح الثامن والثلاثين) عدد أشير فيه إلى فارس (إيران) وكوش (أبناء كوش بن حام بن نوح) وفوط (ليبيا)، واعتبرهم مفسرو الكتاب المقدس ضمن حلف يأجوج ومأجوج.

وفيما يلي نص ما ورد بهذا العدد والأعداد السابقة واللاحقة له:

"... يا ابن آدم: اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال... وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرسانًا، كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف. فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة. وجومر وكل جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع جيشه شعوبًا كثيرين معك..."(٧٦).

وترجع التوراة نسب يأجوج ومأجوج إلى يافث بن نوح عليه السلام، وبالتالي فهي تعتبرهم من أولاد آدم؛ لأن نوح يعود نسبة إلى آدم.

وهذا يتفق مع الرواية الواردة في النصوص الإسلامية التي أكدت أنهم من أولاد يافث بن نوح.

وقد ورد نسبهم بسفر التكوين بالتوراة. وهذا هو النص:

"وهذه مواليد بني نوح: سام، وحام، ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان. بنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس"(٧٧).

ويأجوج ومأجوج- كما قال حزقيال – من أبناء ماشك وتوبال وجومر وتوجرمة. فماشك وتوبال وجومر من أبناء يافث بن نوح، أما توجرمة وأشكناز الذي ينسب إليه الأشكنازيون (من سكان روسيا) فهما من أبناء جومر بن يافث بن نوح.

وهذا هو النص الوارد بالتوراة عن أبناء جومر بن يافث بن نوح:

---

(76) حزقيال: ٣٨: ١- ٦.

(77) التكوين: ١٠: ١- ٢.

".... وبنو جومر: أشكناز وريفاث وتوجرمة"[٧٨].



(78) التكوين: ١٠: ٣.

الفصل الثالث

في

نقد الكتب التفسيرية في

موضوع يأجوج ومأجوج

أول وجه من وجوه النقد:

هو أن المرويات عن يأجوج ومأجوج ليست من الكلام الصحيح المقطوع بصحته. فالأحاديث التي نسبها الرواة إلى النبي ﷺ هي مروية بطريقة الآحاد، الذي يفيد الظن ولا يفيد اليقين؛ ولذلك قال شيخ الإسلام الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -:

إن الحكم بصحة الحديث لا يكون بتوثيق الراوي، وإنما يكون برد الحديث إلى القرآن. فإن وافقه في المعنى فهو صحيح، وإن خالفه في المعنى لا يكون صحيحًا.

واستدل على ذلك: بما روى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تعرض كل حديث تسمعه إلى القرآن. وتقول: "حسبكم كتاب الله".

وقال شيخ الإسلام: إن الحديث لكونه قد ورد عن طريق شاهد واحد. لا يصح الاحتجاج به على أي أمر من أمور العقائد الدينية. وذلك قوله رحمه الله: "لا عقيدة تقوم على خبر الواحد".

وذكر رحمه الله أمثلة على اختلاف الأحاديث وتناقضها، ومخالفتها أيضًا للقرآن في المعنى، ومنها الأحاديث المجوزة لأن يطأ الزوج زوجته في دبرها. والمجوزة للرجل الكبير الذي شهد غزوة بدر أن يرضع من ثدي امرأة؛ لتكون أمة من الرضاعة، فيدخل عليها متى شاء في غياب زوجها عنها أو حضوره. والتي تثبت الشك في صحة القرآن.

فإن مسلم بن الحجاج قد روى أنه كان فيما أنــزل مــن القــرآن عشــر رضعات يحرمن فنسخن بخمسه معلومات، ثم تُوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن.

وهذا الحديث يثبت الشك في القرآن من جهة أن آية الخمسة غير موجودة فيه. ويلزم على عدم وجودها فيه إما أن القــرآن نــاقص، وإمــا أن الحــديث ضعيف. والقول بضعف الحديث أولى من القول بالشك في القرآن؛ لأن منكــر الأحاديث ليس بكافر ولا مشرك ولا فاسق، ومنكر القرآن كله أو بعض هو كافر ومشرك وفاسق.

ذلك كله في كتاب "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث".

و أذكر ما يلي تحت عنوان "أحاديث نبوية في التوراة" لأبين به أحــوال الرواة:

أحاديث نبوية في التوراة:

١- الحديث "ملعون من غير تخوم الأرض". موجود في التوراة في التثنية (١٩: ١٤).

"لا تنقل حدود قريبك التي حددها الأولون في ميراثك الــذي ترثــه فــي الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها لترثها".

٢- الحديث "زر غبا تزدد حبا" موجود في سفر الأمثال:

"لا تكثر نقل القدم إلى بيت قريبك؛ لئلا يسأم منك فيكرهك" أمثــال (٢٥: ١٧).

٣- الحديث "صنائع المعروف تقي مصارع السوء "موجــود فــي ســفر الأمثال:

" كنوز الحرام لا تنفع، والبر ينقذ من الموت "موجود في الأمثــال (١٠: ٢).

٤- الحديث "لا تظهر الشماتة بأخيك يُعافه الله ويبتليه" موجود في الأمثال (٢٤: ١٧- ١٨).

"فإن البارّ يسقط سبع مرات وينهض، أما الأشرار فيعثرون في المصيبة. إذا سقط عدوك فلا تفرح، وإذا عثر فلا يبتهج قلبك".

٥- الحديث "لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه الشيخان.

وهو في سفر اللاويين: "فأحب صاحبك كنفسك" لا (١٨: ١٩).

٦ _ "اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى" موجود في أمثال سليمان (٣٠: ٨- ٩).

"ابعد عنى الباطل وكلام الكذب. لا تعطني الفقر ولا الغنى، بل ارزقني من الطعام ما يكفيني؛ لئلا أشبع فأجحد، وأقول: "من الرب"؟ أو أفتقر فأسرق وأعتدي على اسم إلهي".

٧- "صدقة السر تطفئ غضب الرب" موجود في الأمثال (٢١: ١٤).

"الهدية في الخفاء تفثأ الغضب والرشوة في الخط تفثأ السخط الشديد".

٨- "اللهمّ نصف الهرم". موجود في الأمثال (١٧: ٢٢).

"القلب الفرحان يطيّب الجسم، والروح المنسحقة تجفف العظم".

٩- "الندم؛ توبة" موجود في الأمثال (٢٨: ١٣).

"من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها ويتركها يرحم".

١٠- "لا يجني جان إلا على نفسه".موجود في الأمثال (٢٦: ٢٧).

"من يحفر حفرة يسقط فيها، ومن يدحرج حجرا يرجع عليه".

١١- "الحرب؛ خدعة" رواه الشيخان. في سفر الأمثال (٢٤: ٦).

"لأنك بالتدابير تعمل حرب، والخلاص بكثرة المشيرين".

١٢- "لا يدخل الجنة قتّات" هو النمّام. موجود في سفر اللاويين:

"لاتسع بصاحبك تماما" (لا ١٩: ١٦).

وفي الأمثال (١١: ١٣) "الساعي بالوشاية يفشي السر، والأمين الروح يكتم الأمر".

١٣- "إن الله يغار وغيرته أن يأتي المؤمن ما حرم الله" موجود في سفر الخروج (٢٠: ٥)

" لأني أنا الرب إلهك إله غيور".

١٤- "خالفوا المشركين وفروا اللحى" موجود في سفر اللاويين (١٩: ٢٧).

"لا تقفوا فئة رءوسكم، ولا تحت فئة ذقنك" لا تقفوا - مشدد الفاء - أي لا تحفوا الرءوس حفًا مستديرًا. ولا تحت أي ولا تتلف أي لا تفسد. وفي ترجمة "لا تقصروا رؤوسكم مستديرًا، ولا تفسد عارضيك".

١٥- ومن الأحاديث أيضًا النهي عن ثمن الكلب والدم ومهر البغي.

وفي سفر التثنية (١٧:٢٣)

"لا تكن زانية من بنات إسرائيل، ولا يكن مأبون من بني إسرائيل، لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما".

١٦- ومن الأحاديث: "من غسل الميت فليغتسل". في سفر العدد: (١٩: ١٤-١٩).

"إذا مات إنشاء في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة؛ فانه نجس. وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتًا أو عظيم إنسان أو قبرًا؛ يكون نجسًا سبعة أيام، فيأخذون للنجس من غبار حريق، ذبيحة الخطية؛ ويجعل عليه ماء حيًا في إناء، ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي

مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر، ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع. ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرخص بماء فيكون طاهرًا في المساء".

١٧- ومن الأحاديث "العين حق ". وفي سفر العدد ٢٢

"أن بالاق بين صِفُّور ملك موآب أرسل إلى بلعام بين باعوراء العائن آن يحسد ويلعن بني إسرائيل خوفًا منهم؛ فجعل الله عينه عليهم بردًا وسلامًا، وقلب لعنته بركة".

١٨- "لا تؤخذ الصدقة في هرمة ولا ذات عوار" موجود في تثنية (١٧: ١).

***

والوجه الآخر من وجوه النقد:

أن مفسري القرآن الكريم حيّروا الناس في مكان سد ذي القرنين. وذلك بتفسيرهم ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. فإنهم قالوا: إن القطر: هو النحاس المذاب.

وفي تفسير الخازن - رحمه الله - "قطرا: نحاسًا مذابًا فجعلت النار تأكل الحطب، وجعل النحاس يسيل مكان، حتى لزم الحديد النحاس" اهـ.

هذا هو كلام هذا المفسر بنصه. وقال رحمه الله في معنى {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ} "أي أذبنا له عين النحاس".

قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان بأرض اليمن. وقيل: أذاب الله لسليمان النحاس، كما ألان لداود الحديد" اهـ.

والتفسير الصحيح هو: أن القطر هو: البترول الذي يخرج من باطن الأرض. وذلك لقوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ والنحاس لا يسيل. والبترول

هو الذي يسيل. ولقوله: { أُفرِغْ} أي أصب من الأوعية، والنحاس لا يُصب من الأوعية.

يقول الأستاذ هشام كمال عبد الحميد: "وبناء على ما سبق لا يبقـــى ســـد ينطبق عليه أوصاف سد ذي القرنين، سوى "سد باب الحديد" الموجود في عمالة "بلخ" بالقرب من مدينة "ترمذ" ببلاد التركستان؛ فهذا السد الوحيد المبني من حديد مع نحاس مذاب" اهــ.

وإذا قلنا بأن ذي القرنين خلط زبر الحديد بشيء من زبر النحـــاس. ثـــم صبّ على الزبر سائل البترول؛ فإن هذا القول يكون هـــو الصـــواب. لتشـــابه النحاس والحديد في حالة الإخراج من النار. وإذا حلل المسلمون قطعة من حديد السد؛ فسوف تتبين لهم حقيقته.



الفصل الرابع
يأجوج ومأجوج
في
القرآن والتوراة

في القرآن الكريم:

١- ﴿ويَسْأَلُونَكَ عَن ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ووَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وأَمَّا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى وسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ

قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَـذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[٧٩].

٢- ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٨٠].

وفي التوراة:

"يا بن آدم. اجعل وجهك على جوج. أرض مأجوج. رئيس روش. ماشك وتوبال، وتنبأ عليه... في الأيام الأخيرة يكون...".

البيان:

من النبوءات الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ في التوراة نبوءة "يأجوج ومأجوج"، وهي على صلة وثيقة بمعركة يوم الرب.

وأصلهم من بلاد فارس وقد غزا الإسكندر الأكبر المقدوني أرضهم، وملك عليهم، وبني سدًا يُعرف الآن في عصرنا هذا بسد باب الحديد، في مدينة "بلخ"، وأفرغ على جدران السد من البترول الذي كان يخرج من العيون كما قال تعالى: {عَيْنَ القِطْرِ}.

وفي كتاب التوراة في سفر حزقيال النبي: أن قبائل يأجوج ومأجوج ستحارب المؤمنين بالنبي الآتي من شعبه ومن بني إسرائيل، في الأيام الأخيرة

([79]) الكهف: ٨٣- ٩٨.

([80]) الأنبياء: ٩٦- ٩٧.

لملك بني إسرائيل على الأرض، وهي الأيام الأولى لملك محمد ﷺ على الأرض. وأن هذه الحرب ستكون في "يوم الرب".

وقال كاتب سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: إن معركة يوم الرب في "فلسطين" ستكون في منطقة "هَرْمَجَدُّون".

وإجماع مفسري التوراة حاصل على أن هلاك "يأجوج ومأجوج"، سيكون في " يوم الرب"، في الأيام الأولى لظهور النبي الآتي الملقب بـ "المسيا ". وقد بينا أنه هو محمد رسول الله ﷺ ذلك أن معركة يأجوج في فارس ومعركة هرمجدون في فلسطين؛ هما معركة واحدة، وتقع في يوم واحد في فارس وفلسطين في آخر الأيام. ولما جاء الموعد المحدد من الله لهذه المعركة قسم المسلمون جيوشهم إلى قسمين: قسم توجه إلى فارس. وقسم توجه إلى الروم. وتمت هزيمة اليهود وشركائهم في وقت واحد في "يوم الرب".

النص:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس روش ماشك وتوبال، وتنبأ عليه وقل: هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك يأجوج رئيس روش ماشك وتوبال، وأرجعك وأضع شكائم في فكيك، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلا وفرساناً، كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم ممسكين السيوف. فارس وكوش وفوط معهم بمجن وخوذة، وجومر وكل جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوبًا كثيرين معك. استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المتجمعة إليك فصرت لهم موقرًا. بعد أيام كثيرة تُفْتَقَد. في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل، التي كانت دائمًا خَربة للذين أُخرجوا من الشعوب، وسكنوا آمنين كلهم. وتصعد وتأتي كزوبعة وتكون

كسحابة تغشى الأرض. أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك. هكــذا قــال السيد الرب.

ويكون في ذلك اليوم أن أمورًا تخطر ببالك، فتفكر فكرًا رديئًا وتقول: إني أصعد على أرض أعراء. آتي الهادئين الساكنين في أمن. كلهم ســاكنون بغيــر سور، وليس لهم عارضة ولا مصاريع لسلب السلب ولغنم الغنيمة لرد يدك على خرب معمورة، وعلى شعب مجموع من الأمم المقتني ماشية وقنية. الساكن في أعالي الأرض شبا وددان وتجارة ترشيش وكل أشبالها يقولون لك: هل لســلب سلب أنت جاء؟ هل لغنم غنيمة جمعت جماعتك. لحمل الفضة والــذهب لأخــذ الماشية والقنية لنهب عظيم؟

لذلك تنبــأ يا بن آدم وقل لجوج: هكذا قال السيد الرب. في ذلك اليوم عند سكنى شعبي إسرائيل آمنين. أفلا تعلم؟ وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال، أنت وشعوب كثيرون معك، كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجــيش كثيــر. وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشى الأرض في الأيام الأخيــرة يكــون: وآتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج.

هكذا قال السيد الرب: هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة عن يد عبيدي، أنبياء إسرائيل الذين تنبأوا في تلك الأيام سنينًا أن آتي بــك علــيهم؟ ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب: إن غضبي يصعد في أنفي. وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت: أنه في ذلك اليــوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل. فترعش أمامي ســمك البحــر وطيــور السماء ووحوش الحقل والدبابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. واستدعي السيف عليه في كل جبالي. يقول السيد الرب: فيكون سيف كل واحــد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلــى الشــعوب

الكثيرة الذين معه مطرًا جارفًا، وحجارة برد عظيمة ونارًا وكبريتًا؛ فأتعظم وأتقدس وأعرف في عيون أمم كثيرة؛ فيعلمون أني أنا الرب".

***

وأنت يا بن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوج رئيس روش. ماشك وتوبال. وأردك وأصعدك من أقاصي الشمال، وآتي بك على جبال إسرائيل. وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع، ولوحوش الحقل على وجه الحقل تسقط؛ لأني تكلمت. يقول السيد الرب: وأرسل نارًا على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين؛ فيعلمون أني أنا الرب. وأعرّف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل، ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد، فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل.

ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب: هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه. ويخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمجان والأتراس والقسي والسهام والحراب والرماح، ويوقدون بها النار سبع سنين. فلا يأخذون من الحقل عودًا، ولا يحتطبون من الوعر؛ لأنهم يحرقون السلاح بالنار، وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم.

يقول السيد الرب: ويكون في ذلك اليوم أني أعطي جوجًا موضعًا هناك للقبر في إسرائيل وادي عباريم بشرقي البحر فيسدُّ نفَس العابرين، وهناك يدفنون جوجًا وجمهوره كله، ويسمونه وادي جمهور جوج. ويقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر. كل شعب الأرض يقبرون ويكون لهم يوم تمجيدي مشهورًا.

يقول السيد الرب. ويفرزون أناسًا مستدمين عابرين في الأرض فعابرين مع العابرين. أولئك الذين بقوا على وجه الأرض تطهيرًا لها. بعد سبعة أشهر يُفحصون فيعبر العابرون في الأرض. وإذا رأى أحد عظم إنسان يبني بجانبه صوة حتى يقبره القابرون في وادي. جمهور جوج - وأيضًا اسم المدينة همونة - فيطهرون الأرض.

وأنت يا بن آدم فهكذا قال السيد الرب. قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر: اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي، التي أنا ذابحها لكم ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحمًا وتشربوا دمًا. تأكلون لحم الجبابرة، وتشربون دم رؤساء الأرض كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمَّنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع، وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي لكم. فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكل رجال الحرب.

يقول السيد الرب. وأجعل مجدي في الأمم، وجميع الأمم يرون حكمي الذي أجريته، ويدي التي جعلتها عليهم. فيعلم بيت إسرائيل أني أنا الرب إلههم من ذلك اليوم فصاعدًا. وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بإثمهم؛ لأنهم خانوني فحجبت وجهي عنهم وسلمتهم ليد مضايقيهم. فسقطوا كلهم بالسيف، كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت معهم وحجبت وجهي عنهم.

لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أرد سبي يعقوب، وأرحم كل بيت إسرائيل، وأغار على اسمي القدوس. فيحملون خزيهم وكل خياناتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف. عند إرجاعي إياهم من الشعوب، وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقدسي فيهم أمام عيون أمم كثيرين أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم، ثم جمعهم إلى أرضهم، ولا

أترك بعد هناك أحدًا منهم، ولا أحجب وجهي عنهم بعد؛ لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل. يقول السيد الرب"[81].

***

البيان:

يقول المفسرون: "ينفرد هذان الأصحاحان بين نبوءات العهد القديم، في كونهما يصفان قيام قوى أجنبية على شعب الله، بعد استهلال المُلك المَسيَّاوي".

هذا هو قولهم بنصه. ومعناه: أن أعداء محمد ﷺ سيقومون على شعبه الذي هو شعب الله. وأن الأيام الأخيرة التي ستحدث فيه هذه المعركة هي الأيام الأولى لمحمد ﷺ الذي هو " المَسِيَّا الرئيس" بلغتهم.

***

ويقول هؤلاء المفسرون:

إن قول حزقيال: "في السنين الأخيرة يشير إلى عصر ملكوت السموات، الذي سيؤسسه " الميسا". ويستدلون على ذلك بما في سفر إشعياء وهو:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون:

هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد.

يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب؛ لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائفون كالفلسطينيين ويصافحون أولاد

---

[81] حزقيال: ٣٨، ٣٩.

الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهبًا ولا نهاية لكنوزهم، وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثانًا. يسجدون لعمل أيديهم. لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل؛ فلا تغفر لهم.

ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته تُوضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يومًا على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع، وعلى كل بلُّوط باشان وعلى كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المرتفعة، وعلى كل برج عالٍ، وعلى كل سور منيع، وعلى كل سفن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة. فينخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. وتزول الأوثان بتمامها. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حقائر التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامة ليرعب الأرض"(٨٢).

ومعنى كلامهم: هو أن معركة يأجوج ومأجوج تكون في "يوم الرب" في "آخر الأيام"، الذي سيكون في "جبل بيت الرب" وهو الكعبة البيت الحرام "ثابتًا في رأس الجبال".

•••

علامات يوم الرب في نبوءة يأجوج ومأجوج:

ويقول المعلقون على الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: إن نبوءة يأجوج ومأجوج فيها علامات "يوم الرب" ومما جاء فيها: "فيرتعد من وجهي سمك البحر وطير السماء ووحش البرية، وجميع الحيوانات الدابة على وجه الأرض، وجميع البشر الذين على وجه الأرض. وتندك الجبال وتسقط الحصون والأسوار كلها إلى الأرض".

---

(82) إش: ٢.

يقول هؤلاء المعلقون: "هذه هي العلامات التي تدل على يوم الرب الديان" (راجع: إشعياء ٢: ١٠. وإرمياء ٤: ٢٤. ويوئيل ٤: ١٦).

"ادخل إلى الصخرة، اختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته"

"نظرت إلى الجبال وإذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقلت".

"يزأر الرب من صهيون[83]، ومن أورشليم يطلق صوته، فترتعش السموات والأرض، ويكون الرب حمى لشعبه إسرائيل وحصناً لهم".

ومعنى ذلك: أن فتح المسلمين ليأجوج ومأجوج يكون في الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ، ومعركة يأجوج ومأجوج ستكون من جانب يأجوج ومأجوج لهزيمة أنصار الله، الذين هم جنود النبي ﷺ. وستكون لمساعدة اليهود الكافرين به. وهزيمة اليهود الكافرين به. وهزيمة يأجوج ومأجوج في الأيام الأخيرة؛ هما يدلان على نزع ملكوت الله من اليهود، وتأسيس ملكوت النبي الأمي الآتي إلى العالم.

* * *

وقد بين حزقيال في نبوءته هذه: أن المعركة ستكون على "جبال إسرائيل"، وأن المتحالفين مع جوج هم:

١- فارس (إيران) ٢- كوش (الحبشة)

٣- فوط (ليبيا) ٤- الإمبراطورية الرومانية.

وقد أشار إليها بـ "جومر" (ألمانيا)؛ لأنها هي الحد الشرقي للإمبراطورية الرومانية.

٥- توجرمة (أرمينيا = تركيا الحالية)

* * *

---

(83) وضع صهيون أورشليم للتحريف؛ لأن النبي الآتي سيأتي من فاران من عند جبل الرب.

وهذه البلاد التي حاربت المسلمين في "يوم الرب"، فقد وجه أبو بكر الصديق ﷺ جند المسلمين إلى فارس والروم. وتم النصر للمسلمين في أيام عمر بن الخطاب في فارس وفلسطين. وَهبطت الجيوش الإسلامية إلى مصر وليبيا، وامتدت المعارك والفتوحات، حتى زال ملك بني إسرائيل من العالم.

ويقول المسيحيون: إن معركة يوم الرب لم تحدث بعد. وأن المسيح عيسى ﷺ سيظهر من قبل يوم الرب، وسيقود المعركة بنفسه أو بواسطة أنصاره. وقولهم هذا لا تشهد له الكتب. فإن المسيح قد قال فيها: "ولست أنا بعد في العالم"[٨٤]. وقال: "مملكتي ليست من هذا العالم"[٨٥].

وقد زالت الروم على يد المسلمين، ولم تزل على يد غيرهم. وفُتحت على أيديهم بلاد يأجوج ومأجوج، وانتشر فيها الإسلام كما قال الله تعالى: {واقتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ}[٨٦] بفتحها.

وقد وصف الله أصحاب محمد ﷺ في التوراة بأنهم مجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون لومة لائم. ومن ذلك قوله في سفر يوئيل النبي:

"اضربوا بالبوق في صهيون صوتوا في جبل قدسي. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم لأنه قريب. يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب مثل الفجر ممتدًا على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضًا بعده إلى سني دور فدور. قدامه نار تأكل وخلفه لهيب يحرق. الأرض قدامه كجنة عدن وخلفه قفر خرب، ولا تكون منه نجاة. كمنظر الخيل منظره ومثل الأفراس يركضون. كصريف المركبات على رءوس الجبال يثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشًا. كقوم أقوياء مصطفين للقتال. منه ترتعد الشعوب. كل

---

(84) يو: ١٧: ١١.

(85) يو: ١٨: ٣٦.

(86) الأنبياء: ٩٧.

الوجوه تجمع حمرة. يجرون كأبطال. يصعدون السور كرجال الحرب، ويمشون كل واحد في طريقه ولا يغيرون سبلهم. ولا يزاحم بعضهم بعضًا. يمشون كل واحد في سبيله، وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون. يتراكضون في المدينة يجرون على السور يصعدون إلى البيوت يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض وترتجف السماء. الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها. والرب يعطي صوته أمام جيشه. إن عسكره كثير جدًا. فإن صانع قوله قوي؛ لأن يوم الرب عظيم ومخوف جدًا. فمن يطيقه؟"(٨٧).

وهؤلاء الأصحاب فهم الذين خاضوا معارك يوم الرب، وهزموا أعداء الله. هزموا يأجوج ومأجوج وحلفائهم من اليهود الكافرين والمسيحيين الكافرين.

ومعارك يوم الرب لم تكن لصالح اليهود. وهي لنصرَة "الميسا" الآتي في أيامهم الأخيرة. واليهود يعرفون من كتب أنبيائهم أنها ليست لصالحهم، ومع ذلك تحالفوا مع الأمم ضد شعب الله الآتي.

* * *

ومما جاء في كتب الأنبياء عن أن معارك يوم الرب لن ينُصروا فيها؛ هذه النصوص:

أولاً: في سفر حزقيال:

"وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية، هكذا قال السيد الرب: انزع العمامة ارفع التاج هذه لا تلك. ارفع الوضيع وضع الرفيع. منقلبًا منقلبًا منقلبًا اجعله. هذا أيضًا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم(٨٨) فأعطيه إياه"(٨٩).

---

(87) يوئيل: ٢.

(88) الذي له الحكم: هو شيلون في نبوءة يعقوب (تك ٤٩: ١٠) وهو محمد ﷺ.

(89) حزقيال: ٢١: ٢٥- ٢٧.

ثانيًا: في سفر يوئيل:

"قول الرب الذي صار إلى يوئيل بن فنوئيل:

"اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض. هل حدث هذا في أيامكم أو في أيام آبائكم. أخبروا بنيكم عنه وبنوكم بنيهم وبنوهم دوار آخر. فضلة القمص أكلها الزحاف، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار. اصحوا أيها السكارى، وابكوا، وولولوا يا جميع شاربي الخمر على العصير؛ لأنه انقطع عن أفواهكم **إذ قد صعدت على أرضي أمة قوية بلا عدد.** أسنانها أسنان الأسد ولها أضراس اللبؤة. جعلت كرمتي خربة وتينتي مهشمة. قد قشرتها وطرحتها فابيضت قضبانها. نوحي يا أرضي كعروس مؤتزرة بمسح من أجل بعل صباها. انقطعت التقدمة والسكيب عن بيت الرب. ناحت الكهنة خدام الرب. تلف الحقل ناحت الأرض؛ لأنه قد تلف القمح، جف المسطار، ذبل الزيت. خجل الفلاحون وولول الكرامون على الحنطة وعلى الشعير؛ لأنه قد تلف حصيد الحقل. الجفنة يبست والتينة ذبلت. الرمانة والنخلة والتفاحة كل أشجار الحقل يبست. إنه قد يبست البهجة من بني البشر.

تنطقوا ونوحوا أيها الكهنة. ولولوا يا خدام المذبح. ادخلوا بيتوا بالمسوح يا خدام إلهي؛ لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب. قدسوا صومًا نادوا باعتكاف اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم، واصرخوا إلى الرب. آه على اليوم؛ لأن يوم الرب قريب يأتي كخراب من القادر على كل شيء. أما انقطع الطعام تجاه عيوننا. الفرح والابتهاج عن بيت إلهنا. عفنت الحبوب تحت مدرها؛ خلت الأهراء، انهدمت المخازن؛ لأنه قد يبس القمح. كم تئن البهائم هامت قطعان البقر؛ لأن ليس لها مرعى حتى قطعان الغنم تفنى. إليك يا رب أصرخ؛ لأن نارًا قد أكلت مراعى البرية ولهيبًا أحرق جميع أشجار

الحقل. حتى بهائم الصحراء تنظر إليك؛ لأن جداول المياه قد جفت والنار أكلت مراعي البرية"[٩٠].

***

جبال إسرائيل:

ويقول حزقيال: إن تجمع الأمم ضد النبي الآتي وضد المؤمنين به من بني إسرائيل؛ سيكون علي جبال إسرائيل. وذلك لأن المعارك ستدور في البلاد التي يملك عليها بنو إسرائيل. وهي فلسطين عاصمة ملكهم وماحولها، وفارس وما حولها. الذين يسكنون فيها تحت الجزية من أيام سبي بابل. وكانوا قد فتحوها من قبل سبي بابل، وملكوا عليها، ونشروا فيها التوراة. ويدل علي ذلك: توبة أهل نينوى علي يد يونس عليه السلام. وقصته معهم مذكورة في التوراة وفي القرآن. وقد أصدر ملك بابل أمرًا بعبادة الله ﷻ في جميع مدن المملكة. ومن النصوص الدالة على ذلك:

في سفر دانيال:

١- "وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عيني إلى السماء، فرجع إليَّ عقلي، وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي إلي الأبد، الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور. وحُسبت جميع سكان الأرض كلا شيء وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل. في ذلك الوقت رجع إليَّ عقلي وعاد إلي جلال مملكتي ومجدي وبهائي، وطلبني مشيري وعظمائي، وتثبت على مملكتي، وازدادت لي عظمة كثيرة. فالآن أنا نبوخذ نصر أسبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذي كل أعماله حق وطرقه عدل، ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله"[٩١].

---

(90) يوئيل: ١.

(91) دانيال: ٤.

٢- "فأجاب نبوخذ نصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو، الذي أرسل ملاكه، وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه، وغيروا كلمة الملك، وأسلموا أجسادهم؛ لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم. فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ ومشيخ وعبد نغو، فإنهم يصيرون إربًا إربًا، وتجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا"[٩٢].

٣- وحلم ملك بابل حلمًا، هو حلم التمثال والحجر. وقد عبره له دانيال تعبيرًا حسنًا. وفي أثناء التعبير عرفه بالله ﷻ. وحدثه عن مجيء محمد ﷺ المرموز إليه بالحجر. وقال الملك لدانيال: "حقا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار".

"حينئذ مضى دانيال إلى بيته وأعلم حننيا وميشائيل وعزريا أصحابه بالأمر؛ ليطلبوا المراحم من قبل إله السموات من جهة هذا السر؛ لكيلا يهلك دانيال وأصحابه مع سائر حكماء بابل.

حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا الليل. فبارك دانيال إله السموات. أجاب دانيال وقال: ليكن اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا، يعطي الحكماء حكمة، ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والأسرار، يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور. إياك يا إله آبائي أحمد وأسبح، الذي أعطاني الحكمة والقوة، وأعلمني الآن ما طلبناه منك؛ لأنك أعلمتنا أمر الملك. فمن أجل ذلك دخل دانيال إلى أريوخ الذي عينه الملك لإبادة حكماء بابل مضى، وقال له هكذا: لا تبدِ حكماء بابل. أدخلني إلى قدام الملك فأبين للملك التعبير.

---

(92) دانيال: ٣.

حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعًا وقال له هكذا: قد وجدت رجلاً من بني سبى يهوذا الذي يعرف الملك بالتعبير. أجاب الملك وقال لدانيال الذي اسمه بلطشاصر: هل تستطيع أنت على أن تعرفني بالحلم الذي رأيت وبتعبيره؟ أجاب دانيال قدام الملك وقال: السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون على أن يبينوه للملك، لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار. وقد عرّف الملك نبوخذ نصر ما يكون في الأيام الأخيرة. حلمك ورؤيا رأسك على فراشك هو هذا: أنت يا أيها الملك أفكارك على فراشك صعدت إلى ما يكون من بعد هذا، وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون. أما أنا فلم يكشف لي هذا السرّ لحكمة في أكثر من كل الأحياء. ولكن لكي يعرف الملك بالتعبير ولكي تعلم أفكار قلبك.

أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جدًا وقف قبالتك ومنظره هائل، رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما؛ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا، وصارت كعاصفة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيرًا وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك.

أنت أيها الملك ملك ملوك؛ لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارًا وسلطانًا وفخرًا. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك، وسلطك عليها جميعها، فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد؛ لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد

الذي يكسّر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد؛ فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين. وأصابع المقدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فبعض المملكة يكون قويًا والبعض قصمًا. وبما رأيت الحديدَ مختلطًا بخزف الطين، فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبد، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتُفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد؛ لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين.

وحينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور. فأجاب الملك دانيال وقال: حقًا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار؛ إذ استطعت على كشف هذا السر".

ومن ذلك يعلم: أن أهل فارس كانوا مسلمين على شريعة التوراة. من قبل سبي بابل بكثير. وأنه لما ظهر عيسى عليه السلام وبشر أتباعه بمحمد ﷺ في بلاد فارس، وإيران، وأفغانستان – أرض يأجوج ومأجوج –، صار أهل هذه البلاد يهودا ونصارى. والرادون لنبوة محمد ﷺ منهم ساعدوا اليهود في فارس وفلسطين ضده "في يوم الرب".

وقد عد حزقيال البلاد التي ستكون مع يأجوج ومأجوج ضد المسلمين بقوله:

"فارس وكوش وفوط معهم. كلهم بمجن وخوذة وجومر وكل جيوشه، وبيت وتوجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه. شعوبًا كثيرين معك".

وقال حزقيال[92]: إن "شبا وددان وتجار ترشيش وكل أشبالها" سيتعجبون من هذه الحرب. وشبا: هي أرض سبأ. أرض اليمن السعيد. ونوح عليه السلام أنجب

([93]) وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث. وولدهم بنون بعد الطوفان.

١- بنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس.

أ- وبنو جومر: أشكنار وريفاث وتوجرمة.

ب- وبنو ياوان: أليشة وترشيش وكتيم ودودانيم. من هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم.

٢- وبنو حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان.

أ- وبنو كوش: سبا وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا. وبنو رعمة: شبا وددان. وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض. الذي كان جبار صيد أمام الرب لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب، وكان ابتدأ مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار. من تلك الأرض خرج أشور وبني نينوى ورحوبوث عير وكالح ورسن بين نينوى، وكالح هي المدينة الكبيرة.

ومصرايم ولد: لوديم وعنايم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم، الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم.

وكنعان ولد: صيدون بكره وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوى والعرقي والسيني والأروادي والصماري والحمائي. وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، وكان تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع. هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كألسنتهم بأرضهم وأممهم. =

= ٣- وسام أبو كل بني عابر أخو يافث ولد له أيضًا بنون. بنو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام.

أ- بنو آرام: عوص وحول وجاثر وماش.

ب- وأرفكشاد ولد: شالح، وشالح ولد عابر، ولعابر ولد ابنان اسم الواحد فالج؛ لأن في أيامه قسمت الأرض، واسم أخيه يقطان. ويقطان ولد: الموداد وشالف وحضرموت ورياح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويلة = = ويوباب. وجميع هؤلاء بنو يقطان

حام، وحام أنجب كوش. وبنو كوش: سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا. وبنو رعمة: شبا وددان.

ومعني كلامه: هو أن سكان بلاد العرب سيتعجبون من تجمع هذه البلاد عليهم؛ لأنهم لا يملكون أموالاً يأخذونها بعد انتهاء الحرب، فكأن الكاتب يشير بهذا العجب إلى أنها معركة دينية.

***

الحرب للرب:

وقال حزقيال: إن في معركة يأجوج ومأجوج سينجو المؤمنون بالنبي الآتي، وسيهلك الكافرون به. وقال حزقيال: هذا الهلاك قد تنبأ به من قبلي أنبياء إسرائيل في الأيام القديمة. ووصف شدة المعركة بعبارات كنائية في غاية المبالغة تناسب شدتها. وقال فيها: إن إسرائيل ستهلك "ليكونن في ذلك اليوم ارتعاش عظيم على أرض إسرائيل" فإذا كانت إسرائيل ستهلك مع الجيوش المتحالفة مع يأجوج ومأجوج. فمن يكون هو الشعب المنتصر في هذه المعركة؟ لا بد أنه شعب غير اليهودي؛ لأن جميع الأمم في معركة يوم الرب هذه متحالفة مع اليهود. كما قال الله عنها: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[94]. والذي يدل على أن الحرب للرب، من أجل نصرة دينه الذي سيأتي به النبي ﷺ قوله: "فأتعظم وأتقدس أعرّف نفسي على عيون أمم كثيرة؛ فيعلمون أني أنا الرب".

وكل مسكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق. هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كألسنتهم بأراضيهم حسب أممهم.

هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم. ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان"(تكوين ١٠).

([94]) النمل: ٨٣.

وعبر عن أن الله هو الذي يدير هذه المعركة بواسـطة رسـلة بقولـه: "وأرسل نارًا على ماجوج، وعلى الساكنين في الجزر آمنين؛ فيعلمون أني أنـا الرب، أعرف اسمي القدوس في وسط شعبي إسرائيل، ولا أدع اسمي القـدوس يُدَنَّس بعد اليوم؛ فتعلم الأمم أني أنا الربن وأنا القدوس في إسرائيل" وقوله: "بعد اليوم" يدل على أنه لا شريعة بعد شريعة محمد ﷺ.

***

تنبؤ أنبياء بني إسرائيل بنصر الله في يوم الرب:

يقول حزقيال: "هكذا قال السيد الرب: ألست أنت الذي تكلمت عنـه فـي الأيام القديمة على ألسنة عبيدي أنبياء إسرائيل، المتنبئين في تلك الأيام وطـول السنين بأني سأجلبك عليهم...".

***

يقول المفسرون: "نجد عند الأنبياء الأقدمين تلميحات إلى اجتيـاح مقبـل على سبيل المثال: (إرمياء ٣ – ٦)، ولكن يبدو أنه يفكّر في أنبياء أقـدم مـن إرمياء. هذا هو قولهم بنصه، وهو يظهر أن التوراة محرفة؛ لأن إرمياء معاصر لحزقيال، ولكن ما يشبه ما كان عند الأنبياء الأقدمين. في الأصحاح الثالث إلـى نهاية السادس.

وذلك لأن الأنبياء الأقدمين رددوا ما قاله موسى عليه السلام عن النبـي الآتـي، وهو أنه إذا جاء يهلك الكافرين به من اليهود الأمم، في الأيام الأولى لظهوره.

وقد ردد كلامه كاتب سفر أعمال الرسل. فقال:

"والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضًا. وأمـا الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا. فتوبـوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب. ويرسل يسوعَ المبشر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم

عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء: إن نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل فما بعده. جميع الذين تكلموا؛ سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض"[٩٥].

ومحرف سفر الأعمال وضع عيسى ﷺ مكان محمد ﷺ، وهو يعلم أن الأيام الأخيرة لم تكن في زمانه.

***

ونكتفي بذكر الأصحاح السادس من إرمياء للدلالة على نزع الملك من اليهود في "يوم الرب ":

"اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم، واضربوا بالبوق في تقوع، وعلى بيت هكاريم ارفعوا علم نار؛ لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم. الجميلة اللطيفة ابنة صهيون أهلكها. إليها تأتي الرعاة وقطعانهم، ينصبون عندها خيامًا حواليها يرعون كل واحد في مكانه، قدسوا عليها حربًا قوموا فنصعد في الظهيرة. ويل لنا؛ لأن النهار مال؛ لأن ظلال المساء امتدت. قوموا فنصعد في الليل ونهدم قصورها.

لأنه هكذا قال رب الجنود: اقطعوا أشجارًا. أقيموا حول أورشليم مترسة. هي المدينة المعاقبة. كلها ظلم في وسطها. كما تنبع العين مياهها هكذا تنبع هي شرها. ظلم وخطف يُسمع فيها. أمامي دائمًا مرض وضرب. تأدبي يا أورشليم؛ لئلا تجفوك نفسي؛ لئلا أجعلك خرابًا أرضًا غير مسكونة.

([95]) أعمال: ٣.

هكذا قال رب الجنود. تعليلاً يعللون كجفنة بقية إسرائيل. رد يدك كقاطف إلى السلال. من أكلمهم وأنذرهم فيسمعوا؟ ها إن أذنهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا. ها إن كلمة الرب صارت لهم عار، لا يُسرون بها. فامتلأتُ من غيظ الرب مللت الطاقة. اسكبه على الأطفال في الخارج وعلى مجلس الشبان معًا؛ لأن الرجل والمرأة يؤخذان كلاهما والشيخ مع الممتلئ أيامًا. وتتحول بيوتهم إلى آخرين. الحقول والنساء معًا؛ لأني أمد يدي على سكان الأرض. يقول الرب: لأنهم من صَغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح. ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب، ويشفون كسر بيت شعبي على عثم قائلين: سلام ولا سلام. هل خزوا لأنهم عملوا رجسًا؟ بل لم يخزوا خزيًا ولم يعرفوا الخجل؛ لذلك يسقطون بين الساقطين. في وقت معاقبتهم يعثرون. قال الرب.

هكذا قال الرب: قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح؟ وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم، ولكنهم قالوا لا نسير فيه. وأقمتُ عليكم رقباء قائلين: اصغوا لصوت البوق. فقالوا: لا نصغي. لذلك اسمعوا يا أيها الشعوب، واعرفي أيتها الجماعة ما هو بينهم. اسمعي أيتها الأرض هأنذا جالب شرًا على هذا الشعب. ثمر أفكارهم؛ لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها. لماذا يأتي لي اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة؟ محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذَ لي. لذلك هكذا قال الرب: هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات فيعثر بها الآباء والأبناء معًا. الجار وصاحبه يبيدان. هكذا قال الرب. هو ذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض. تمسك القوس والرمح. هي قاسية لا ترحم. صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربتك يا بنة صهيون. سمعنا خبرها. ارتخت أيدينا أمسكنا ضيق ووجع كالمخاض. لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا؛ لأن سيف العدو خوف من كل جهة.

يا بنة شعبي تنطقي بمسح وتمرغي في الرماد. نوح وحيدًا اصنعي لنفسك مناحة مرة؛ لأن المخرب يأتي علينا بغتة. قد جعلتك برجًا في شعبي حصنًا لتعرف وتمتحن طريقهم. كلهم عصاة متمردون ساعون في الوشاية. هم نحاس وحديد كلهم مفسدون. احترق المنفاخ من النار. فني الرصاص. باطلاً صاغ الصائغ، والأشرار لا يُفرزون. فضة مرفوضة يُدعَوْن؛ لأن الرب قد رفضهم"[96].

***

عودة يأجوج ومأجوج إلى الله:

ولقد بينا من قبل أن بني إسرائيل فتحوا بلاد فارس وبلاد يأجوج ومأجوج. وملكوا عليها، ونشروا فيها الإسلام على شريعة موسى. فإن يونس ﷺ كان قد توجّه من قبل الله إلى نينوى؛ ليأمرهم بالتوبة إلى الله. وعصيانهم يدل على أنهم قد آمنوا بالله وقلبوا شريعته. ولما زحزحهم الشيطان عن الطاعة؛ وعظهم يونس. وانتفعوا بوعظه. ففي سفر يونان:

"... وناد لها المناداة التي أنا مكلمك بها".

فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب. أما نِينَوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام. فابتدأ يُونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى وقال: بعد أربعين يومًا تنقلب نِينوَىَ.

فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، ولبسوا مُسوحًا من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع رداءه عنه، وتغطى بمسح، وجلس على الرماد. ونودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئًا. لا ترع ولا تشرب ماء. وليتغط بمسوح الناسُ والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة، ويرجعوا كل واحد عن

---

(96) إرمياء: ٦.

طريقه الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حُمُوّ غضبه؛ فلا نهلك.

فلما رأي الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة؛ ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم؛ فلم يصنعه.

فغم ذلك يونان غمًا شديدًا فاغتاظ وصلّى إلى الرب وقال: آه يا رب أليس هذا كلامي إذا كنت بعد في أرضي؟ لذلك بادرت إلى الهرب إلى تَرشِيش؛ لأني علمت أنك إله رءوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي مني؛ لأن موتي خير من حياتي. فقال الرب: هل اغتظتَ بالصواب؟

وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلة، وجلس تحتها في الظل حتى يرى ماذا يحدث في المدينة. فأعد الرب الإله يقطِينة فارتفعت فوق يونان؛ لتكون ظلاً على رأسه لكي يخلصه من غمه. ففرح يُونان من أجل اليقطينة فرحًا عظيمًا. ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر في الغد؛ فضربت اليقطينة فيبست. وحدث عند طلوع الشمس أنَّ الله أعد ريحًا شرقية حارة، فضربت الشمس على رأس يونان فذبل. فطلب لنفسه الموت وقال: "موتي خير من حياتي".

فقال الله ليونان: "هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟ فقال: اغتظت بالصواب حتى الموت. فقال الرب: أنت شَفِقتَ على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشْفَقُ أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس، الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة"[٩٧].

([97]) يونان: ٣، ٤.

وفي القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[98].

وفي الإنجيل يذم المسيح اليهود على عدم توبتهم، ويذكرهم بقوم يونس، وهم من عراق العرب، وأيضًا يذكرهم بملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وهم ليسوا من اليهود.

يقول المسيح عيسى عليه السلام:

"رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه؛ لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهو ذا أعظم من يونان ها هنا.

ملكة التيْمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه؛ لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهو ذا أعظم من سليمان ها هنا"[99].

وعبر حزقيال بعودة يأجوج ومأجوج إلى دين الله بقوله: "وأرجعك وأضع شكائم في فكّيك..." ولكنه لا يرجعهم إليه دين موسى. وذلك لأن النبي المكتوب عنه في التوراة هو الذي يحاربهم مع اليهود والأمم التي نأت عن شريعته للدخول في دينه. وقد عبر الله عن هذا المعنى بقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[100].

ويقول مفسرو التوراة: إنه من بعد هزيمة يأجوج ومأجوج "يستولي الرب على جوج، ويكرهه على الطاعة". يعنون: أنهم سيدخلون في مملكة الرب الجديدة. أي أن الحرب دينية لإقرار دين جديد في الأرض. ولذلك ختم الكلام

([98]) يونس: ٩٨.

([99]) متى: ١٢: ٤١- ٤٢.

([100]) الأنبياء: ٩٥.

عن المعركة بقوله: فأجعل مجدي في الأمم، وترى جميع الأمم حكمـــي الـــذي أجريته، ويدي التي وضعتها عليها".

***

جُوج:

في القرآن يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ[١٠١] ولم يذكر اسم "جوج". وفي التوراة: "اجعل وجهك نحو جوج في أرض ماجوج. رئيس وقائد ماشك وتوبل". ماشك وتوبال: هما بلدان من آسيا الصغرى (راجع: حز ٢٧: ١٣، وإش ١٦: ٢١). ويرد ذكر " أرض جوج" في هذه الفقرة وفي حزقيال ٣٩: ٦ فقط.

وتعنى كلمة "مأجوج": "أرض جوج" أما جوج فمن العبث أن نحـــاول أن نعرف شيئًا عنه. لعل وصفه مقتبس من ملامح عدة شخصيات معاصرة مهمـــا يكن من أمر؛ فإنه مصور بصورة مثال الفاتح البربري الـــذي ســـيجلب علـــى إسرائيل في مستقبل بعيد وغير واضح؛ ما سيصيبه من محن أخيرة[١٠٢]. أهـــ

وفي القرآن الكريم: ﴿وهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[١٠٣] وهو يشير إلى اليهود الذي قال لهم مهيجًا على الإيمان: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِـــدَةً وأَنَـــا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١٠٤].

هؤلاء اليهود الذين لما بعث محمد ﷺ تقلبوا في البلاد لحشر اليهود والأمم في فلسطين وغيرها لحربه. وقد استجاب لهم فارس وكوش وفوط وجومر وبيت توجرمة وشعوب كثيرة؛ أتوا من كل حدب ينسلون إلى فلســـطين. وغرضـــهم:

([101]) الأنبياء: ٩٦.

([102]) تعليق دار المشرق بلبنان

([103]) الأنبياء: ٩٦.

([104]) الأنبياء: ٩٢.

إبادة جيش المسلمين الذي بعثه أبو بكر الصديق ﷺ لفتحها. ثم النزول إلى أرض العرب الآمنة والناجية من تحكم الأمم الوثنية عليهم. ووصف نيتهم ضد العرب المسلمين بقوله: إنهم يفكرون في قلوبهم أن يصلوا إلـى أرض المـدن غيـر المسورة؛ كناية عن إنها أرض بدو وخيام. وليس لبيوتهم أسوار ولا مزاليج ولا مصاريع. والسبب في هجومهم على هذه الأرض الآمنة: أنهم هل يريدون السلب والنهب والماشية والأموال من هذا الشعب الآمن، الذي يسكن وسط الأرض ؟

***

قلب الأرض المقدسة والشعب الذي يسكن في وسط الأرض:

هم شعب العرب؛ لأن مكة المكرمة في وسط الأرض. ولأنه تكلم عن شبا وددان، وهم مجاورون لمكة. والترجمة اللفظية "سُرّة الأرض"، وليست أورشليم سُرّة الأرض؛ أي مركز العالم. وفي ترجمة "أعـالي الأرض"، وفـي ترجمـة "مركز الأرض".

The center of the land

وترجمة الكتاب المقدس في الشرق الأوسـط هـي:"لأقـتحم الخرائـب المسكونة، وأسلب وأنهب الشعب الذين اجتمعوا من بين الأمم واقتنـوا ماشـية ومتاعًا. وسكنوا في قلب الأرض المقدسة"[105].

ولا توجد أرض مقدسة في العالم غير أرض مكة المكرمة.

***

فتح بلاد يأجوج ومأجوج:

وقد تكلم القرآن عن بلاد يأجوج ومأجوج وجميع جيوشهم وشعوب كثيرة. فقال: إن بلادهم يفتحها أصحاب النبي ﷺ، وينشرون فيها الإسـلام، ويملكـون

([105]) حزقيال: ٣٨: ١٢.

عليها في معارك "يوم الرب". وقال: إننا وعدنا المسلمين بهـا ﴿واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ﴾[106] بفتحها. ويوم تدور المعارك وتكون الدائرة على اليهود ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[107] الذين هم اليهود. ويقولون إذ يـرون نـزع الملك منهم: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾[108] الفتح. وهذا يدل على أن أنبياءهم حذروهم من إهلاكهم، وغفلوا من هذا التحذير ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[109] لبني إسماعيل؛ إذ منعناهم عن التملك على الأمم بحجة أن الوعود فـي إسـحق وليست في إسماعيل. والتعبير بقوله:{واقْتَرَبَ} قد تحقق فـي أيـام عمـر بـن الخطاب ﷺ فقد تمت الفتوحات في أيامه.

وفي سورة الكهف:

يخبر عن بناء الإسكندر الأكبر ذي القرنين للسد. ويحكى عن الإسـكندر قوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ وتم الكلام عند هذا الحد. ثم حكى قول محمد ﷺ وهو: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾ أي إذا جاء وعد الله بفتح هذه البلاد ونشر القرآن فيها؛ منع الحاجز بين المسـلمين وجعـل بلادهم بلدًا واحدًا.

وتكلم عن كيفية تحقيق الوعد بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِـي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾[110] شبههم بالأمواج التي لا تسـتقر

---

(106) الأنبياء: ٩٧.

(107) الأنبياء: ٩٧.

(108) الأنبياء: ٩٧.

(109) الأنبياء: ٩٧.

(110) الكهف: ٩٩.

على حال؛ لأن منهم الشديد العداوة للمسلمين، ومنهم المؤمن في السر. وهذا إذا رأي جند المسلمين؛ فإنه سينضم إليهم. وإذا ابتدأت المعارك يُنفخ في الصور كناية عن الإخبار بالقدوم إلى هذه المعركة. وإذا سمعوا النفخ أتوا من كل فج عميق {فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً}

•••

عرض جهنم في معركة يوم الرب:

والمراد بعرض جهنم: هو الهلاك للكافرين بمحمد ﷺ في معركة يوم الرب؛ وذلك لأن اليهودي الذي سيقتل في هذه المعركة، سيدخل جهنم من بعد القتل مباشرة؛ وذلك لأن الإحساس مفقود في المدة من الموت إلى الحياة في الدار الآخرة. على حد قوله ﷺ: "من مات فقد قامت قيامته". ومثل هذا ما جاء في القرآن عن قوم نوح عليه السلام وهو: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾[111]. لأنهم من بعد الغرق فقدوا الإحساس لما فقدوا الجسد. فإذا أُحيوا في القيامة؛ لا تحسب لهم مدة، شبه النائم الذي ينام ويستيقظ، فلا يعلم أنام قليلاً أم نام كثيرًا.

وفي سفر إشعياء عن عرض جهنم؛ وعن حشر الأمم والممالك الكافرة في يوم الرب، وعن إقبال الأمم الطاهرة على دين الإسلام، وعن تغير الشريعة القديمة بالشريعة الجديدة. ما نصه:

"لأنه هو ذا الرب يأتي في النار ومركباته كالزوبعة ليروى غليل غضبه بحنق وتهديده بلهيب نار؛ لأن الرب بالنار والسيف يحاكم كل بشر، ويكون قتلى الرب كثيرين. إن الذين يقدّسون أنفسهم ويطهرونها في الجنائن وراء واحد في الوسط، ويأكلوا لحم الخنزير والحيوان النجس والفأر؛ يفنون معًا. يقول الرب:

"إما أنا فنظرًا إلى أعمالهم وأفكارهم، قد حان أن أحشر جميع الأمم والألسنة، فتأتي وترى مجدي، وأجعل بينهم آية، وأرسل ناجين منهم إلى الأمم.

([111]) نوح: ٢٥.

إلى ترشيش وفول ولود، التي تشد القسي، وتوبل وياوان والجزر البعيدة، التي لم تسمع بسمعتي، ولم تر مجدي، فينادون بمجدي بين الأمم، ويأتون بجميع إخوتكم من جميع الأمم تقدمة للرب. على الخيل والمركبات والهوادج والبغال والمحامل، إلى جبل قدسي أورشليم. قال الرب: كما يأتي بنو إسرائيل بالتقدمة في إناء طاهر إلى بيت الرب. ومنها أيضًا أتخذ كهنة ولاويين. قال الرب:

لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أصنعها تدوم أمامي. يقول الرب: فكذلك تدوم ذريتكم واسمكم. ومن رأس شهر إلى رأس شهر، ومن سبت إلى سبت. كل بشر يأتي ليسجد أمامي، قال الرب:

ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوني؛ لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل بشر"[١١٢].

***

مناقشة:

قوله في هذه النبوءة "فكذلك تدوم ذريتكم واسمكم" ليس للكافرين بالنبي ﷺ من اليهود. وإنما هو لمن يؤمن به منهم في حال بعثته. ويدل على ذلك: النبوءات التي تدل على هلاك اليهود الكافرين به في "يوم الرب" على يده ﷺ، ومن هذه النبوءات: "وكان إليَّ كلام الرب قائلاً:

يا بن آدم ماذا يكون عود الكرم فوق كل عود. أو فوق القضيب الذي من شجر الوعر؟ هل يؤخذ منه عود لاصطناع عمل ما أو يأخذون منه وتدًا ليعلق عليه إناء ما؟ هو ذا يطرح أكلاً للنار تؤكل النار طرفيه ويحرق وسطه فهل يصلح لعمل؟ هو ذا حين كان صحيحًا لم يكن يصلح لعمل ما، فكم بالحري لا يصلح بعد العمل إذا أكلته النار فاحترق.

---

(112) إشعياء: ٦٦: ٢٧..

لذلك هكذا قال السيد الرب: مثل عود الكرم بين عيدان الوعر التي بذلتها أكلاً للنار كذلك أبذل سكان أورشليم. وأجعل وجهي ضدّهم. يخرجون من نار فتأكلهم نار فتعلمون أني أنا الرب حين أجعل وجهي ضدّهم، وأجعل الأرض خرابًا؛ لأنهم خانوا خيانة، يقول السيد الرب"[١١٣].

لاحظ: "يخرجون من نار فتأكلهم نار" أي من معركة إلى معركة. وشبه شدة القتل فيهم بالنار.

التوبة عند معاينة الإهلاك:

وفي سورة الأنبياء يخاطب الله بني إسرائيل بقوله: إنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤) وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[١١٤].

يريد أن يقول لهم: إن أنبياءكم قد أنذروكم بيوم الرب. وقد اقترب مجيئه. فمن الآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾.

([113]) حزقيال: ١٥.

([114]) الأنبياء: ٩٢- ٩٧.

واعلموا علم اليقين: أنه سبق في علمنا[١١٥] أن الذين نريد إهلاكهم بذنوبهم؛ ننذرهم من قبل وقوع الإهلاك. فإذا استمروا في الذنوب. وابتدأنا في

([115]) في كتب التفسير:
١- حرام على قرية: أي وجب. يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلكوا؛ أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة
٢- إنهم لا يرجعون: أي لا يتوبون.
٣- وحرام على قرية حكمنا باستئصالها؛ أو بالختم على قلوبها؛ أن يتقبل منهم عمل. لأنهم لا يرجعون: أي لا يتوبون.
وكتاب التوراة يصرحون بعذاب واقع على اليهود ليس له دافع. به ينتهي ملكهم إلى الأبد في العالم. ويموهون على الأميين بأنه كان في سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م. وإذا كانت كتب التوراة كلها مكتوبة بعد سبي بابل فما هي الفائدة من نزول العذاب عليهم في السبي؟ ولأنهم كتبوا أن العذاب يكون على زوال مملكة الروم؛ يكون العذاب على يد المسلمين. وكتبوا في التوراة أن العذاب ليس له دافع لأن يرجعوا إلى الله. ففي سفر إرمياء:
"إرفعي عينيك وانظري المقبلين من الشمال. أين القطيع الذي أعطى لك؟ أين غنم فخرك؟ ماذا تقولين إذا عاقبك من علمتهم. أول من يأتي عليك القاوك. أفلا يأخذك المخاض كالمرأة التي تلد؟
وإن قلت في قلبك: لماذا أصابتني هذه؟
فللكثرة إثمك كشفت أذيالك فاغتصبت. هل يغير الحبشي جلده والنمر رقطه؟ وأنتم، فهل تقتدون أن تصنعوا الخير وأنتم معتادون الشر؟
إني سأشتتهم كالقش الذي تذهب به ريح البرية.
هذا نصيبك والقسمة المكيلة لك من لدني؛ يقول الرب: لأنك نسيتني وتوكلت على الكذب. فأنا أيضًا رفعت أذيالك على وجهك. فنظر عارك فسقك وصهيلك، وفحش زناك على التلال، وفي الحقول رأيت أقذارك. ويل لك يا أورشليم إنك لا تطهرين، فإلى متى بعد؟" (إرمياء ١٣: ٢٠-٢٧)
ترجمة أخرى: "هل يغير الحبشي بشرته، والنمر جلده المرقط؟ إذن تقدرون أنتم أن تصنعوا الخير وأنتم تعودتم الشر".

إحداث الإهلاك. فإن من يعانيه ويريد أن يتوب ليتخلص منه؛ فإن التوبة لن تنجيه من الإهلاك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[116].

وههنا يقول: إن فتح بلاد يأجوج ومأجوج سيتم من قبل فتح فلسطين. حتى إذا فتحت بلادهم، ووصل الإهلاك إلى اليهود في فلسطين، وأرادوا النجاة منه بالتوبة؛ فإن التوبة لا تنفعهم. هذا هو معنى ﴿وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[117]. أي ابتدأنا في إهلاكها بعد الإنذار {أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ} أي لا ينفعهم الرجوع إلى الله للإفلات من الإهلاك. وهذا مثل قوله: ﴿وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[118]. وهو في موضوع يوم الرب. وفي كتب التواريخ: أن انتصار المسلمين على بلاد فارس كان من قبل انتصارهم على اليهود في فلسطين.

***

الكلام عن الإسكندر الأكبر في التوراة:

كان أن الإسكندر بن فيلبس المقدوني، بعد أن خرج من أرض كتيم وكسر داريوس، ملك فارس وميديا، وملك مكانه مبتدئًا باليونان؛ شن حروبًا كثيرة وفتح حصونًا وقتل المنطقة، واجتاز إلى أقاصي الأرض وسلب غنائم جمهور من

ترجمة كتاب الحياة: "هل يمكن للإثيوبي أن يغير جلده أو للنمر رقطه؟ كذلك أنتم لا تقدرون أن تصنعوا خيرًا بعد أن ألفتم ارتكاب الشر".

وهذا يوافق معنى ما جاء في القرآن عن اليهود أنهم لا يرجعون.

(116) الأنعام: ١٥٨.

(117) الأنبياء: ٩٥.

(118) يونس: ٣٣.

الأمم وسكتت الأرض بين يديه، فترفع في قلبه وتشامخ. وحشد جيشًا قويًا جدًا، وأخضع البلاد والأمم والسلاطين؛ فكانوا يدفعون له الجزية. وبعد ذلك لزم الفراش وعرف أنه يُشرف على الموت. فدعا أشراف ضباطه الذين تربّوا معه منذ الصبا، فقسم مملكته بينهم وهو لا يزال حيًا. وكان الإسكندر قد ملك اثنتي عشرة سنة حين مات. فتولى ضباطه الملك كل واحد في منطقته. ولبس كل منهم التاج بعد وفاته، وكذلك بنوهم من بعدهم، سنين كثيرة، فأكثروا من الشرور في الأرض... إلخ"[119].

***

رأي المسيحيين المعاصرين في نبوءة يأجوج ومأجوج:

مكتوب في أسفار التوراة والأناجيل: أن النبي الأمي الآتي على مثال موسى ﷺ يظهر في نهاية حكم الروم على فلسطين، وأنه سيشن حربًا على الروم، وينتصر عليها، ويؤسس للرب مملكة تبقى إلى الأبد. وهذا النصر سيكون من الله نفسه؛ لأن الحرب له. وقد ظهر محمد رسول الله ﷺ في نهاية حكم الروم، وانتصر عليهم، وملك على فلسطين، وأسس "مملكة الرب" طبقًا لنبوءة دانيال وغيره.

وقد رأي المسيحيون في العالم إحياء الإمبراطورية الرومانية في هذا العصر؛ ليُهموا العالم أنها ما تزال قائمة، وأن النبي الذي سيأتي ليزلها لم يأت بعد - وهو في نظرهم المسيح عيسى ﷺ - لذلك اتحدوا تحت شعار السوق الأوربية المشتركة والاتحاد الأوربي. وأعادوا العملة النقدية لروما، وهي "اليورو"، واتفقوا على إبعاد الدين المسيحي من الدستور؛ ليدخلوا في هذا الاتحاد "تركيا" ودولاً إسلامية كانت قبل دمار روما من أملاكها. وقالوا للعالم: ها إن الإمبراطورية الرومانية قد عادت. وسوف يظهر "المسيح" قريبًا ليؤسس "مملكة

([119]) المكابيين الأول: ١: ١- ٩.

الرب"، وليقاتل يأجوج ومأجوج، وليملك على العالم ألف سنة ملكًا ظاهرًا منظورًا.

وأيام مملكة الروم كان الروم مسيحيون، وهم طائفة من اليهود. وكان الفرس على دين اليهود من قبل سبي بابل ومن بعده إلى ظهور محمد ﷺ، وكان في الفرس مسيحيون من طائفة النساطرة والأرمن. وما تزال الكنائس الأشورية موجودة. ومعنى هذا: أن اليهود هم الذين كانوا يحكمون العالم. إما بأنفسهم وإما بطوائف منهم، ولكنهم كذبوا على العالم فقالوا: إن أهل فارس كانوا يعبدون النيران. ولم يكونوا على شريعة التوراة. والحق: أن المجوس كانوا طائفة في بلاد فارس، وهجروا معابد النيران وآمنوا بالله على شريعة التوراة. وفي فارس كان ماني الفارسي وأتباعه. وهم من النصارى. وكان مذهب النصارى منتشرًا في الهند من أيام " تُوما" الحواري. وكان الصابئون أتباع يحيي عليه السلام في حران، وما بين دجلة والفرات - والصابئون طائفة من اليهود -. وكان اليهود يحكمون على اليمن وما جاورها. ويوهمون العالم أن الفرس هم الحاكمون. وكان سكان على شريعة التوراة، وتنصر بعض اليهود فيها بقوة أهل الروم. ودول إفريقيا من ليبيا إلى الأندلس، كانت شريعة موسى فيهم وكذلك الأندلس. وكانت دول المملكة الرومانية يعيش فيها بجانب المسيحيين.

***

ويقول عَزرا في الأصحاح الأول من سفره:

"هكذا قال قورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض قد أعطانيها الرب إله السموات".

ويعلق على قوله هذا علماء دار المشرق بلبنان بقولهم:

"كان ملوك فارس متساهلين جدًا على وجه عام في شأن عبادات الهياكل، التي استولوا عليها. فقد رمموها ودعموها مع مراقبتهم لها. وقد استوحت

سيادتهم الدينية نحو الدين اليهودي من المبادئ نفسها. ولربمـــا اســتفاد الـــدين اليهودي أيضًا من حظوة خاصة بسبب الشبه بين الرب الذي كانوا يسمونه دائمًا "إله السماء" في الوثائق الرسمية، والإله الأعلى الذي كان ملوك الفرس يعترفون به" اهـــ.

فلما دارت المعارك في "يوم الرب" دارت بين اليهود الكافرين وشركائهم من طوائف دينهم. وبين المسلمين أتباع محمد ﷺ.

***

وفي عصرنا هذا يسعى اليهود والمسيحيون معًا على إعادة ملكهم علـــى العالم، وذلك بوضع قواعد عسكرية لهم في جميع البلاد التي يملك عليها اليهود والمسيحيون (الروم)، وإذا تم لهم هذا يعلنون عن قرب ظهور "المسيح" - الذي هو في نظرهم عيسى بن مريم عليه السلام -.

والبلاد التي يريدون وضع قواعد عسكرية فيها لهم. أعلنوا عن أســمائها وهي: روسيا وأفغانستان - منطقة جوج - وإيران والعراق وسوريا وفلســطين والأردن ومصر وليبيا والحبشة ودول المغرب العربي وإسبانيا (ترشســش)... إلخ. ومعنى أنهم يحتلون دولة من هذه الدول بالقوة العسكرية ويضـــعون فيهـــا قواعد لهم؛ أن هذه الدولة كانت من أملاكهم، وكانت على دينهم.

وقد أشار الله إلى فعلهم هذا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْـــرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْـــتُمْ عَيْلَـــةً فَسَـــوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَـــاتِلُوا الَّـــذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَـــدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـــاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّـــهِ ذَلِـــكَ

قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[١٢٠].

***

الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم بلسانهم:

"في ذلك اليوم. يوم يأتي جُوج على أرض إسرائيل. يقول السيد الرب: يطلع سُخطي في أنفي، وغيرتي ونار غضبي؛ تكلمتُ. ليكونن في ذلك اليوم ارتعاش عظيم على أرض إسرائيل؛ فيرتعش من وجهي سمك البحر؛ وطير السماء، ووحوش الحقل، وجميع الزحافات التي تدب على الأرض، وجميع البشر الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط منحدراتها. وكل سور يسقط إلى الأرض... إلخ"[١٢١].

البيان:

البيان الأول:

زيادات الصفات عن الذات

لو أنك نظرت إلى رجل يجلس أمامك على كرسي؛ فإنك ترى اثنين هما: ١- الرجل ٢- والكرسي. وإذا تكلم الرجل بكلام مسموع. فإنك لا ترى الكلام المسموع جسمًا ثالثًا، منفصلاً عن الرجل ومنفصلاً عن الكرسي. إن هو قام ورفع الكرسي عن الأرض؛ فإنك لا ترى القدرة جسمًا ثالثًا منفصلاً عن الرجل

---

(120) التوبة: ٢٨: ٣٢.

(121) حزقيال: ٣٨: ١٨- ٢٠ دار المشرق.

ومنفصلاً عن الكرسي. فصفة الكلام والقدرة ليستا زائدتين عن ذات الرجل، وليستا منفصلتين عنه. حتى يقال: ١- الرجل ٢- والصفة؛ اثنان. وحتى يقال: إن الصفة زائدة على الذات.

ولو أنك قست الله على الرجل - من باب تقريب المعاني إلى عقول المخاطبين - لقلت: الله ذات موصوف بالصفات الحسنة، والصفات الحسنة في ذاته، غير زائدة عنها. فهو ﷻ واحد موصوف بالقدرة وبالإرادة وبالعلم وبالسمع وبالبصر...إلخ. وهذه الصفات فيه، وغير زائدة عليه.

وهو كان في البدء ولا شيء معه. وكل المخلوقات منه وهي من بعده. فإذا هو قديم، وإذ صفاته فيه. فإنها تكون قديمة قدمه. فإذا قلنا الله قديم، وبأن القدرة قديمة، وقلنا بزيادة القدرة على الله، نكون مثبتين بالزيادة تعدد القدماء. أي تعدد الله صفاته. وتعدد الصفات مع القول بزيادتها يُوهم تعدد الآلهة. ولمنع هذا التوهم قال علماء المعتزلة - رضي الله عنهم -: إن إثبات صفات لله هي زائدة على ذاته؛ لا يصح اعتقاده من مسلم.

وقالت الحنابلة: إن صفات الله زائدة على ذاته، ولئلا يلزمهم تعدد القدماء؛ قالوا: هي زائدة، ولكنها غير منفكة عن الذات.

ويقول الحنابلة في كتبهم- والأشاعرة أيضًا -: إن المعتزلة ينكرون الصفات. وقولهم هذا غرضهم منه: إيهام الأميين والسذج أن المعتزلة لا يعظمون الله ولا يمجدونه. وكان يجب عليهم - للأمانة العلمية - أن يكتبوا عنهم: "إن المعتزلة ينكرون زيادة الصفات" فإنهم لا ينكرون الصفات وإنما ينكرون زيادتها.

البيان الآخر:

تكلم الله عن نفسه بلسان بني آدم

١- في كتاب الله تعالى: أنه ينسى، ويحجب وجهه عن الكافرين به من عباده، ويغضب، ويمكر، ويستهزئ بالكافرين، ويخدع. وما يشبه ذلك. وهذا أيضًا في كتاب التوراة.

٢- وفي كتاب الله تعالى: أن الله له يدين، ورجلين، وعينين. وما يشبه ذلك. وهذا أيضًا في كتاب التوراة.

وقد قال علماء بني إسرائيل في ذات الله وصفاته:

إن خالق العالم هو الله وحده، وليس كمثله شيء. وأنه لما قال عن نفسه إنه ينسى، ويحجب وجه، ويتأسف في قلبه... إلخ. غرضه من هذا القول: هو أن يكلم الناس عن نفسه بلسانهم على قدر عقولهم؛ ليقدروا على تصور ذاته. أما هو ﷻ فإنه لا تجوز عليه الصفات البشرية بوجه من الوجوه.

وأنه لما قال عن نفسه إنه يتكلم ويبني... إلخ. غرضه من هذا القول: هو نفس غرضه من إثبات النسيان لذاته. وهو أنه يتكلم بحسب لسان بني آدم.

والدليل على أنه يتكلم بحسب لسان بني آدم: أنه ذكر في التوراة استواءه على العرش[122].

---

(122) (١) " بمراحم الرب أغنى إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي. لأني قلت: إن الرحمة إلى الدهر تبني السموات تثبت فيها حقك. قطعت عهدًا مع مختاري. حلفت لداود عبدي إلى الدهر أثبت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك. سلاه. والسموات تحمد عجائبك يا رب، وحقك أيضًا في جماعة القديسين؛ لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه بين أبناء الله. إله مهوب جدًا في مؤامرة القديسين، ومخوف عند جميع الذين حوله. يا رب إله الجنود من مثلك قوي رب وحقك من حولك. أنت متسلط = = على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكنها. أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بددت أعداءك. لك السموات. لك أيضًا الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسستهما. الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان. لك ذراع القدرة. قوية يدك. مرتفعة يمينك. العدل والحق كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك. طوبى للشعب العارفين الهتاف. يا رب بنور وجهك

وذكر فيها أنه في كل مكان. وهما أمران متعارضان في الظاهر؛ لأن وجوده في السماء ينفي وجوده في الأرض حال كونه في السماء. ووجوده في الأرض ينفي وجوده على العرش في السماء.

وتصريحه عن نفسه بأنه "ليس مثل الله"[١٢٣] ينفي الجسمية. ونفي الجسمية ينفي الجهة. فإذن ليس هو على العرش بذاته، وإذن ليس هو المتكلم على جبل طور سيناء مع موسى عليه السلام فمًا إلى فم. وإنما المتكلم ملك بالنيابة عنه.

وقد قال المسيح عيسى عليه السلام: إن الله أعلى وأجلّ من أن يحدّه زمان ولا مكان، وأعلى وأجل من أن يشبه البشر في صفاتهم. واستدل على كلامه هذا بنصوص من سفر النبي إشعياء، وكتاب موسى عليه السلام.

يقول المسيح:

"قال متى: يا معلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر، وقلت الآن: إن الإنسان ينال من يد الله فإذا كان لله يدان؛ فله إذن شبه بالبشر؟

أجاب يسوع: إنك لفي ضلال يا متى، ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام؛ لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه؛ إذ الكلام البشرى بمثابة ترجمان بيننا وبين الله. ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم آباءنا على جبل سيناء صرخ آباءنا: "كلمنا أنت يا موسى ولا يكلمنا الله لئلا نموت"[١٢٤]. وماذا قال الله على لسان إشعياء النبي: "أليس كما بعدت السموات

يسلكون. باسمك يبتهجون اليوم كله. وبعدلك يرتفعون؛ لأنك أنت فخر قوتهم، وبرضاك ينتصب قرننا؛ لأن الرب مجننا وقدوس إسرائيل ملكنا... إلخ" (مزمور ٨٩).

([123]) تث: ٣٣: ٢٦.

([124]) خر. ٢: ١٩

عن الأرض هكذا بعدت طرق الله عن طرق النـــاس وأفكــار الله عــن أفكــار الناس؟"[١٢٥].

إن الله لا يدركه قياس إلى حد أني أرتجف من وصفه. ولكــن يجــب أن أذكر لكم قضية فأقول لكم إذن: إن السموات تسع، وإنها بعضها يبعد عن بعض كما تبعد السماء الأولى عن الأرض سفر خمس مائة ســنة[١٢٦] وعليــه. فــإن الأرض تبعد عن أعلى سماء مسيرة أربعة آلاف وخمس مئة سنة. فبناء علــى ذلك أقول لكم: إنها بالنسبة إلى السماء الأولى كرأس إبرة. ومثلها السماء الأولى بالنسبة إلى الثانية. وعلى هذا النمط كل السموات. الواحدة منها أسفل مما يليها، ولكن كل حجم الأرض مع حجم كل السموات بالنسبة إلى الجنة كنقطة بل كحبة رمل. أليست هذه العظمة مما لا يقاس؟ فأجاب التلاميذ: بلى بلى.

حينئذ قال يسوع: لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته، إن الكون أمــام الله لصغير بمقدار حبة رمل، والله أعظم من ذلك بمقدار ما يلزم مــن حبــوب الرمل لملئ كل السموات والجنة بل أكثر. فانظروا الآن إذا كان هنالك نسبة بين الله والإنسان الذي ليس سوى كتلة صغيرة من طين واقفة على الأرض. فانتبهوا إذن لتأخذوا المعنى لا مجرد الكلام إذا أردتم أن تنالوا الحياة الأبدية.

فأجاب التلاميذ: إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه، وإنه حقًا لكمــا قــال إشعياء النبي: "هو محتجب عن الحواس البشرية"[١٢٧] أجاب يسوع: إن هذا لهو الحق؛ لذلك سنعرف الله متى صرنا في الجنة كما يعرف هنا البحر من قطــرة ماء مالح"[١٢٨].

([125]) إش ٥٥: ٩.

([126]) إن القول ببعد كل سماء عن الأخر ٥٠٠ سنة. موجود في التلمود.

([127]) إش ٤٥: ١٥.

([128]) برنابا: ١٠٥.

وقول المسيح الذي وافق به قول إشعياء النبي؛ يمنع من القول بتأويل يد الله بقدرته مع السكوت عن القول، بأن الله يكلم الناس عن نفسه بلسانهم. وهذا خطأ وقع فيه المسلمون جميعًا على اختلاف مذاهبهم في الله وصفاته.

ووجه الخطأ: هو أنهم كتبوا أن يد الله ١- تعني إما اليد الجسمية ٢- وإما الكناية عن القدرة. فإذا ذكرنا المحكم وهو {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فإن المتفق معه يكون هو المعنى الكنائي. وعند هذا القدر يسكت العلماء ولا يكتبون شيئًا.

أما الحنابلة فإنهم لا يردون المتشابه إلى المحكم، ويصرحون بأن الله له يد ولا مثل لها.

هذا هو خطأ أهل المذاهب. وأما الصواب فإنه هو:

١- لابد من رد المتشابه إلى المحكم- كما ذكرنا-.

٢- ولا بد من الكتابة بعده هذه العبارة: "والله كلمنا على قدر عقولنا بهذه الألفاظ".

فيكون الصواب كالآتي:

١- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}نص محكم.

٢- {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} نص متشابه.

والنص المتشابه يحتمل: أ- اليد الجسمية. ب- والكناية عن القدرة.

والمتفق مع المحكم هو القدرة. والله تعالى كلمنا عن نفسه بلساننا لنقدر على تصور ذاته، أما هو فليس كمثله شيء.

هذا هو الصواب الذي تجب كتابته؛ وذلك لأن القدرة تستلزم جسمًا تتعلق به. فإذا قلنا اليد كناية عن القدرة؛ يتبادر إلى الذهن أن الذات الذي له هذه القدرة جسم؛ فتكون قد فررت من الجسمية بمنع اليد الجسمية، إلى إثبات الجسمية بإثبات القدرة. فلكي تنفى الجسمية على أي معنى من معنيي المتشابه. يلزمك أن

تصرح بعد الكلام في المحكم والمتشابه: بأن القرآن قد تكلم عن الله بلسان بني آدم.

***

رأي علماء بني إسرائيل في ذات الله وصفاته:

يتفق الحبر موسى بن ميمون مع المسيح عيسى عليه السلام ونبي الله إشعياء في نفي التجسيم عن الله ﷻ، وفي تأويل ما يوهم الجسمية بما ينفيها؛ بتعبير هو: تكلمت التوراة عن الله بلسان بني آدم. والأمر الذي غفل عنه الحبر ابن ميمون في هذا الموضع هو أنه لم يقل برد المتشابه إلى المحكم. فنكون نحن المسلمين قائلين بالمحكم والمتشابه أولاً، وبأن الله كلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم ثانيًا.

وهذا هو نص كلامه من "دلالة الحائرين" فصل ٢٦.

"قد علمت قولتهم الجامعة لأنواع التأويلات كلها المتعلقة بهذا الفن. وهو قولهم: "عبرت عنها التوراة بلسان بني آدم" (بياموت ٧١ أ من التلمود). معنى ذلك: أن كل ما يمكن الناس أجمع فهمه وتصوره بأول فكرة هو الذي أوجب لله تعالى؛ فلذلك وُصف بأوصاف تدل على الجسمانية؛ ليدل عليه أنه تعالى موجود؛ إذ لا يدرك الجمهور بأول وهلة وجودًا إلا للجسم خاصة، وما ليس بجسم أو موجود في جسم؛ فليس هو موجودا عندهم. وكذلك كل ما هو كمال عندنا نُسب له تعالى؛ ليدل عليه أنه كمال بأنحاء الكمالات كلها، ولا يشوبه نقص أصلاً. فكل ما يدرك الجمهور بأنه نقص أو عدم؛ فلا يُوصف له؛ ولذلك لا يوصف بأكل ولا بشرب ولا بنوم ولا بمرض ولا بما يشبه ذلك. وكل ما يظن الجمهور أنه كمال؛ وُصف به. وإن كان إنما هو كمال بالإضافة إلينا. أما إليه تعالى فتلك التي تظنها كلها كمالات؛ هي غاية النقص، لكن لو تخيلوا عدم ذلك الكمال الإنساني منه تعالى؛ لكان عندهم نقصًا في حقه.

وأنت تعلم أن الحركة هي من كمال الحيوان وضرورية له في كماله، فكما هو مفتقر للأكل والشرب لتعويض ما تحلل، كذلك هو مفتقر للحركة ليقصد المؤالف له ويهرب من المخالف. ولا فرق بين أن يوصف تعالى بالأكل والشرب أو يوصف بحركة، لكن بحسب لسان بني آدم. أعني الخيال الجمهوري. كأن الأكل والشرب عندهم نقصًا في حق الله، والحركة ليست بنقص في حقه، وإن كانت الحركة إنما ألجأ إليها الافتقار. وقد تبرهن: أن كل متحرك فذو عظم؛ منقسم – بلا شك – وسيتبرهن كونه تعالى ليس بذي شكل عِظَم، فلا توجد له حركة ولا يوصف أيضًا بسكون؛ إذ يوصف بسكون إلا من شأنه أن يتحرك.

فكل هذا الأسماء الدالة على أنواع الحركات الحيوانية كلها وُصف بها تعالى على الجهة التي قلنا كما يوصف بالحياة؛ إذ الحركة عرض لازم للحيوان، ولا ريب أن مع ارتفاع الجسمانية يرتفع جميع ذلك. أعني: نزل، وصعد، وسار، وانتصب، ووقف، ودار، وجلس، وسكن، وخرج، وجاء، وعبر، وكل ما شابه. وهذا الأمر التطويل فيه فضل، إلا من أجل ما ألفته أذهان الجمهور؛ فلذلك ينبغي تبيينه للذين أخذوا أنفسهم بالكمال الإنساني، وإزالة هذه الأوهام السابقة من سنّ الطفولة إليهم بيسير بَسْط" اهـ


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

في

إحياء عظام بني إسرائيل اليابسة

قبل كلام النبي حزقيال عن فتح المسلمين لبلاد يأجوج ومأجوج في الأيام الأخيرة لبني إسرائيل في الملك والنبوة، وهي الأيام الأولى لظهور النبي محمد ﷺ تكلم عن:

١- الموت الحقيقي لهم على يد ملك بابل.

٢- والموت المجازي، وهو وقوعهم تحت الأمم الوثنية أذلاء ومساكين بالجزية.

٣- وأن الموت المجازي هذا سيظل ملازمًا لليهود إلى أن يظهر النبي محمد ﷺ، فيحررهم من ذل الأمم الوثنية، ويعيد إليهم المملكة؛ ويكونون أحرارًا.

٤- ولا يكون حرًا في مملكته إلا المؤمنين به، أما الأشرار من اليهود الذين لن يؤمنوا به، فإنهم لن يكون لهم نصيب في مملكته المعروفة بملكوت السموات.

والأصحاح السابع والثلاثون من سفر حزقيال مكون من جزئين:

الجزء الأول: هو عن قدرة الله على بعث الموتى الحقيقيين، وبعث الموتى الذين ضاعت مملكتهم وخدموا الأجانب.

والجزء الآخر: هو عن أن البعث من موت الذلة والمسكنة سوف يكون على يد النبي الأمي الآتي إلى العالم.

وملخص ما في الجزء الأول:

١- هو أن الله أرى حزقيال في حلم ليل جماعة من الموتى الحقيقيين. قد يبست عظامهم، ثم أراه الهواء يدخل في أنوفهم فيقومون أحياء. جيش عظيم جدًا جدًا.

٢- ولما أراه الله هذا في حلم ليل يعرف "بيد الرب" أو "مرأي النبوة" بين له ما سيترتب على هذه الرؤيا المنامية، وهو أن الله سيعيد المملكة لليهود الذين سيؤمنون بالنبي ﷺ. وشبه موت الهوان والذلة والمسكنة بموتى حقيقيين قد ماتوا ودخلوا القبور بجامع فقد العزّة والكرامة في كل.

وقال: إن الذين ماتوا سيدخلون في دين النبي الآتي سيكونون إخوة في الإيمان.

وستزول العداوة من بين اليهود السامريين والعبرانيين، وسيكونون تحت راع واحد.

ومحرف سفر حزقيال قال: إن هذا الراعي الصالح سيكون من نسل داود ﷺ من سبط يهوذا. وعبّر عنه بداود، وهو لا يعني به داود نفسه؛ لأنه قد مات من قبل سبي بابل بنحو ستمائة عام، وإنما يعني النبي المنتظر ﷺ.

وهذا هو نص الجزء الأول من الأصحاح السابع والثلاثين:

"كانت علي يد الرب فأخرجني بروح الرب، وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظامًا، وأمرني عليها من حولها، وإذا هي كثيرة جدًا على وجه البقعة، وإذا هي يابسة جدًا فقال لي: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام، وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون وأضع عليكم عصبا، وأكسيكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا، واجعل فيكم روحًا؛ فتحيون وتعلمون أني أنا الرب؛ فتنبأت كما أمرت، وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت وإذا بالعصب

واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح فقال لي: تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح: هكذا قال السيد الرب، هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا، فتنبأت كما أمرني؛ فدخل فيهم الروح؛ فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا جدا، ثم قال لي: يا بن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، ها هم يقولون: يبست عظامنا وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا لذلك تنبأ، وقل لهم هكذا قال السيد الرب. هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وآتي بكم إلى أرض إسرائيل؛ فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي، وأجعل روحي فيكم فتحيون، وأجعلكم في أرضكم فتعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل"(١٢٩).

البيان:

رؤيا العظام اليابسة هذه كانت في حلم ليل "يد الرب" في زمن سبي اليهود إلى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. وإنه قد رأى بقعة ملآنة عظامًا. وقال له: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ ثم أمرّ على العظام الهواء من الرياح الأربع؛ فحيوا.

فلما حيوا قال له يا حزقيال: إن اليهود في بابل بعد ضياع ملكهم، قالوا: "يبست عظامنا، وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا" أي انفصلنا عن العظماء من الناس. وعشنا بمنأى عنهم في أكواخ وعشش من الطين كمساكين الأمم. وهذا موت. كما يقول الشاعر:

ليس الميت من مات فاستراح بموت إنما الميت ميت الأحياء

ورد الله عليهم بقوله: سوف أبعثكم من قبوركم. شبه الأكواخ والعشش التي يسكنونها بالقبور. وشبه ذلهم في الحياة الدنيا بالموتى الحقيقيين.

ومتى يكون هذا البعث؟

قد بيّنه حزقيال في الجزء الآخر من نفس الأصحاح فقال:

---

(129) حزقيال: ٣٧: ١- ١٤.

"وكان إليَّ كلام الرب قائلاً، وأنت يا بن آدم خذ لنفسك عصــا واحــدة، واكتب عليها ليهوذا ولبني إسرائيل رفقائه، وخذ عصا أخرى، واكتــب عليهــا ليوسف عصا أفرايم وكل بيت إسرائيل رفقائه وأقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة، فتصيرا واحدة في يدك، فإذا كلمك أبناء شعبك قائلين: إما تخبرنا ما لك وهذا. فقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ عصا يوسف التي في يد أفرايم وأسباط إسرائيل رفقاءه، وأضم إليها عصا يهــوذا، وأجعلهــم عصــا واحــدة، فيصيرون واحدة في يدي، وتكون العصوان اللتان كتبت عليهما في يدك أمــام أعينهم، وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمــم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وأتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكًا عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم، ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا، وأطهرهم؛ فيكونون لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا، وداود عبدي يكــون ملكًا عليهم. ويكون لجميعهم راعٍ واحد؛ فيسلكون فــي أحكــامي، ويحفظــون فرائضي ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياهــا التي سكنها آباؤكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد. وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد، وأقطع معهم عهد سلام؛ فيكون معهــم عهــدًا مؤبــدًا، وأقرهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فــوقهم، وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا؛ فتعلم الأمم أني أنا الرب مقدس إسرائيل؛ إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد"[130].

البيان:

---

(130) حزقيال:٣٧: ١٥- ٢٧.

كان السامريون شبه عصا ضد العبرانيين، وكان العبرانيون شبه عصا ضد السامريين.

فبين أنه في زمن البعث سيكون الجميع شعبًا واحدًا عصا واحدة. كناية عن أنهم سيكونون أمة واحدة، وملك واحد سيكون عليهم. وهذا الملك هو "داود عبدي"، وهو سيرعاهم بشريعة "فيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعملون بها"، وهذه الشريعة الجديدة ستكون شريعة سلام، وستظل إلى الأبد "ويكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد"؛ أي ستكون الكعبة المعظمة معظمة في مملكة هذا النبي إلى الأبد.

لا سلام للأشرار

وفي الكتاب المقدس عربي وإنجليزي:

جاء النص هكذا "وها أنا أحشد أبناء إسرائيل من بين الأمم التي تفرقوا فيها، وأجعلهم أمة واحدة في الأرض وعلى الجبال تحت رئاسة ملك واحد؛ فلا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون إلى مملكتين، ولا يتدنسون بعد بأصنامهم ورجاساتهم، ولا بأي من معاصيهم، بل أخلصهم من مواطن إثمهم، وأطهرهم؛ فيكونون لي شعبا، وأنا أكون لهم إلها، ويصبح داود عبدي (أي المسيح) ملكًا عليهم؛ فيكون لهم جميعًا راع واحد؛ فيمارسون أحكامي ويطيعون فرائضي عاملين بها. ويقيمون في الأرض لعبدي يعقوب التي سكن فيها آباؤكم؛ فيستوطنون فيها هم وأبناؤهم وأحفادهم إلى الأبد، ويكون عبدي داود (أي المسيح) رئيسًا عليهم مدى الدهر، وأبرم معهم ميثاق سلام؛ فيكون معهم عهدًا مؤبدًا..."

البيان:

١- إنه وضع (أي المسيح) بين قوسين، بجوار كلمة "عبدي".

٢- وأيضًا وضعها بعد كلمة "داود".

وقد بينا: أنه يريد بداود؛ النبي المنتظر. وبينا: أن النبي المنتظر الذي هو "المسيح الرئيس" محمد ﷺ.

والدليل على أنه هو محمد ﷺ من هذا النص: هو أنه قال: "وأبرم معهم ميثاق سلام فيكون معهم عهدا مؤبدًا".

وقال أنبياء بني إسرائيل: إنه ليس سلام للأشرار من اليهود، فيكون المتمتع بنعم الملكوت الآتي هم المؤمنون بالنبي ﷺ، ومن ذلك:

١- قول المسيح عيسى عليه السلام لليهود: "يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟"[131].

٢- قول إشعيا النبي:

"ويقول: اعدوا اعدوا، هيئوا الطريق، ارفعوا المعثرة من طريق شعبي؛ لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس، اسمه في الموضع المرتفع المقدس، اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين، ولأحيي قلب المنسحقين؛ لأني لا أخاصم إلى الأبد، ولا اغضب إلى الدهر؛ لأن الروح يغشى عليها أمامي، والنسمات التي صنعتها من أجل إثم مكسبه غضبت رضربته استترت وغضبت فذهب عاصيًا في طريق قلبه رأيت طرقه، وسأشفيه وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه خالقًا ثمر الشفتين سلام سلام للبعيد وللقريب. قال الرب: وسأشفيه، أما الأشرار فكالبحر المضطرب؛ لأنه لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حماة وطينًا"[132].

***

التطابق مع القرآن الكريم:

أولاً: ﴿ٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾

([131]) متى: ١٢: ٣٤.

([132]) إش: ٥٧: ١٤- ٢٠.

١- في القرآن الكريم: أن اليهود - المعبر عنهم بالذين كفروا - سيؤلف الله بين قلوب المؤمنين بالنبي محمد ﷺ، وأما الكافرون به منهم؛ فقد أمر بقتالهم ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[133] واستمر في الكلام عليهم إلى أن قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[134].

٢- وفي سورة التوبة عن مصارف الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[135]. وقد كان بنو إسرائيل من بعد عصر سليمان عليه السلام سامريين وعبرانيين، وعاصمة مملكة السامريين كانت "نابلس" المسماة قديمًا بشكيم. وكانت عاصمة مملكة العبرانيين "أورشليم" التي هي "القدس". وكانت العداوة شديدة جدًا بين الطائفتين في زمن المسيح عيسى عليه السلام.

وحدث أن السامريين والعبرانيين كان يقتل بعضهم بعضًا، وكانوا يخرجون أنفسهم من ديارهم. كما في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ

---

(133) الأنفال: ٣٩.

(134) الأنفال: ٦٣.

(135) التوبة: ٦٠.

ذَلكَ منكُمْ إلاّ خزْيٌ فِي الحَيَاة الدُّنْيَا ويَوْمَ القيَامَة يُرَدُّونَ إلَى أشَدِّ العَذَاب ومَا اللّهُ بغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَة فَـلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ولا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[136].

والسامريون يعرفون ببني إسرائيل أو بنسل أفرايم، والعبرانيون يعرفـون بيهوذا؛ لأن الملوك كانوا عليهم من سبط يهوذا. وتعرف مملكتهم بمملكـة داود. ويزعمون أن النبي المنتظر سوف يأتي من نسل داود. ولما جاء المسيح عيسى عليه السلام وبشر بأن النبي الآتي سيكون من إسماعيل عليه السلام، جعلوا للمسـيح عيسـى نسبًا مزورًا لداود؛ ليقولوا إن هو النبي المنتظر. والمسيح بن مريم من غير أب؛ فلا يكون له نسب في بني إسرائيل.

وهذا نص من التوراة يدل على أنهم كانوا يقتلون أنفسـهم، ويخرجـون أنفسهم من ديارهم:

"في السنة الثامنة عشر للملك يربعام ملك أبيا على يهوذا، ملك ثلاث سنين في أورشليم، واسم أمه ميخايا بنت أوريئيل من جبعة، وكانت حرب بـين أبيـا ويربعام، وابتدأ أبيا في الحرب بجيش من جبابرة القتال أربع مائة ألـف رجـل مختار، ويربعام اصطف لمحاربته بثمان مائة ألف رجل مختار جبابرة بـأس، وقام أبيا على جبل صمارايم الذي في جبل أفرايم، وقال: اسمعوني يـا يربعـام وكل إسرائيل أما لكم أن تعرفوا أن الرب إله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل لداود إلى الأبد ولبنيه بعهد ملح، فقام يربعام بن نباط عبـد سـليمان بـن داود وعصى سيده، فاجتمع إليه رجال بطالون بنو بليعال، وتشددوا على رحبعام بن سليمان. وكان رحبعام فتى رقيق القلب، فلم يثبت أمامهم، والآن أنتم تقولون أنكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بني داود، وأنتم جمهور كثير، ومعكم عجول ذهب

---

[136] البقرة: ٨٤ – ٨٦.

قد عملها يربعام لكم آلهة، إما طردتم كهنة الرب بني هرون واللاويين، وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضي كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش، صار كاهناً للذين ليسوا آلهة. وأما نحن فالرب هو إلهنا ولم نتركه، والكهنة الخادمون الرب هم بنو هرون واللاويون في العمل، ويوقدون للرب محرقات كل صباح ومساء، وبخور أطياب، وخبز الوجوه على المائدة الطاهرة، ومنارة الذهب وسرجها للإيقاد كل مساء؛ لأننا نحن حارسون حراسة الرب إلهنا. وأما أنتم فقد تركتموه وهو ذا معنا الله رئيسًا، وكهنته، وأبواق الهتاف للهتاف عليكم. فيا بني إسرائيل، لا تحاربوا الرب إله آبائكم؛ لأنكم لا تفلحون، ولكن يربعام جعل الكمين يدور ليأتي من خلفهم، فكانوا أمام يهوذا والكمين خلفهم، فالتفت يهوذا وإذا الحرب عليهم من قدام ومن خلف، فصرخوا إلى الرب، وبوق الكهنة بالأبواق، وهتف رجال يهوذا، ولما هتف رجال يهوذا؛ ضرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام أبيا ويهوذا؛ فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا، ودفعهم الله ليدهم، وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من إسرائيل خمس مائة ألف رجل مختار؛ فذل بنو إسرائيل في ذلك الوقت، وتشجع بنو يهوذا؛ لأنهم اتكلوا على الرب إله آبائهم. وطارد أبيا يربعام، وأخذ منه مدنًا بيت أيل وقراها، ويشانة وقراها، وعفرون وقراها، ولم يقو يربعام بعد في أيام أبيا؛ فضربه الرب ومات، وتشدد أبيا، واتخذ لنفسه أربع عشرة امرأة، وولد اثنين وعشرين ابنًا وست عشرة بنتًا، وبقية أمور أبيا وطرقه وأقواله مكتوبة في مدرس النبي عدو»[١٣٧].

***

([137]) أخبار الملوك الثاني أصحاح ١٣.

واستمرت العداوة بين السامريين والعبرانيين إلى أن ظهر الإسلام. ومن دخل منهم في الإسلام صاروا جميعًا إخوة، وصاروا لجميع المؤمنين بالإسلام من كل الأمم إخوة. وهذا هو معنى أن الله ألف بين قلوبهم.

وقد تنبأ أنبياء بني إسرائيل بهذا التأليف في زمن النبي الأمي الآتي. وهذه نصوص من التوراة تدل على ذلك:

النص الأول:

"وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: وأنت يا بن آدم خذ لنفسك عصا واحدة، واكتب عليها ليهوذا ولبني إسرائيل رفقائه، وخذ عصا أخرى، واكتب عليها ليوسف عصا أفرايم وكل بيت إسرائيل رفقائه، وأقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة؛ فتصيرا واحدة في يدك، فإذا كلمك أبناء شعبك قائلين: إما تخبرنا ما لك وهذا. فقل لهم هكذا: قال السيد الرب هأنذا آخذ عصا يوسف التي في يد أفرايم وأسباط إسرائيل رفقائه، وأضم إليها عصا يهوذا، واجعلهم عصا واحدة؛ فيصيرون واحدة في يدي، وتكون العصوان اللتان كتبت عليهما في يدك أمام أعينهم، وقل لهم هكذا: قال السيد الرب هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم وأصيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكًا عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم، ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا وأطهرهم، فيكونون لي شعبًا، وأنا أكون لهم إلهًا، وداود عبدي يكون ملكًا عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد؛ فيسلكون في أحكامي، ويحفظون فرائضي، ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياها التي سكنها آباؤكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد، وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد، وأقطع معهم عهد سلام، فيكون معهم عهدًا مؤبدًا،

وأقرهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فـوقهم، وأكون لهم إلها، ويكونون لي شعبا، فتعلم الأمم إني أنا الرب مقدس إسرائيل؛ إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد"[138].

النص الثاني:

"في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل، ويأتيان معًا من أرض الشمال إلى الأرض التي ملكت آباءكم إياها"[139].

النص الثالث:

"ها أيام تأتي يقول الرب: وأقيم لداود غصن بر؛ فيملـك ملـك، ويـنجح ويجري حقًا، وعدلاً في الأرض في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنًـا. وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا"[140].

"في ذلك الزمان يقول الرب: أكون إلهًا لكل عشائر إسرائيل، وهم يكونون لي شعبًا"[141].

النص الرابع:

"فيزول حسد أفرايم، وينقرض المضايقون من يهوذا. أفـرايم لا يحسـد يهوذا، ويهوذا لا يضايق أفرايم وينقضان علـى أكتـاف الفلسـطينيين غربًـا، وينهبون بني المشرق معًا، يكون على أدوم وموأب امتداد يدهما، وبنو عمـون في طاعتهما"[142].

النص الخامس:

([138]) حزقيال: ٣٧: ١٥- ٢٨.

([139]) إرميا: ٣: ١٨.

([140]) إرميا: ٢٣: ٥- ٦.

([141]) إرميا: ٣١: ١.

([142]) إش: ١١: ١٣- ١٤.

"حاكموا أمكم حاكموا؛ لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها؛ لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها"(١٤٣).

النص السادس:

"إني أجمع جميعك يا يعقوب أضم بقية إسرائيل، أضعهم معًا كغنم الحظيرة، كقطيع في وسط مرعاه يضج من الناس"(١٤٤).

النص السابع:

"وأقطع المركبة من أفرايم، والفرس من أورشليم، وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض"(١٤٥).



(143) هوشع: ٢: ٢.

(144) ميخا: ٢: ١٢.

(145) زكريا: ٩: ١٠.

من صهيون تخرج الشريعة

في كتاب التوراة أن النبي الأمي الآتي إلى العالم سيأتي إلى اليهود ليكلمهم بكلام الله. وليس في كتاب التوراة أنه يخرج من نسل اليهود العبرانيين أو السامريين. وإنه ليوجد فرق بين أنه يأتي إليهم، وبين أنه يأتي منهم. فيأتي إليهم تدل على أنه سيكون من غير جنسهم. ويأتي منهم تدل على أنه سيظهر من جنسهم. إلا إذا قلنا: إن نسل إبراهيم عليه السلام أمة واحدة، إذا أتى من نسل ولد من أولاده، فإنه يكون منهم مجازاً؛ لأن أولاد الأعمام هم عشيرة واحدة؛ ولذلك عبر عن النبي الآتي بقوله: "من وسطك" أي من المؤمنين نسل إبراهيم عليه السلام وقال: إنه سيأتي من إخوتهم الساكنين في أرض فاران. وهم بنوا إسماعيل عليه السلام.

وإذا ظهر هذا النبي الأمي فإنه سيهلك الكافرين به من اليهود والأمم، وسيبقي على المؤمنين به من اليهود والأمم؛ ولذلك تجد في كتب التوراة: أن بلاد اليهود ستخرب على يد هذا النبي.

وتجد فيها: أن بلاد اليهود ستعمر على يد هذا النبي الأمي. وليس هذا من التناقض في شيء. فإن خراب البلاد يكون للكافرين به، وتعمير البلاد يكون للمؤمنين به. وتعبر التوراة عن المؤمنين به بالبقية الصالحة من بني إسرائيل.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[146].

---

(146) ق: ٢- ٤.

يخبر عن اليهود: أن محمدًا رسول الله {مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} فإنهم جميعًا أولاد عم من عشيرة واحدة. ونقصان الأرض منهم: هو نزع ملكهم قرية قرية إلى أن لا يكون لهم ملك في العالم. والأخيار منهم يكونون في الأرض مع المؤمنين في "ملكوت السموات".

ولنطبق هذا على أول سفر إشعيا النبي.

١ – فإنه تكلم عن اليهود بقوله إنهم شعب ناكر الجميل. ولذلك ستكون "أرضكم خراب ومدنكم محروقة بالنار".

٢– وتكلم عن "البقية" فقال: "لولا أن رب القوات ترك لنا بقية يسيرة؛ لصرنا مثل سدوم وأشبهنا عمورة" قري قوم لوط عليه السلام.

"اسمعي أيتها السماوات، واصغي أيتها الأرض؛ لأن الرب يتكلم ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا علي الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل، فلا يعرف شعبي لا يفهم، ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء على ما تضربون بعد تزدادون زيغانًا كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر، ولم تعصب، ولم تلين بالزيت. بلادكم خربة مدنكم محرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم، وهي خربة كانقلاب الغرباء؛ فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم كخيمة في مقثاة، كمدينة محاصرة لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة؛ لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة"[١٤٧].

٣– وتكلم عن السلام الدائم الذي سيكون في آخر الأيام، وهي آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة، وهي نفسها أول أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة من محمد ﷺ.

([147]) إش: ١: ٢– ٩.

وعبر عن مكان ظهور الشريعة الجديدة بقوله إنها ستكون من عند جبل الرب. وليس من جبل للرب إلا في "مكة المكرمة".

وهذا هو النص:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب؛ فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككًا، ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد يا بيت يعقوب. هلم فنسلك في نور الرب"(١٤٨).

٤- وتكلم عن أسباب رفض الله لليهود من السير أمامه. فقال:

"فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب؛ لأنهم امتلأوا من المشرق، وهم عائفون كالفلسطينيين، ويصافحون أولاد الأجانب، وامتلأت أرضهم فضة وذهبًا، ولا نهاية لكنوزهم، وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم، وامتلأت أرضهم أوثانًا يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم، وينخفض الإنسان، وينطرح الرجل؛ فلا تغفر لهم، ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فان لرب الجنود يومًا على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع، وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع، وعلى كل بلوط باشان، وعلى كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المرتفعة، وعلى كل برج عال، وعلى كل سور منيع، وعلى كل سفن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة؛ فيخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك

---

(148) إش: ٢: ٢- ٥.

اليوم، وتزول الأوثان بتمامها، ويدخلون في مغاير الصخور، وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش؛ ليدخل في نقر الصخور، وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض كفوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة؛ لأنه ماذا يحسب»[149].

٥- وتكلم عن الأشرار والمرابين، وعلماء السوء المفسرين في الأرض، والفوضى التي ستكون في أورشليم في أيام ظهور النبي الآتي. فقال:

"فإنه هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم، ومن يهوذا السند والركن كل سند خبز، وكل سند ماء الجبار، ورجل الحرب القاضي، والنبي، والعراف، والشيخ رئيس الخمسين، والمعتبر، والمشير، والماهر بين الصناع، والحاذق بالرقية، وأجعل صبيانًا رؤساء لهم، وأطفالاً تتسلط عليهم، ويظلم الشعب بعضهم بعضًا، والرجل صاحبه. يتمرد الصبي على الشيخ، والدنيء على الشريف إذا أمسك إنسان بأخيه في بيت أبيه قائلاً: لك ثوب فتكون لنا رئيسًا، وهذا الخراب تحت يدك يرفع صوته في ذلك اليوم قائلاً: لا أكون عاصبًا، وفي بيتي لا خبز ولا ثوب، لا تجعلوني رئيس الشعب؛ لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت؛ لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده، نظر وجوههم يشهد عليهم، وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم لا يخفونها، ويل لنفوسهم؛ لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًا قولوا للصديق خير؛ لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويل للشرير شر؛ لأن مجازاة يديه تعمل به شعبي ظالموه أولاد ونساء يتسلطن عليه يا شعبي مرشدوك مضلون، ويبلعون طريق مسالكك قد انتصب الرب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم، وأنتم قد أكلتم

---

[149] إش: ٢: ٦- ٢٢.

الكرم سلب البائس في بيوتكم ما لكم تسحقون شعبي، وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد رب الجنود"[150].

٦- وتكلم عن النبي الأمي الآتي ولقبه بلقب "غصن الرب" أو "نبت الرب" فقال:

"في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدًا، وثمر الأرض فخرًا وزينة للناجين من إسرائيل، ويكون أن الذي يبقى في صهيون، والذي يترك في أورشليم يسمى قدوسًا كل من كتب للحياة في أورشليم. إذا غسل السيد قذر بنات صهيون، ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء، وبروح الإحراق يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون، وعلى محفلها سحابة نهارًا ودخانًا ولمعان نار ملتهبة ليلاً؛ لأن على كل مجد غطاء، وتكون مظلة للفيء نهارًا من الحر ولملجأ ولمخبأ من السيل ومن المطر"[151].

٧- وتكلم عن غضب الله على اليهود الكافرين بمحمد رسول الله فقال:

"من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه، ومد يده عليه، وضربه حتى ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأزقة، مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد"[152].

٨- ووصف أصحاب النبي الأمي الآتي بقوله:

"فيرفع راية للأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعًا، ليس فيهم رازح ولا عاثر لا ينعسون، ولا ينامون، ولا تنحل حزم أحقائهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة، حوافر خيلهم تحسب كالصوان، وبكراتهم كالزوبعة. لهم زمجرة

---

[150] إش: ٣: ١- ١٥.

[151] إش: ٢: ٤- ٦.

[152] إش: ٥: ٢٥.

كاللبؤة، ويزمجرون كالشبل، ويهرون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا منقذ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر، فان نظر إلى الأرض فهو ذا ظلام الضيق والنور قد اظلم بسحبها"(١٥٣).

٩- وتكلم عن "يوم الرب" فقال:

أ - "ويل للجانبين الإثم بحبال البطل والخطية، كأنه بربط العجلة القائلين ليسرع ليعجل عمله لكي نرى، وليقرب ويأتي مقصد قدوس إسرائيل لنعلم ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا الجاعلين، المر حلوا والحلو مرا، ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم، ويل للأبطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج المسكر الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة. وأما حق الصديقين فينزعونه منهم لذلك كما يأكل لهيب النار القش ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعفونة، ويصعد زهرهم كالغبار؛ لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل"(١٥٤).

ب - "فإن لرب الجنود يومًا على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع فيوضع"(١٥٥).

وفي القرآن الكريم:

أن اليهود يستعجلون عذابهم في "يوم الرب"، وهي الأيام الأولى لظهوره ﷺ ويقولون: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾(١٥٦). وعن هذا أيضًا: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا

---

(153) إش: ٥: ٢٦- ٣٠.

(154) إش: ٥: ١٨- ٢٤.

(155) إش: ٢: ١٢.

(156) ص: ١٦.

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١٥٧] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[١٥٨].

وفي سفر إشعياء عن هذا المعنى: "ويل للذين يجرون الإثم بحبال الباطل، والخطيئة بمثل أمراس المركبة. القائلين: ليبادر وليعجل في عمله حتى نرى، وليقترب ويحضر تدبير قدوس إسرائيل حتى نعلم"[١٥٩].

وقد حدثت معارك يوم الرب في موقعة "اليرموك" وأعقبها زوال الملك من اليهود إلى الأبد. وهي الموقعة التي يسميها اليهود "هارمجدون".

ثانيا: {حَذَرَ المَوْتِ}

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٦٠].

قال مفسرو القرآن الكريم: إن هذا الخبر كان في زمن حزقيال النبي، وعلى يديه.

والمعنى الصحيح هو:

١- إنهم في زمن سبي اليهود إلى بابل أيام الملك نبوخذ نصر. خرج المسبيون إلى بابل وهم حذر الموت الحقيقي.

---

[157] يونس: ١١.

[158] العنكبوت: ٥٤.

[159] إش: ٥: ١٨- ١٩.

[160] البقرة: ٢٤٣- ٢٤٤.

٢- فقال لهم الله: موتوا موتًا مجازيًا. وهو الهوان على الناس. وظلوا في الهوان إلى أن أحياهم الله بمحمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ثالثا: ﴿مَاءً طَهُوراً﴾

في الأصحاح السادس والثلاثين من سفر حزقيال: "وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا بن آدم إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وبأفعالهم، كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث، فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض، وبأصنامهم نجسوها؛ فبددتهم في الأمم فتذروا في الأراضي كطريقهم، وكأفعالهم دنتهم، فلما جاءوا إلى الأمم حيث جاءوا نجسوا اسمي القدوس؛ إذ قالوا لهم: هؤلاء شعب الرب، وقد خرجوا من أرضه؛ فتحننت على اسمي القدوس الذي نجسه بيت إسرائيل في الأمم، حيث جاءوا لذلك فقل لبيت إسرائيل: هكذا قال السيد الرب ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل، بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم، فأقدس اسمي العظيم المنجس في الأمم الذي نجستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أني أنا الرب. يقول السيد الرب: حين أتقدس فيكم قدام أعينهم وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي، وآتي بكم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء طاهرًا، فتطهرون من كل نجاستكم، ومن كل أصنامكم، أطهركم وأعطيكم قلبًا جديدًا، واجعل روحًا جديدة في داخلكم، وانزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها، وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها، وتكونون لي شعبًا، وأنا أكون لكم إلهًا وأخلصكم من كل نجاساتكم، وادعوا لحنطة وأكثرها، ولا أضع عليكم جوعًا، وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل؛ لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الأمم،

فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة، وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم، وعلى رجاساتكم لا من أجلكم أنا صانع. يقول السيد الرب: فليكن معلومًا لكم، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل. هكذا قال السيد الرب: في يوم تطهيري إياكم من كل آثامكم أسكنكم في المدن، فتبنى الخرب، وتفلح الأرض الخربة عوضًا عن كونها خربة أمام عيني كل عابر. فيقولون: هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن، والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة»[161].

البيان:

إنه يتكلم عن إحياء العظام اليابسة في زمن النبي الأمي الآتي. ويقول: إن اليهود لما وقعوا تحت ملك بابل، ومن بعده ملك فارس. ثم اليونان والرومان؛ هانت عليهم أنفسهم فيأسوا من حياتهم واستهانوا بربهم. وعبدوا الأصنام؛ ولذلك صاروا أنجاسًا. فمن يطهرهم من هذه النجاسة؟ إنها نجاسة معنوية. وهي لا تزول إلا بطهارة معنوية. كالكافر الذي يدخل في الدين الإسلامي. فإنه يغتسل بالماء دلالة على أنه كان نجسًا. لا نجاسة بدن، وإنما نجاسة بُعد عن الله، هي تزول بالقرب منه. ويعبر بالماء؛ لأنه سبب في أعين الناس لإزالة وسخ من ثوب أو جسد، فكما أن الماء يطهر الجسد نقيًا من الوسخ. كذلك الإيمان يطهر القلب من الكفر. وقد عبر المسيح عليه السلام عن هذا المعنى في محادثته مع امرأة من السامرة؛ إذ طلب منها ماء بئر ليشرب. ولم تعطه؛ لأنه عبراني والعبرانيون لا يعاملون السامريين؛ لأنهم في نظرهم كفار. ولما لم تعطه قال لها: إن عندي ماء حي. وردت عليه بقولها: لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي؟ وقد

---

[161] حز: ٣٦: ١٦: ٣٥.

فسر المسيح الماء الحي بالكلام الذي يبعث على فقال: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد"[١٦٢].

وشبه الكلام الباعث على الإيمان بأنه ينبوع ماء يصير في جسد المؤمن، ويبقى إلى الأبد "بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"[١٦٣]. ولا أحد يعقل أن لفظ الماء على الحقيقة؛ لأنه لن يتحول إلى ينبوع حقيقي دائم النبع.

وقال المسيح: أن الماء الذي أنا أعطيه للعطاش إلى البر ليشربوا منه ليس ماء أرضيًا. وإنما هو من السماء. أي هو كلام الله الذي يحيي القلوب. كما يحيي الماء الجسد ويحفظه من الموت. وكذلك الخبز الذي أكلتموه من المائدة السماوية وطلبتموه بقولكم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾؟ وقد بارك الله في طعام هو "خمسة أرغفة شعير وسمكتان" فأكل من نحو خمسة آلاف. وهذا الطعام كان من طعام الآدميين في الأرض، وعبر عنه بالسماء؛ لأنه جاءهم بطريقة غير مألوفة، وجاءهم من الله لا من الشيطان.

وفي هذا المعنى يقول المسيح: "أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلي فلا يجوع. ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا"[١٦٤].

واستطرد قائلاً: "ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب فإلي يقبل. ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجًا؛ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئًا، بل أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن

---

(162) يو: ٤: ١٤.

(163) السابق.

(164) يو: ٦: ٣٥.

هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن. ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية. وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[١٦٥].

ومراد المسيح من نزول من السماء: هو أنه مرسل من الله، وليس هو من الأنبياء الكاذبين. واليوم الأخير: هو نهاية أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة. وهو بدء أيام بني إسماعيل فيها من محمد ﷺ؛ لأن إسماعيل مبارك فيه. ومن ألقاب محمد عندهم لقب "الابن" في المزمور الثاني لداود عليه السلام.

فإذا قال حزقيال: إن الله سيحيي المؤمنين بالنبي الآتي من موت الذل والمسكنة. وأنه سيرش على من يؤمن ماء طاهرًا؛ فإنه يعني بقوله هذا: أن من يؤمن بالنبي سيكون طاهر القلب. وأن من لا يؤمن به من اليهود سيكون نجسًا؛ لأنه ليس على شريعة؛ إذ التوراة قد نسخت، وإذ هم يعبدون الأصنام كعبادة الأمم لها. وعبر برش الماء عن طهارة القلب؛ لأن الناس تعرف أن الماء مزيل للنجاسة.

وحزقيال شبه اليهود الكافرين بمحمد، بالمرأة الحائض التي لا تظهر من نجاستها إلا بالماء فقال: "وصارت سيرتهم في نظري كنجاسة دم امرأة في حيضها"[١٦٦].

وفي ترجمة أخرى: "كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث".

وهذا هو نص التوراة عن الحائض:

"وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من مس فراشها يغسل

---

(165) يو: ٦: ٣٦- ٤٠.

(166) حز: ٣٦: ١٧.

ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء"[١٦٧].

وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾[١٦٨]. لا يعني الطهارة بالماء، وإنما يعني نقاء القلوب من علائق الدنيا. وفيه أن لوطًا عليه السلام قال: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي مؤمنون وليسوا زناة أو يلاط بهم. ولا يعني أطهركم بالماء.

وفي القرآن: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾على المعنى المراد من كلام حزقيال والمسيح. وإذا قال إنه ماء مبارك لنحيي به بلدة ميتًا. فإنه يحتمل إحياءها بالقرآن من الكفر، ويحتمل إخراج نباتها.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[١٦٩]. رتب على الأذى؛ اعتزال النساء في المحيض. ولم يزد عليه شيئًا.

وأما قوله تعالى: ﴿ولا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[١٧٠]. فليس معناه الطهر بالماء؛ لأن انقطاع الدم مزيل للأذى بدون ماء.

والمعنى: لا يتزوج مسلم زانية حتى يطهر قلبها بالإيمان، وتبتعد عن الشيطان لقوله: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٧١].

---

(167) لا: ١٥: ١٩- ٢٢.

(168) التوبة: ١٠٨.

(169) البقرة: ٢٢٢.

(170) البقرة: ٢٢٢.

والدليل على أن يطهرن هو طهارة القلب من الزنا: قوله عــن مــريم - رضي الله عنها -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وطَهَّرَكِ﴾(١٧٢).

ووصف المتصدق بأنه طهر قلبه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَــدَقَةً تُطَهِّــرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١٧٣).

ووصف الكافر بالنجس: ﴿أُولَئِكَ الَّــذِينَ لَــمْ يُــرِدِ اللَّـــهُ أن يُطَهِّــرَ قُلُوبَهُمْ﴾(١٧٤). ﴿ولَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾(١٧٥).

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾(١٧٦). أي مــن عبــاد الأصــنام. ﴿وثِيَابَــكَ فَطَهِّرْ﴾(١٧٧). كناية عن حسن مظهر المؤمن؛ ليدل على حسن قلبه.

﴿وسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾(١٧٨). أي جعل في قلوبهم شريعة عبــر عنها بالشراب الطهور الذي من يشرب منه لا يعطش أبدا.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُــوبِهِنَّ﴾(١٧٩) ﴿ومُطَهِّــرُكَ مِــنَ الَّــذِينَ كَفَرُوا﴾(١٨٠). أي أخذتك من بين اليهود، ومنعت عنك الــرجس. ﴿مَرْفُوعَــةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾(١٨١).

([171]) النور: ٣.

([172]) آل عمران: ٤٢.

([173]) التوبة: ١٠٣.

([174]) الأنبياء: ٤١.

([175]) الأنبياء: ٦.

([176]) الحج: ٢٦.

([177]) المدثر: ٤.

([178]) الإنسان: ٢١.

ومن ذلك يعلم: أن الله شبه المعنوي، وهو قوة الإيمان في القلب بالمحسوس، وهو الطهارة بالماء؛ لأن المألوف عند الناس أن الماء يستعمل لنظافة الجسد والثياب. فشبه بالمألوف لإيضاح المعنى.

وعلى هذا الذي مألوف نفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾(١٨٢). فنقول إن المراد من الماء النازل من السماء هو الكتابة عن القرآن؛ ليطهر قلوبهم به. وإحياء البلاد الميتة به يريد به إحياء أهل الكفر، فإن الكفر موت مجازًا. والمراد بالأنعام الكناية عن علماء بني إسرائيل لقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١٨٣). والمراد بالأناسي المهتدون إلى الله من الأميين اليهود والأمم. ومعنى السقيا هو كمعنى الشرب لمن يريد لنفسه النجاة من النيران بالإيمان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾(١٨٤). يريد به تنوع الأساليب عن المعنى الواحد، والتذكر يدل على أن اليهود قد قرأوا هذا في كتبهم، وسمعوه من علمائهم.

رابعا: ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾

([179]) الأحزاب: ٥٣.

([180]) آل عمران: ٥٥.

([181]) عبس: ١٤.

([182]) الفرقان: ٤٨- ٤٩.

([183]) الأنفال: ٥٥.

([184]) الفرقان: ٥٠.

وقال حزقيال عن كثرة الخيرات في زمن محمد ﷺ: "وقال يوم الرب: أطهركم من جميع آثامكم وأسكنكم في المدن الخربة فتبنونها، وتفلحون الأرض المقفرة بعد أن رآها الناس خرابا. يقال: صارت هذه الأرض المقفرة كجنة عدن"[185].

وفي ترجمة أخرى: "هكذا قال السيد الرب: في يوم تطهيري إياكم من كل آثامكم؛ أسكنكم في المدن؛ فتبني الخرب، وتفلح الأرض الخربة عوضًا عن كونها خربة أمام عيني كل عابر. فيقولون: هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن".وقال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[186].

البيان:

١- تفجير الأرض ينابيع.

٢- جنة من نخيل وعنب.

٣- أو تسقط السماء كسفاً

٤- الإتيان بالله والملائكة.

٥- الرقي في السماء.

وهذا كله في التوراة في أسفار متعددة، وفي أماكن هي نبوات عن محمد ﷺ:

أولاً: الينابيع

كنى بالينابيع والنخيل والأعناب عن كثرة الخيرات في زمن شريعة محمد ﷺ ومن النصوص الدالة على ذلك:

---

(185) حزقيال: ٣٦: ٣٣- ٣٥.

(186) الإسراء: ٩٠.

أولاً: "ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب، باذر الزرع، وتقطر الجبال عصيرًا، وتسيل جميع التلال، وأرد سبي شعبي إسرائيل؛ فيبنون مدناً خربة، ويسكنون، ويغرسون كرومًا، ويشربون خمرها، ويصنعون جنات، ويأكلون أثمارها، وأغرسهم في أرضهم، ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك"[187].

ثانيًا: "ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرًا، والتلال تفيض لبنًا، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء، ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط"[188].

والمراد ببيت الرب: الكعبة في مكة المكرمة.

ثالثًا: "تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر، ويزهر كالنرجس يزهر أزهارًا، ويبتهج ابتهاجًا، ويرنم يدفع إليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون، هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا شددوا الأيادي المسترخية، والركب المرتعشة ثبتوها قولوا لخائفي القلوب:

تشددوا لا تخافوا هو ذا إلهكم الانتقام يأتي جزاء الله هو يأتي ويخلصكم، حينئذ تتفقح عيون العمي، وآذان الصم تتفتح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد انفجرت في البرية مياه، وأنهار في القفر ويصير السراب أجما والمعطشة ينابيع ماء في مسكن الذئاب في مربضها دار للقصب والبردي، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم من سلك في الطريق، حتى الجهال لا يضل، لا يكون هناك أسد وحش مفترس لا يصعد إليها، لا يوجد هناك بل يسلك المفديون فيها، ومفديو

---

(187) عاموس: ٩: ١٣- ١٥.

(188) يوئيل: ٣: ١٨.

الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن و التنهد"[189].

رابعًا: "البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد، لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجيب لهم، أنا إله إسرائيل لا أتركهم افتح على الهضاب أنهارًا، وفي وسط البقاع ينابيع، اجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه، أجعل في البرية الأرز والسنط والأس وشجرة الزيت، أضع في البادية السرو والسنديان والشربين معًا؛ لكي ينظروا ويعرفوا ويتنبهوا، ويتأملوا معًا أن يد الرب فعلت هذا، وقدوس إسرائيل أبدعه"[190].

خامسًا: "هكذا قال الرب في وقت القبول: استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك؛ فأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البراري، قائلاً للأسرى: اخرجوا للذين في الظلام اظهروا على الطرق يرعون، وفي كل الهضاب مرعاهم لا يجوعون، ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس؛ لأن الذي يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم، وأجعل كل جبالي طريقًا، ومناهجي ترتفع هؤلاء من بعيد يأتون، وهؤلاء من الشمال ومن المغرب، وهؤلاء من أرض سينيم ترنمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض لتشد الجبال بالترنم؛ لأن الرب قد عزى شعبه، وعلى بائسيه يترحم. وقالت صهيون: قد تركني الرب، وسيدي نسيني هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك، هوذا على كفي نقشتك أسوارك أمامي دائمًا، قد أسرع بنوك هادموك ومخربوك منك يخرجون، ارفعي عينيك حواليك، وانظري كلهم قد اجتمعوا آتوا إليك حي أنا يقول الرب: إنك تلبسين كلهم كحلي، وتتنطقين بهم كعروس إن خربك وبراريك، وأرض خرابك أنك تكونين الآن

---

(189) إش: ٣٥ كله.

(190) إش: ٤١: ١٧- ٢٠.

ضيقة على السكان، ويتباعد مبتلعوك. يقول: أيضا في أذنيك بنو ثكلك ضيق علي المكان، وسعي لي لأسكن، فتقولين في قلبك: من ولد لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة، وهؤلاء من رباهم، هأنذا كنت متروكة وحدي هؤلاء أين كانوا، هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب أقيم رايتي، فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، و يلحسون غبار رجليك؛ فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزي منتظروه"[١٩١].

***

ثانيًا: ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾

من النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: سبق أن ذكرنا من سفر عاموس: "ويصنعون جنات ويأكلوا أثمارها".

ثانيًا: في سفر يوئيل وهو يتكلم عن الأمة القوية التي ستأتي لتقيم لله مملكة لا تنقرض أبدا. يقول عن كثرة الخيرات في مدتها:

"لا تخافي أيتها الأرض ابتهجي وافرحي؛ لأن الرب يعظم عمله، لا تخافي يا بهائم الصحراء فإن مراعي البرية تنبت؛ لأن الأشجار تحمل ثمرها التينة والكرمة تعطيان قوتهما. ويا بني صهيون ابتهجوا، وافرحوا بالرب إلهكم؛ لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقه، وينزل عليكم مطرًا مبكرًا ومتأخرًا في أول الوقت؛ فتملأ البيادر حنطة، وتفيض حياض المعاصر خمرًا وزيتًا، وأعوض لكم عن السنين التي أكلها الجراد الغوغاء والطيار والقمص جيشي العظيم الذي

([191]) إش: ٤٩: ٨- ٢٣.

أرسلته عليكم؛ فتأكلون أكلاً وتشبعون، وتسبحون اسم الرب إلهكم الذي صنع معكم عجبًا، ولا يخزى شعبي إلى الأبد"[١٩٢].

"لإمام المغنين على السوسن لبني قورح قصيدة ترنيمة محبة فاض قلبي بكلام صالح متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهائك وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر؛ فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك، أحببت البر، وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك، كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير اسمعي يا بنت، وانظري واميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك؛ فيشتهي الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية، كلها مجد ابنة الملك في خدرها منسوجة بذهب ملابسها بملابس مطرزة تحضر الى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك، يحضرن بفرح وابتهاج، يدخلن إلى قصر الملك عوض عن آبائك، يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض، اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد"[١٩٣].

***

ثالثا: الكسف الساقط من السماء.

الكسف في لغة التوراة هو القطع من السحاب المظلم. ففي الأصحاح الثالث من سفر أيوب: "ليته هلك اليوم الذي ولدت فيه، والليل الذي قال: قد حبل

([192]) يوئيل: ٢: ٢١- ٢٦.

([193]) مزمور: ٤٥.

برجل، ليكن ذلك اليوم ظلامًا لا يعتن به الله من فوق، ولا يشرق عليه نهار. ليملكه الظلام وظل الموت. ليحل عليه سحاب. لترعبه كاسفات النهار. أما ذلك الليل فليمسكه الدجى، ولا يفرح بين أيام السنة، ولا يدخلن في عدد الشهور..."[194].

وفي القرآن الكريم: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[195]. ولما قال هذا حسبوه زعمًا. وذلك قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾[196].

والغرض من قولهم: هو عجل بعذابنا في "يوم الرب" كما نقول. ولن تقدر علينا.

***

رابعًا: الإتيان بالله والملائكة.

لما خرج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من "مصر" وسكنوا عند جبل طور سيناء في خيام وكهوف. أمر الله موسى أن يجمعهم نحو الجبل؛ ليسمعوا صوته فيهابوه إلى الأبد. فلما تجلى مجده على الجبل؛ حدث من هيبته رعود وبروق ونار ودخان وارتجف كل الجبل. فارتعب بنو إسرائيل وخافوه. وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا. فليكن عن طريقك، ونحن لك نسمع ونطيع.

ففي الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج: "فقال الرب لموسى: ها أنا آت إليك في ظلام السحاب؛ لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك؛ فيؤمنوا بك

---

(194) أيوب: ٣: ٣- ٦.

(195) سبأ: ٩.

(196) الإسراء: ٩٢.

أيضًا إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب؛ فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدًا، وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث؛ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء، وتقيم للشعب حدودًا من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه، كل من يمس الجبل يقتل قتلاً لا تمسه يد، بل يرجم رجمًا، أو يرمى رميًا بهيمة كان أم إنسانًا لا يعيش، أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل.

فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة. وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد جدًا، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا في أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جدًا، فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا، وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت، ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى فقال الرب لموسى: انحدر حذر الشعب؛ لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون، وليتقدس أيضًا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب؛ لئلا يبطش بهم الرب. فقال موسى للرب: لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء؛ لأنك أنت حذرتنا قائلاً: أقم حدودًا للجبل وقدسه. فقال له الرب: اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك، وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب؛ لئلا يبطش بهم؛ فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم"[١٩٧].

البيان:

---

(197) خر: ١٩: ٩- ٢٥.

إن الله تعالى قد أتي في ظلام السحاب، أي في ظل من الغمام. وصاحب إتيانه رعب وفزع؛ ولذلك استعفوا من سماع صوته مرة أخرى. وهو في أيام محمد هددهم بالرعب والفزع؛ ليأخذوا ما آتاهم به بقوة.

ويقول علماء بني إسرائيل: إن الله بنفسه لم يأت إلى الجبل، وإنما أتي إليه ملك من الملائكة نيابة عنه؛ لأن الله في السموات وفي الأرض. هذا عن تهديدهم بمجيء الله، وأما عن تهديدهم بالملائكة: فإن المراد بهم أتباع محمد، وقد شبههم بالملائكة في الطهر والصلاح وقال عنهم: إنهم سيحاربون اليهود بعنف سينزعون منهم الملك بالقوة.

ففي الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية، وهو يتكلم عن مجيء محمد في آخر الأيام:

"تهللي معه أيتها السموات واسجدوا له يا جميع الآلهة: تهللي أيتها الأمم مع شعبه، ولتعلن قوته ملائكة الله جميعاً؛ لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويجازي بغضبه،ويكفر عن أرض شعبه"[198].

ونبوءة فاران: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران. جاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة، وعن يمينه يومض برق عليهم حقاً إنك أنت الذي أحببت الشعب، وجميع القديسين في يدك، ساجدون عند قدمك، يتلقون منك أقوال"[199].

***

خامساً: الرقي في السماء.

---

(198) ترجمة دار المشرق: راجع: تث: ٣٢: ٤٣- ٤٤. خر ٢٥: ١٧.

(199) ترجمة كتاب الحياة: راجع: تث ٣٣: ١- ٣.

الرقي في السماء في لغة بني إسرائيل: هو صعود الملائكة ونزولهم في حلم ليل إلى السماء والأرض ليسمع النبي الوحي بنفسه من الملاك الواقف بجواره.

ولأن الرقي يكون في حلم الليل، ومن يحلم لا يستيقظ ومعه كتاب فيه وحي، ولأن العقل يجوز الكذب على إنسان يقول: إني قد حلمت؛ إذ ليس من شاهد يشهد له أو بينة. طلب اليهود كتابًا سماويًّا يؤيده في دعوى الرقي.

وهذا الموضع في التوراة يدل على محمد ﷺ وبيان ذلك:

إنه يتكلم عن إحياء العظام اليابسة في زمن النبي الأمي الآتي. ويقول: إن اليهود لما وقعوا تحت ملك بابل، ومن بعده ملك فارس. ثم اليونان والرومان؛ هانت عليهم أنفسهم فيأسوا من حياتهم واستهانوا بربهم. وعبدوا الأصنام؛ ولذلك صاروا أنجاسًا. فمن يطهرهم من هذه النجاسة؟ إنها نجاسة معنوية. وهي لا تزول إلا بطهارة معنوية. كالكافر الذي يدخل في الدين الإسلامي. فإنه يغتسل بالماء دلالة على أنه كان نجسًا. لا نجاسة بدن، وإنما نجاسة بُعد عن الله، هي تزول بالقرب منه. ويعبر بالماء؛ لأنه سبب في أعين الناس لإزالة وسخ من ثوب أو جسد، فكما أن الماء يطهر الجسد نقيًّا من الوسخ. كذلك الإيمان يطهر القلب من الكفر. وقد عبر المسيح ﷺ عن هذا المعنى في محادثته مع امرأة من السامرة؛ إذ طلب منها ماء بئر ليشرب. ولم تعطه؛ لأنه عبراني والعبرانيون لا يعاملون السامريين؛ لأنهم في نظرهم كفار. ولما لم تعطه قال لها: إن عندي ماء حي. وردت عليه بقولها: لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي؟ وقد فسر المسيح الماء الحي بالكلام الذي يبعث على فقال: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد"[٢٠٠].

---

(200) يو: ٤: ١٤.

وشبه الكلام الباعث على الإيمان بأنه ينبوع ماء يصير في جسد المؤمن، ويبقى إلى الأبد "بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"(٢٠١). ولا أحد يعقل أن لفظ الماء على الحقيقة؛ لأنه لن يتحول إلى ينبوع حقيقي دائم النبع.

وقال المسيح: أن الماء الذي أنا أعطيه للعطاش إلى البر ليشربوا منه ليس ماء أرضيًا. وإنما هو من السماء. أي هو كلام الله الذي يحيي القلوب. كما يحيى الماء الجسد ويحفظه من الموت. وكذلك الخبز الذي أكلتموه من المائدة السماوية وطلبتموه بقولكم: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ}؟ وقد بارك الله في طعام هو "خمسة أرغفة شعير وسمكتان" فأكل من نحو خمسة آلاف. وهذا الطعام كان من طعام الآدميين في الأرض، وعبر عنه بالسماء؛ لأنه جاءهم بطريقة غير مألوفة، وجاءهم من الله لا من الشيطان.

وفي هذا المعنى يقول المسيح: "أنا هو خبز الحياة.من يقبل إلى فلا يجوع. ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا"(٢٠٢).

واستطرد قائلاً: "ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب فإلى يقبل. ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجًا؛ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئًا، بل أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن. ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية. وأنا أقيمه في اليوم الأخير"(٢٠٣).

---

(201) السابق.

(202) يو: ٦: ٣٥.

(203) يو: ٦: ٣٦- ٤٠.

ومراد المسيح من نزول من السماء: هو أنه مرسل من الله، وليس هو من الأنبياء الكاذبين. واليوم الأخير: هو نهاية أيام بني إسرائيل في الملك والنبــوة. وهو بدء أيام بني إسماعيل فيها من محمد ﷺ؛ لأن إسماعيل مبارك فيه. ومــن ألقاب محمد عندهم لقب "الابن" في المزمور الثاني لداود عليه السلام.

فإذا قال حزقيال: إن الله سيحيي المؤمنين بالنبي الآتي من مــوت الــذل والمسكنة. وأنه سيرش على من يؤمن ماء طاهرًا؛ فإنه يعني بقوله هذا: أن من يؤمن بالنبي سيكون طاهر القلب. وأن من لا يؤمن به من اليهود سيكون نجسًا؛ لأنه ليس على شريعة؛ إذ التوراة قد نسخت، وإذ هم يعبدون الأصــنام كعبــادة الأمم لها. وعبر برش الماء عن طهارة القلب؛ لأن الناس تعرف أن الماء مزيل للنجاسة.

وحزقيال شبه اليهود الكافرين بمحمد، بالمرأة الحائض التي لا تطهر مــن نجاستها إلا بالماء فقال: "وصارت سيرتهم في نظري كنجاســة دم امــرأة فــي حيضها"[٢٠٤].

وفي ترجمة أخرى: "كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث".

وهذا هو نص التوراة عن الحائض:

"وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا في لحمها، فسبعة أيام تكــون في طمثها، وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه فــي طمثها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من مس متاعًا تجلس عليــه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء"[٢٠٥].

---

(204) حز: ٣٦: ١٧.

(205) لا: ١٥: ١٩- ٢٢.

وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾[206]. لا يعني الطهارة بالماء، وإنما يعني نقاء القلوب من علائق الدنيا. وفيه أن لوطً عليه السلام قال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي مؤمنون وليسوا زناة أو يلاط بهم. ولا يعني أطهركم بالماء.

وقد رد عليه كتبة الأناجيل بقولهم: إن إبراهيم لم يملك على أرض كنعان، ولم يملك يعقوب.

ففي الأصحاح السابع من سفر أعمال الرسل:

"فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين، وسكن في حاران، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها، ولم يعطه فيها ميراثًا، ولا وطأة قدم، ولكن وعد إن يعطيها ملكًا له ولنسله من بعده، ولم يكن له بعد ولد، وتكلم الله هكذا أن يكون نسله متغربًا في أرض غريبة فيستعبدوه ويسيئوا إليه أربع مائة سنة، والأمة التي يستعبدون لها سأدينها أنا. يقول الله: وبعد ذلك يخرجون ويعبدونني في هذا المكان"[207].

***

والحق أن إبراهيم عليه السلام كان ملكًا على مكة ثم تكون لنسله من بعده.

١- وهذا هو نص التوراة على هجرة إبراهيم إلى مكة:

"وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع

---

(206) التوبة: ١٠٨.

(207) أعمال: ٧: ٤- ٧.

أحد أن يعد تراب الأرض، فنسلك أيضًا يعد. قم امش في الأرض طولها وعرضها؛ لأني لك أعطيها"[208].

٢- وهذا هو نص التوراة الذي وضعه الكاتب على يعقوب وهو في الأصل موضوع على إبراهيم.

"فدعا اسحق يعقوب، وباركه وأوصاه، وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان آرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك، ويجعلك مثمرًا، ويكثرك؛ فتكون جمهورًا من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك و لنسلك معك؛ لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم، فصرف اسحق يعقوب، فذهب إلى فدان آرام إلى لابان بن بتوئيل الأرامي أخي رفقة أم يعقوب وعيسو. فلما رأى عيسو أن اسحق بارك يعقوب وأرسله إلى فدان آرام ليأخذ لنفسه من هناك زوجة؛ إذ باركه وأوصاه قائلا: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. وأن يعقوب سمع لأبيه وأمه وذهب إلى فدان آرام، رأى عيسو أن بنات كنعان شريرات في عيني إسحق أبيه؛ فذهب عيسو إلى إسماعيل، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه؛ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكانًا وبات هناك؛ لأن الشمس كانت قد غابت، وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلمًا، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها. فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه

---

(208) تكوين:١٣: ١٤- ١٧.

الأرض؛ لأني لا أتركك حتى افعل ما كلمتك به. فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقًا: إن الرب في هذا المكان وأنا لم اعلم. وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عمودًا، وصب زيتًا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت أيل، ولكن اسم المدينة أولاً كان لوز"[٢٠٩].



(209) تكوين: ٢٨: ١- ١٩.

الفصل السادس

في

التوبة إلى الله

في

سفر حزقيال

١- توبة الفرد ٢- أم توبة الجماعة؟

الكلام الذي في سفر حزقيال عن التوبة إلى الله: هو لجماعة المؤمنين. والمراد من التوبة: هو أن جميع اليهود وهم في "بابل" اتفقوا على إنكار نبوة محمد ﷺ، وعلى القول بأن النبي الأمي الآتي على مثال موسى سوف يكون من بني إسرائيل. واتفاقهم هذا وقولهم هذا هو كفر بالنبي الآتي ليقيم لهم مملكة لا تنقرض أبدا. لذلك لما شرع حزقيال في الكلام على إحياء العظام اليابسة، وإعادة مملكة الرب، وهزيمة النبي الآتي لياجوج ومأجوج في آخر أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل، ووصف الكعبة المعظمة في "مكة". وقوله: إن الرب سيكون هناك. أي شريعته. لما شرع حزقيال في بيان هذه النبوءات الثلاث؛ تكلم عن توبة اليهود من إنكارهم محمد ﷺ وقال لهم: من لم يتب عن هذا الإنكار؛ فليس له نصيب في مملكته.

أما الخطأ الفردي؛ فإن لا يلزمه غير الكفارة في المعبد؛ إذ يقدم المخطئ قربانًا تكفيرًا عن خطاياه. فإن قدم القربان ولو لم ينطبق بالتوبة ولم يطأطئ رأسه خجلا؛ فإنه بتقديم القربان يكون قد رفع عنه الخطأ.

ففي الأصحاح الخامس من سفر اللاويين:

"وكلم الرب موسى قائلاً: إذا خان أحد خيانة، وأخطأ سهوًا في أقداس الرب يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه كبشًا صحيحًا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس ذبيحة إثم، ويعوض عما أخطأ به من القدس، ويزيد عليه

خمسه، ويدفعه إلى الكاهن، فيكفر الكاهن عنه بكبش الإثم، فيصفح عنـــه. وإذا أخطأ أحد، وعمل واحدة من جميع مناهي الرب، التي لا ينبغي عملها ولم يعلم؛ كان مذنبًا وحمل ذنبه، فيأتي بكبش صحيح من الغنم بتقويمك ذبيحة إثـم إلـى الكاهن؛ فيكفر عنه الكاهن من سهوه الذي سها و هو لا يعلم، فيصفح عنه أنــه ذبيحة إثم قد إثم إثما إلى الرب"[210].

ولجميع الشعب في كل سن قربانًا للتكفير عن خطاياهم، سواء اعترفوا بها أو لم يعترفوا. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين بعد ذكـر هـذا القربان: "ويكفر الكاهن الذي يمسحه، والذي يملأ يده للكهانة عوضًا عـن أبيــه يلبس ثياب الكتان الثياب المقدسة، ويكفر عن مقدس القدس، وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر، وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر، وتكون هذه لكم فريضــة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم مرة في السنة، ففعل كما أمر الرب موسى"[211].

لذلك نقول ما هي الفائدة من دعوة حزقيال إلى التوبة إذا كانت مراســمها تكرر كل سنة للجماعة. وكل مرة لخطأ الفرد؟

يقول شراح سفره: إنه يدعوا اليهود إلى التوبة، وهي ترك إنكارهم للنبي الآتي، والدخول في دينه؛ ليحيوا حياة طيبة في زمن النبــي الأمــي الآتــي، لا للتكفير عن الخطايا الفردية والجماعية.

ويستدلون على ذلك بهذا الدليل.

قوله في شروط التوبة: "وسلك في فرائضــي وحفــظ أحكــامي ليعمــل بالحق"[212].

---

[210] لا: ٥: ١٤- ١٩.

[211] لا: ١٦: ٣٢- ٣٤.

[212] حز: ١٨: ٩.

ومعنى هذا: أن يدخل مع الداخلين في الشريعة الآتية ويحفظ الأحكام؛ ليعمل الحق.

وقد فسر حزقيال نفسه قوله هذا بأنه العمل بالشريعة الآتية، التي سيأتي بها "راع واحد" لجميع بني إسرائيل. ذلك قوله:

"وقل لهم: هكذا قال السيد الرب هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد، يكون ملكًا عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا و أطهرهم؛ فيكونون لي شعبًا، وأنا أكون لهم إلهًا. وداود عبدي يكون ملكًا عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد؛ فيسلكون في أحكامي، ويحفظون فرائضي، ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياها التي سكنها آباؤكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد، وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد. واقطع معهم عهد سلام؛ فيكون معهم عهدًا مؤبدًا، وأقرهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فوقهم وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا؛ فتعلم الأمم أني أنا الرب مقدس إسرائيل؛ إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد"[213].

ودليل هؤلاء الشراح قوي جدًا لا يمكن نقضه، ولكنهم يقولون: إن النبي الذي سيتوبون من إنكاره إذا جاء، إما أن يكون المسيح عيسى بن مريم، وإما أن يكون نبيًا لم يأت بعد، وإذا أتى فإنه سيكون من اليهود. ويرد قولهم هذا: أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام جعل التوبة من أجل ملكوت السموات الآتي من

([213]) حز: ٣٧: ٢١- ٢٨.

بعده، وفي قوله: "توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات" وهو الملكوت الـــذي سيتأسس بعد نزع الملك من اليهود والروم، ومحمد ﷺ هو الذي نزع ملكهم.

الإيمان والأعمال

وشريعة التوراة تحتم على المؤمن العمل بجميع أحكام التوراة، مع الإيمان بالله والثقة في مواعيده، والاعتراف بيوم الحساب. وفي التوراة أن من لا يعمل بأحكام التوراة يكون ملعوناً ومطروداً من رحمة الله. ذلك قوله: "ملعون مـــن لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها".

وتحتم التوراة على المؤمن أنه إذا جاء النبي المماثل لموسى، فإنه يســمع له ويطيع، وإنه إن سمع وأطاع لا يهلك "ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب"- "ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي بـــه باســـمي؛ فإني أطالبه"[214].

وحزقيال النبي حتم على الذين يريدون أن يحيوا حياة طيبة فـــي مملكـــة النبي الآتي، أن يقبلوا شريعته وأن يعملوا بها.

بولس يلغو في نبوءة حزقيال

تتلخص نبوءة حزقيال في أن الله سيحيي اليهود من ذل الأجانب؛ إذا آمنوا بالنبي الآتي، وعملوا بشريعته؛ لقوله: "**وأجعل روحي فـــي داخلكـــم، وأجعلكـــم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها**"[215].

وقال حزقيال: إن العمل بالشريعة هو "البر" ذلك قوله:

"والبار إن رجع عن بره وعمل إثمًا، وجعلت معثرة أمامه؛ فانه يمـــوت؛ لأنك لم تنذره يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله. أما دمه فمن يـــدك

([214]) تث: ١٨: ١٥- ٢٢.

([215]) حز: ٣٦: ٢٧.

اطلبه، وإن أنذرت أنت البار من أن يخطئ البار، وهو لم يخطئ؛ فإنه حياة يحيا؛ لأنه أنذر، وأنت تكون قد نجيت نفسك"[٢١٦].

وقد لغا بولس في إحياء اليهود من الأجانب بقوله:

١- إن الإحياء يكون على يد المسيح بن مريم لا على يد بن عبد الله.

٢- وإن الإحياء لا يكون بشريعة، وإنما يكون بالإيمان بالمسيح عيسى ربًا مصلوبًا مكفرًا عن الخطايا.

٣- وأن الله قد أنعم على:

أ- بني إسرائيل. ب- والأمم. بنعمة الإيمان بالمسيح.

٤- وأن الله قد أسقط عن المؤمنين العمل بأحكام بالتوراة. وهذه هي النعمة.

نص كلام بولس في "النعمة":

"وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودًا له من الناموس والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل، وعلى كل الذين يؤمنون؛ لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه؛ لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر؛ ليكون بارًا، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع، فأين الافتخار، قد انتفي بأي ناموس، أبناموس الأعمال؟ كلا بل بناموس الإيمان، إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس، أم الله لليهود فقط، أليس للأمم أيضًا؟ بلى للأمم أيضًا؛ لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان"[٢١٧].

ملاحظة:

---

(216) حز: ٣: ٢٠- ٢١.

(217) رومية: ٣: ٢١- ٣٠.

راجع في موضوع النعمة: رو ٤:١٦. أمنس ٢:٨. تيموثاوس ٣:٥ و٧.

الرد على بولس:

هو أن حزقيال نفسه بين في الأصحاح الثالث من سفره أن نجاة الإنسان من غضب الله عليه تكون بعمله بالشريعة، لا بإيمانه فقط. ومن كلامه: "والبار إن رجع عن بره، وعمل إثمًا. وجعلت معثرة أمامه؛ فإنه يموت؛ لأنك لم تنذره يموت في خطيئته، ولا يذكر برُّه الذي عمله...إلخ".

السقوط من النعمة:

وزعم "بولس" أن النعمة هي الدخول في مملكة المسيح عيسى عليه السلام. ولما لم يكن للمسيح شريعة غير شريعة التوراة. قال اليهود: إنكم إذا دخلتم في مملكة المسيح، وأنتم ملتزمون بالعمل بالتوراة فاعملوا بها.

وقال للأمم: إذا أنتم على غير شريعة، وأردتم الدخول في المسيحية؛ فإن الإيمان بالمسيح ربًا مصلوبًا يكفيكم.

وقال لليهود: إن إصراركم على العمل بالتوراة، وأنتم في مملكة يسوع المسيح يدل على أنكم سقطتم من النعمة. ذلك قوله في الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية:

"فاثبتوا إذا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضًا بنير عبودية. ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا، لكن اشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم إن يعمل بكل الناموس قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة، فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر؛ لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا، ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة، كنتم تسعون حسنًا، فمن صدكم حتى لا تطاوعوا للحق. هذه المطاوعة ليست من الذي دعاكم"[218].

([218]) غلاطية: ٥: ١- ٨.

الخطايا في مملكة يسوع المسيح:

وقال بولس: إن الذين دخلوا في مملكة يسوع المسيح. لن يسقطوا من النعمة. قلّت خطاياهم أو كثرت. وبرر المسيحيون قوله بقولهم: لأن المسيح له شفاعة مقبولة عند الله في الخطاة"[219].

"لست أبطل نعمة الله":

وقال بولس: إن نعمة الله هي الدخول في مملكة يسوع المسيح بالإيمان لا بأعمال الناموس. وإن حاول أحد أن يرجع إلى الناموس ليأخذ منه أدلة على الإيمان بيسوع المسيح؛ أي يكون مقدسًا للتوراة وللإنجيل معًا، فلست أمنعه من ذلك. إنما أمنعه إذا كان يؤمن بأن البر بأعمال الناموس. ذلك قوله:

"نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة؛ إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضًا بيسوع المسيح؛ لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس؛ لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح نوجد نحن أنفسنا أيضًا خطاة، فالمسيح خادم للخطية؟ حاشا فإني إن كنت أبني أيضًا، هذا الذي قد هدمته فإني أظهر نفسي متعديًا؛ لأني مت بالناموس للناموس لاحيًا لله مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في، فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي لست أبطل نعمة الله؛ لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذًا مات بلا سبب"[220].

والرد عليه في هذا كله: أن إحياء مملكة بني إسرائيل يكون على يد النبي الذي سيزيل مملكة الرومان بعد سبعين أسبوعًا كما في الأصحاح التاسع من

---

[219] ١ يو: ٢: ١- ٢. و١: ٩.

[220] غلاطية: ٢: ١٥- ٢١.

سفر دانيال. وإذا جاء هذا النبي فإن اليهود والأمم مكلفون بالسماع منه، وبحسب كلامه يؤمنون ويعملون. ذلك قوله:

"يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا؛ لئلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه"[٢٢١].

نصوص من سفر حزقيال عن التوبة

النص الأول:

حزقيال٣

"فجئت إلى المسبيين عند تل أبيب، الساكنين عند نهر خابور. وحيث سكنوا هناك سكنت سبعة أيام متحيرًا في وسطهم. وكان عند تمام السبعة الأيام أن كلمة الرب صارت إلي قائلة: يا ابن آدم، قد جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل؛ فاسمع الكلمة من فمي، وأنذرهم من قبلي. إذا قلت للشرير: موتًا تموت، وما أنذرته أنت ولا تكلمت إنذارًا للشرير من طريقه الرديئة لإحيائه، فذلك الشرير يموت بإثمه، أما دمه فمن يدك أطلبه. وإن أنذرت أنت الشرير ولم يرجع عن

---

(221) تث: ١٨: ١٥- ٢٢.

شره ولا عن طريقه الرديئة، فإنه يموت بإثمه، أما أنت فقد نجيت نفسك. والبار إن رجع عن بره وعمل إثمًا وجعلت معثرة أمامه فإنه يموت؛ لأنك لم تنذره، يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله، أما دمه فمن يدك أطلبه. وإن أنذرت أنت البار من أن يخطئ البار، وهو لم يخطئ، فإنه حياة يحيا؛ لأنه أنذر، وأنت تكون قد نجيت نفسك"[٢٢٢].

لقد انتقل النبي من المكان الذي كان موجودًا فيه على نهر خابور، المذكور في الأصحاح الأول إلى تل أبيب، التي كانت تقع أيضًا على نهر خابور (وتل أبيب هذه هي في بابل – العراق حاليًا –، وهي خلاف تل أبيب الموجودة حاليًا في إسرائيل على ساحل البحر المتوسط). وفي تل أبيب التي على نهر خابور كان يسكن عدد من المسبيين، ولمدة سبعة أيام جلس في محضرهم مندهشًا ومتحيرًا ولم يفتح فمه. وهذا المشهد يذكرنا بحالة أيوب وأصحابه، الذي جلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال، ولم يكلمه أحد بكلمة واحدة، كآبته كانت عظيمة جدًا[٢٢٣]. مع هذا الفارق، ففي حالة أيوب، هو الذي كسر الصمت بأن لعن اليوم الذي ولد فيه، لكن صمت حزقيال كسره الرب الذي خاطبه بالقول: "يا ابن آدم، جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل". والسبعة الأيام كانت بمثابة مهلة انتظار منحت للنبي؛ لكي يتحقق من خلالها حالة قلوبهم القاسية التي كانت قد أعلنت له، وامتلأ قلبه بالحزن والحيرة عندما تأمل حالتهم الراهنة، وتحقق صلابة قلوبهم والأمل الكاذب الذي لا سند له من الإيمان الذين يستندون عليه، والذي بسببه سيقع قضاء الله عليهم.

لقد تعين من الله رقيبًا، ويا لها من مسئولية خطيرة وضعت عليه، فكان عليه أن يسمع الكلمة من فم الرب، ويحذرهم من قبله، وأن ينذر الشرير بالقضاء

---

(222) ع: ١٥: ٢١.

(223) أي ٢: ١٣.

الذي سيقع عليه إذا هو استمر في شره، ولكن سنرى فيما بعد أنه لا يوجد أي أمل فيهم كأمة، وبذلك أغلق الأمر عليهم، وأصبحت مهمته في معظمها منحصرة في إعلان تأكيد الدينونة القادمة، لكنها دينونة مميزة تميز البقية التي تسمع من مجموعة الشعب، التي تأبى أن تسمع.

ومهمة حزقيال هذه تذكرنا بالرسول عندما أعلن لشيوخ كنيسة أفسس قائلاً: "لذلك أشهدكم اليوم هذا إني بريء من دم الجميع؛ لأني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله.. متذكرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهارًا، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد"[٢٢٤].

ومهمة حزقيال كرقيب مهمة مزدوجة: أولاً أن يسمع كلمة الرب، وثانيًا أن يعلن تحذير الرب. والتحذير هو دعوة الرقيب الهامة كما نقرأ: "صوت مراقبيك. يرفعون صوتهم"[٢٢٥].

وأيضًا: "وأقمت عليكم رقباء قائلين: اصغوا لصوت البوق"[٢٢٦]. وإذا تعين على الرقيب ألا يسمع كلمة الرب، كما هي آتية من الرب، لا يقدر أن ينذر كما يقول الرب عن مثل هؤلاء الرقباء: "مراقبوه عمي كلهم. لا يعرفون. كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح"[٢٢٧].

والرقباء العمي هم الأنبياء الكذبة الذين لم يحذروا الشعب، بل قالوا سلام سلام في الوقت الذي لم يكن فيه سلام، سائرين وراء أحلامهم بدلاً من كلمة الرب، فلم يؤمنوا برسالة الرب الخطيرة التي أعطاها لهم بواسطة أنبيائه الحقيقيين، وكان لكلام الأنبياء الكذبة (المراقبين العمي) تأثيره الضار عليهم

---

(224) أ ع: ٢٠: ٢٦- ٣١.

(225) إش: ٥٢: ٨.

(226) إر: ٦: ١٧.

(227) إش: ٥٦: ١٠.

حيث أوجد فيهم الأمان الكاذب الذي لم ينشئ فيهم توبة حقيقية، وهذا ما نجده الآن في دائرة الاعتراف المسيحي، حيث كلمة الرب، بما تتضمنه من قضاء مريع ستقع على هذا العالم الحاضر الشرير، قد رفضت واحتقرت، وأصبح الإنسان الذي يصوت وينذر بالتحذير شخصًا غير مقبول، كما كان إرميا وحزقيال في أيامهما.

إن الأقوال الإلهية تتجه أولاً إليه شخصيًا بعد أن أفرزه الله من كونه رقيبًا على الشعب؛ لكي يوقف كل إنسان على أساس من مسئولية شخصية قدام الله. إن الشرير العنيد في شره لا بد أن يموت، سواء أنذره النبي أو لم ينذره، وكذلك الذي يتحول عن بره ويعمل الإثم، فهو سيموت سواء سمع الإنذار أو لم يسمع الإنذار الذي كان في مقدوره أن يحفظه في طريق البر. ويجب أن نفهم جيدًا أن البر هنا هو بر الناموس.

النص الثاني:

حزقيال ١٨:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست؟ حي أنا.

يقول السيد الرب: لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل، ها كل النفوس هي لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت، والإنسان الذي كان بارا وفعل حقًا وعدلاً لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبه، ولم يقرب امرأة طامثًا، ولم يظلم إنسانًا، بل رد للمديون رهنه، ولم يغتصب اغتصابًا، بل بذل خبزه للجوعان، وكسا العريان ثوبًا، ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مرابحة، وكف يده عن الجور، وأجرى العدل و الحق بين الإنسان والإنسان،

وسلك في فرائضي، وحفظ أحكامي؛ ليعمل بالحق فهو بار حياة يحيا يقول السيد الرب"[228].

في هذه الأعداد نجد الاتهام الكاذب من الشعب والإجابة الإلهية عليه، وكأن الله يقول هلم نتحاجج، أي هلم نتناقش، والنقاش يجيء من أن الإنسان في عدم إيمانه يجهل ذاته، والذي لا يعرف الله لا يعرف نفسه.

فهم يقولون: "الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست". وهذا المثل نجده في نبوة إرميا، لكن يضاف عليه هذا التعبير "بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه"[229]. فما هو المقصود بهذا المثل؟

يعني هذا المثل: أن آباءهم ارتكبوا الآثام والشرور بينما الأولاد أبرياء. وكأن لسان حالهم: "آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم"[230].

لكن اتهامهم هذا هو اتهام باطل، وربما يكونون قد بنوا هذا الاتهام على القول المذكور في سفر الخروج "لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي"[231].

لكن فهمهم هذا فهم خاطئ؛ لأن افتقاد ذنوب الآباء في الأبناء، هو في الأبناء الأشرار الذين يسلكون في نفس شرور الآباء، وهذا واضح في القول: "من مبغضي". إنهم في هذا المثل ينكرون مذنوبيتهم؛ لذلك يجاوبهم ويوضح لهم خطأهم بالقول: "ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت"[232].

---

(228) ع: ١: ٩.

(229) إرميا: ٣١: ٢٩-٣٠.

(230) مراثي: ٥: ٧.

(231) خر: ٢٠: ٥.

(232) ع: ٤.

فالله الخالق له حق السيادة في أن يدين الفرد، سواء الأب أو الابن طبقًا لسلوكه الشخصي، ويتعامل مع كل فرد طبقًا لسلوكه. فإذا أتت خطيئة الآباء على الأبناء؛ فذلك لأن الأولاد سلكوا في نفس شر آبائهم، وهذا ما يوضحه الرب أيضًا في القول: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء.كل إنسان بخطيئته يقتل"[233]. فالنفس التي تخطئ هي تموت، وهذا ما أعلنه الناموس في القول: "التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها"[234].

وفي العدد السادس نجد الإشارة إلى العبادة الوثنية في القول: "لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل".

وهي العبادة التي كانوا يمارسونها والتي أنهى عنها الناموس بالقول: **"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت.. لا تسجد لهن ولا تعبدهن"[235].**

والأعداد من ٧ – ٩ تستعرض الفضائل التي يجب أن يتحلى بها البار؛ طبقاً لما يتطلبه الناموس.

فلا يظلم إنسانًا ويرد للمديون رهنه[236]. ولا يغتصب اغتصابًا[237]. يبذل خبزه للجوعان ويكسو العريان ثوبًا[238]. لا يعطي بالربا[239]. ولا يأخذ مرابحة[240]. يكف عن الجور، ويجري العدل والحق بين الإنسان والإنسان[241].

([233]) تث: ٢٤: ١٦.

([234]) لا: ١٨: ٥.

([235]) خر: ٢٠: ٣– ٥.

([236]) تث: ٢٤: ١٣.

([237]) لا: ١٩: ١٣.

([238]) تث: ١٥: ١١.

([239]) خر: ٢٢: ٢٥.

([240]) لا: ٢٥: ٣٦.

فهذا البار الذي يتحلى بهذه الفضائل يحيا الحياة الطويلة على الأرض.

"فإن ولد ابنا معتنقاً سفاك دم، ففعل شيئاً من هذه، ولم يفعل كل تلك، بل أكل على الجبال، ونجس امرأة قريبه، وظلم الفقير والمسكين، واغتصب اغتصابًا، ولم يرد الرهن، وقد رفع عينيه إلى الأصنام وفعل الرجس، وأعطى بالربا وأخذ المرابحة، أفيحيا؟ لا يحيا! قد عمل كل هذه الرجاسات فموتاً يموت. دمه يكون على نفسه"[242].

في هذه الأعداد يستعرض الرب ابن الرجل البار، ومثال ذلك الملك يوشيا الرجل التقي، والملك صدقيا ابنه كان شريرًا، أفيحيا هذا الابن الشرير بسبب بر أبيه البار؟ فالملك يوشيا أب لم يأكل حصرمًا، فهل يحول ذلك دون أن تضرس أسنان ابنه صدقيا.

ومن هنا يجب أن يعاقب الابن، بل يموت سفاك الدم طبقًا لأحكام الله البارة. إنه لا يحيا بل يموت موتاً. فبر الآباء لا يمكن أن يحمي أولادهم العصاة من القضاء الإلهي.

"وإن ولد رأى جميع خطايا أبيه التي فعلها، فرآها ولم يفعل مثلها. لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولا نجس امرأة قريبه، ولا ظلم إنساناً، ولا ارتهن رهناً، ولا اغتصب اغتصابًا، بل بذل خبزه للجوعان، وكسا العريان ثوبًا، ورفع يده عن الفقير، ولم يأخذ رباً مرابحة، بل أجرى أحكامي وسلك في فرائضي، فإنه لا يموت بإثم أبيه حياة يحيا. أما أبوه فلأنه ظلم ظلمًا، واغتصب أخاه اغتصابًا، وعمل غير الصالح بين شعبه، فهو ذا يموت بإثمه"[243].

([241]) زك: ٧: ٩.

([242]) ع: ١٠: ١٣.

([243]) ع: ١٤: ١٨.

يستعرض الله هنا حالة الابن البار والأب الشرير. وخير مثال لذلك الملك حزقيال الذي يعتبر من ملوك يهوذا الأتقياء، لكن أبوه الملك أحاز كان ملكًا شريرًا، فقد قيل عنه إنه: "سار في طريق ملوك إسرائيل، حتى أنه عبر ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل"[244].

فالملك حزقيال لم يسلك في شرور أبيه ولا طرقه، فمكتوب عنه "وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبيه. هو أزال المرتفعات، وكسر التماثيل، وقطع السواري، وسحق حية النحاس التي عملها موسى؛ لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان. على الرب إله إسرائيل اتكل، وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا، ولا في الذين كانوا قبله. والتصق بالرب ولم يحد عنه، بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى"[245].

"وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه؟ أما الابن فقد فعل حقًا وعدلاً. حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا. النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي، وفعل حقًا وعدلاً فحياة يحيا لا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. في بره الذي عمل يحيا. هل مسرة أسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب: ألا برجوعه عن طرقه فيحيا؟ وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا، وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير، أفيحيا؟ كل بره الذي عمله لا يذكر. في خيانته التي خانها وفي خطيئته التي أخطأ بها يموت"[246].

---

(244) ٢ مل: ١٦: ٣.

(245) ٢ مل: ١٨: ٣- ٦.

(246) ع: ١٩: ٢٤.

يثير من الكثيرين هذا الاحتجاج: لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه؟لكن في حقيقة الأمر إن هذا التساؤل، وهذا الاحتجاج هو اختراع شرير ناتج من قلوبهم الشريرة. فقد ادعوا أنهم أبرار، وليست هناك خطايا ارتكبوها، وهنا الرب يجاوبهم بالقول: إن الابن لا يحمل من إثم الأب، كما أن الأب لا يحمل من إثم الابن، بل يتعامل معهم طبقًا لبرهم وشرهم. وهذا ما قرره الرب في الناموس فيقول: "**لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يقتل**"[247].

وأيضًا ما ذكره إرميا عندما قال: "بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه"[248].

ويستمر الرب في القول: "بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون". وهذا ما نجده في صلاة سليمان عندما قال: "فاسمع أنت في السماء واعمل واقض بين عبيدك؛ إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه، وتبرر البار؛ إذ تعطيه حسب بره"[249]. وأيضًا: "قولوا للصديق خير؛ لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير شرٌ؛ لأن مجازاة يديه تعمل به"[250].

وإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائض الرب، وفعل حقًا وعدلاً فحياة يحيا ولا يموت. بل إن كل معاصيه التي فعلها لا تحسب عليه. وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا، وفعل كل الرجاسات التي فعلها الشرير، فبره السابق الذي عمله لا يذكر، بل بخطيئته التي ارتكابها يموت. وفي الحالتين يكون القضاء طبقًا للنهاية؛ بحيث لا ذكر هنا للخطية السابقة أو البر

---

(247) تث: ٢٤: ١٦.

(248) إر: ٣١: ٣٠.

(249) ١ مل: ٨: ٣٢.

(250) إش: ٣: ١٠- ١١.

السابق؛ بمعنى أن خطيئة الماضي لا تؤثر على اتجاه البر الجديد فتعطله، كما أن البر الماضي لا يلغي الخطية الحالية.

"وأنتم تقولون: ليست طريق الرب مستوية. فاسمعوا الآن يا بيت إسرائيل: أطريقي هي غير مستوية؟ أليست طرقكم غير مستوية؟ إذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا ومات فيه، فبإثمه الذي عمله يموت.

وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل، وعمل حقًا وعدلاً، فهو يحيي نفسه. رأي فرجع عن كل معاصيه التي عملها فحياة يحيا. لا يموت. وبيت إسرائيل يقول: ليست طريق الرب مستوية، أطريقي غير مستوية يا بيت إسرائيل؟ أليست طرقكم غير مستقيمة؟ من أجل ذلك أقضي عليكم يا بيت إسرائيل، كل واحد كطرقة. يقول السيد الرب: توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم، ولا يكون لكم الإثم مهلكة. اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلبًا جديدًا وروحًا جديدة، فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل؟ لأني لا أسر بموت من يموت، يقول السيد الرب، فارجعوا واحيوا"[٢٥١].

يلخص الله القضية المطروحة في هذا الأصحاح في هذه الأعداد. فإسرائيل يشتكي والله يجاوب بالوضوح الكامل عن بر واستقامة حكومته. فهم يقولون: "ليست طريق الرب مستوية" أي طريق الرب ليست مستقيمة، وقد ذكر هذا التعبير أيضًا في عدد ٢٩ كما سيذكر في الأصحاح ٣٣ (عددي ١٧، ٢٠).

وفي الواقع كانت طرقهم هي الملتوية. إنهم يلومون الآلام التي يقاسونها بينما لم يلوموا أنفسهم بسبب الخطايا التي يرتكبونها. والتي هي علة وسبب الآلام التي يجتازون فيها، كما أنهم وهم تحت الآلام لم يتحولوا عن خطاياهم، ويرجعوا إلى الرب الذي كان على أتم الاستعداد عن العفو عنهم إذا هم رجعوا إليه.

([251]) ع: ٢٥: ٣٢.

وفي الأصحاح السادس والثلاثين الذي يتكلم عن العهد الجديد عهد النبي الأمي الآتي.

"يقول الرب: وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم"[٢٥٢]. يا له من حق جميل لا يتعارض مع بعضه، إنما يسير في انسجام تام. فطبقًا لمتطلبات الناموس، الرب يطلب منهم أن يعملوا لأنفسهم قلبًا جديدًا وروحًا جديدة، ويجعل روحًا جديدة في داخلهم، وهو الذي ينزع قلب الحجر من لحمهم، ويعطيهم قلب لحم. فالناموس يقول: اعمل تحيا.

والعدد الأخير من هذا الأصحاح يرينا ما في قلب الله من نعمة وصلاح للنفوس الهالكة. فهو نداء من قلبه المحب الذي لا يسر بموت من يموت[٢٥٣]. وهو ما توسل به أيضًا في الأصحاح الثالث والثلاثين[٢٥٤].

وقال المسيح عيسى عليه السلام في هذا المعنى: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم"[٢٥٥].

•••

إتمام النعمة

والشريعة نعمة من الله، ومن يعمل بها يكون حكيمًا. والحكمة نعمة. وفي نبوءات الزبور عن محمد ﷺ أن الله سيؤتيه النعمة التامة. وبها يظل أتباعه ثابتين إلى الأبد. وأن هذه النعمة ستكون من فمه. لا بقراءة ولا بكتابة؛ لأنه أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

---

(252) حز: ٣٦: ٢٦.

(253) ع: ٢٣.

(254) ع: ١١.

(255) مت: ١١: ٢٨.

وهذه هي الأمثلة:

"اسمع يا ابني تأديب أبيك، ولا ترفض شريعة أمك؛ لأنهما إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك"[256].

"الرب بالحكمة أسس الأرض، أثبت السماوات بالفهم، بعلمه انشقت اللجج، وتقطر السحاب ندى. يا ابني لا تبرح هذه من عينيك، احفظ الرأي والتدبير؛ فيكونا حياة لنفسك ونعمة لعنقك؛ حينئذ تسلك في طريقك آمناً، ولا تعثر رجلك، إذا اضطجعت فلا تخاف بل تضطجع ويلذ نومك، لا تخش من خوف باغت، ولا من خراب الأشرار إذا جاء؛ لأن الرب يكون معتمدك، ويصون رجلك من أن تؤخذ"[257].

"اقتن الحكمة، اقتن الفهم لا تنس، ولا تعرض عن كلمات فمي، لا تتركها فتحفظك أحببها فتصونك. الحكمة هي الرأس، فاقتن الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم، ارفعها فتعليك تمجدك إذا اعتنقتها تعطي رأسك إكليل نعمة تاج جمال تمنحك"[258].

"لإمام المغنين مزمور لداود. يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جدًا، شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه سلاه؛ لأنك تتقدمه ببركات خير وضعت على رأسه تاجًا من إبريز، حياة سألك فأعطيته طول الأيام إلى الدهر والأبد، عظيم مجده بخلاصك جلالاً و بهاء تضع عليه؛ لأنك جعلته بركات إلى الأبد تفرحه ابتهاجًا أمامك؛ لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العلي لا يتزعزع.

---

(256) أمثال: ١: ٨- ٩.

(257) أمثال: ٣: ١٩: ٢٦.

(258) أمثال: ٤: ٥- ٩.

تصيب يدك جميع أعدائك يمينك تصيب كل مبغضيك، تجعلهم مثل تنـــور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم مــن الأرض، وذريتهم من بين بني آدم؛ لأنهم نصبوا عليك شرًا تفكروا بمكيدة لــم يستطيعوها؛ لأنك تجعلهم يتولون تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم، ارتفع يا رب بقوتك نرنم وننغم بجبروتك"(٢٥٩).

"لإمام المغنين على السوسن لبني قورح قصيدة ترنيمة محبة، فاض قلبي بكلام صالح متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد ســيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهائك، وبجلالك اقتحم اركب من أجــل الحــق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضــيب ملكــك، أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثــر من رفقائك، كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار بنــات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفيــر. اســمعي يــا بنــت وانظري وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية، كلها مجــد ابنة الملك في خدرها منسوجة بذهب ملابسها، بملابس مطرزة تحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك، يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلــى قصر الملك عوض عن آبائك، يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض، اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد"(٢٦٠).

الحيــاة الأبــدية

---

(259) مزمور: ٢١.

(260) مزمور: ٤٥.

كلمة "الحياة" يقابلها "الموت"، وهما على الحقيقة للإنسان الذي يعيش على الأرض، ثم ينقطع عن أرض الأحياء، وهما على المجاز للحي بسبب عمله بالشريعة، وللميت بسبب إهماله لها. وعن هذا المعنى جاء في التوراة عن عمل اليهود بالشريعة: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.بل بكل ما يخرج من فم الرب؛ يحيا الإنسان"[٢٦١].

ويطلق عل التوراة "حياة" ولا يطلق عليها "الحياة الأبدية"، وإنما تطلق الحياة الأبدية على شريعة النبي الأمي الآتي على مثال موسى، وهو محمد ﷺ، وذلك لأن توراة موسى تنسخ على يديه. أما هو فلا ينسخ شريعة نبي؛ لأنه خاتم النبيين.

ويعبر عن الحياة الأبدية أيضًا بتعبير "الحياة" كما في قول المسيح عيسى عليه السلام وهو يتنبأ عن محمد ﷺ بلقب "ابن الإنسان" و "ابن الله":

١- "الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني؛ فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة، وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون؛ لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا، أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضًا؛ لأنه ابن الإنسان، لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. أنا لا أقدر أن افعل من نفسي شيئًا كما اسمع أدين، ودينونتي عادلة؛ لأني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني"[٢٦٢].

وقال يوحنا المعمدان بمثل قوله:

---

(261) تث: ٨: ٣. أيضًا: ٤: ٤. لو: ٤: ٤.

(262) يوحنا: ٥: ٢٤- ٣٠.

٢- "وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير، فجاءوا إلى يوحنا، وقالوا له: يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن، الذي أنت قد شهدت له هو يعمد، والجميع يأتون إليه. أجاب يوحنا وقال: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئًا إن لم يكن قد أعطي من السماء، أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل إني مرسل أمامه. من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس إذا فرحي هذا قد كمل، ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، وأن الأرض يتكلم الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق؛ لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله؛ لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح الأب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن؛ لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله"[263].

٣- وقال المسيح في نفس المعنى وهو يتحدث عن المائدة السماوية:

"فقال لهم يسوع الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء؛ لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم، له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز، فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا، ولكني قلت لكم أنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب فإلي يقبل، ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجًا؛ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني، وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني، إن كل ما أعطاني لا اتلف

---

(263) يوحنا: ٣: ٢٥- ٣٦.

منه شيئًا بل أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن هذه مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية،، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[٢٦٤].

"ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"[٢٦٥].

"وكان عيد التجديد في أورشليم، وكان شتاء، وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان، فاحتاط به اليهود، وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهرًا. أجابهم يسوع: أني قلت لكم ولستم تؤمنون الأعمال التي أنا اعملها باسم أبي هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون؛ لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والأب واحد"[٢٦٦].

"من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية، إن كان أحد يخدمني؛ فليتبعني وحيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمي، وان كان احد يخدمني يكرمه الأب"[٢٦٧].

"فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نورًا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة، وإن سمع أحد كلامي، ولم يؤمن، فأنا لا أدينه؛ لأني لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم من رذلني، ولم يقبل كلامي، فله من يدينه.

---

(264) يوحنا: ٦: ٣٢- ٤٠.

(265) يوحنا: ٤: ١٤.

(266) يوحنا: ١٠: ٢٢- ٣٠.

(267) يوحنا: ١٢: ٢٥- ٢٦.

الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير؛ لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم، وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به، فكما قال لي الأب هكذا أتكلم"[٢٦٨].

"تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضًا؛ إذ أعطيته سلطانًا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم، أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك، وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك؛ لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينًا أني خرجت من عندك، وامنوا أنك أنت أرسلتني من أجلهم، أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني؛ لأنهم لك. وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم، ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي إليك أيها الأب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني؛ ليكونوا واحدًا كما نحن حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب، أما الآن فإني آتي إليك وأتكلم بهذا في العالم؛ ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم، أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم؛ لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم، لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير، ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم، قدسهم في حقك كلامك هو حق، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم، ولأجلهم أقدس أنا ذاتي؛ ليكونوا هم أيضًا مقدسين

---

(268) يوحنا: ١٢: ٤٤- ٥٠.

في الحق، و لست أسال من اجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الأب في، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني؛ ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت في؛ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني. أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي؛ حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني؛ لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم، أيها الأب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم؛ ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم"[٢٦٩].

***

الحياة الأبدية من بعد القبر

ولا حياة في القبر ولا سؤال ولا نعيم أو عذاب. كما يقول علماء من بني إسرائيل. فإنهم يقولون: إن الروح في جسد الإنسان أو الحيوان عبارة عن "هبة هواء" يستنشقها الفم. فإن كانت أعضاء الجسد صالحة لأن يؤثر فيها الحياة؛ يكون الجسد حيًا، وإن كانت أعضاء الجسد غير صالحة لأن يؤثر فيها الحياة. يكون الجسد ميتًا، وليس من "روح" مستقلة عن الجسد. فإذا كان البعث من الأموات للجنة أو النار؛ يجمع الله العظام ويكسوها لحمًا وجلدًا ويمر عليها الهواء. فيقوم كل إنسان على رجليه. ويسير إلى الحساب. هذا هو قولهم في نفي حياة البرزخ في القبور.

ومعناه: إن من مات لا يحس بشيء، فإذا حيا في الدار الآخرة يحس بكل شيء، فتكون المدة الزمنية غير محسوبة من القبر إلى الآخرة شبه نائم لا يحس

---

(269) يوحنا: ١٧: ١- ٢٦.

بمن حوله، ولا يعلم عدد الساعات التي مرت عليه وهو نائم إلا إذا أخبره مخبر بها.

وإذ المدة في القبر غير محسوبة؛ فإن حياة الدنيا تكون موصولة بحياة الآخرة. والمدة كلها يطلق عليها "الحياة الأبدية"؛ ولذلك جاء عن الشهداء أنهم أحياء. على معنى أنهم مشبهون بالنوام، الذين ينامون بدء الليل ويستيقظون آخره. والناس كلهم على هذا النظام ينامون ويستيقظون، ولا يقال إنهم أموات، فكذلك الشهداء.

والفرق بين الشهيد وغير الشهيد: أن الشهيد يقوم ضامنا من الله العيش الدائم في الجنة؛ ولذلك قال عنهم أنهم أحياء. أما غير الشهيد فإنه يقوم ولا يدرى أرجله ستكون في الجنة أم ستكون في النار.

هذا هو حال المسلمين في "الحياة الأبدية"، وأما حال من كان قبلهم، فإنهم كانوا يعملون بشريعة وعليها ماتوا. والأبدية للأشرار منهم في النار، أما المسلمون فإن الأشرار منهم ليس لهم عذاب أبدي في النار، والأبدية في الجنة للسابقين إلى الخيرات. مثلهم مثل المسلمين سواء بسواء.

والدليل على ذلك:

١- أن المسيح عيسى ﷺ وهو يتكلم عن ساعة معركة هر مجدون قال عقبها:

"فيجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية"(٢٧٠).

٢- "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي"(٢٧١).

---

(270) متى: ٢٥: ٤٥- ٤٦.

(271) دانيال: ١٢: ٢.

٣- "لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته؛ فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"[٢٧٢].

٤- "أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء، فبالحياة الأبدية"[٢٧٣].

٥- "ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة؛ لأن السماء الأولى، والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله، مهيأة كعروس مزينة لرجلها، وسمعت صوتًا عظيمًا من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم، وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد؛ لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها أنا اصنع كل شيء جديدًا. وقال لي: اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي: قد تم أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانًا، من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلهًا، وهو يكون لي ابنًا. وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني"[٢٧٤].

٦- "من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها؛ لذلك أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة من

---

(272) يوحنا: ٥: ٢٨- ٢٩.

(273) رومية: ٢: ٧.

(274) رؤية: ٢١: ١- ٨.

أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع إثمه، وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين"[٢٧٥].

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾

يخبر ﷻ عن قسوة قلوب اليهود في زمان ما قبل القرآن، وفي زمان ما بعده، والقرنية المرجحة لهذا المعنى هي ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾([٢٧٦]). لتطابقها مع ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[٢٧٧]. وعلى هذا المعنى يكون ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾[٢٧٨]. من بعد القرآن. المعبر عنه في بدء السورة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢٧٩]. ولا يراد بالقسوة من بعد ما رأوا الآيات؛ وذلك لأن حزقيال كان يتكلم من بعد تحريف اليهود للتوراة، ويحكي عن اليهود قولهم: "قد يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا".

وقد كرر حزقيال نبأ قساوة اليهود. فقال: "وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم"[٢٨٠].

وقال أيضًا: وأعطيكم قلبًا واحد، وأجعل في داخلكم روحًا جديدًا، وانزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم؛ لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها، ويكونوا لي شعبًا، وأنا أكون لهم إلهًا"[٢٨١].

([275]) إش: ٥٣: ١١- ١٢.

([276]) البقرة: ٧٤.

([277]) المائدة: ٨٢.

([278]) البقرة: ٧٤.

([279]) البقرة: ٢.

([280]) حز: ٣٦: ٢٦.

([281]) حز: ٨: ١٩- ٢٠.

١- ﴿وإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾[282].

٢- ﴿وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ﴾[283].

٣- ﴿وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[284].

أشار بكل واحدة من الثلاثة إلى نبوءة عن محمد ﷺ وبيان ذلك:

النبوءة الأولى:

١- الأصحاح الخامس والثلاثون من سفر إشعياء:

"تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر، ويزهر كالنرجس، يزهر أزهارًا، ويبتهج ابتهاجًا ويرنم، يدفع إليه مجد لبنان بهاء كرمل، وشارون هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا، شددوا الأيادي المسترخية، والركب المرتعشة ثبتوها. قولوا لخائفي القلوب: تشددوا لا تخافوا هو ذا إلهكم الانتقام يأتي جزاء الله هو يأتي، ويخلصكم؛ حينئذ تتفقح عيون العمي، وآذان الصم تتفتح؛ حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد انفجرت في البرية مياه، وأنهار في القفر، ويصير السراب أجمًا، والمعطشة ينابيع ماء في مسكن الذئاب في مربضها دار للقصب والبردي، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل لا يكون هناك أسد وحش مفترس لا يصعد إليها لا يوجد هناك، بل يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن و التنهد"([285]).

([282]) البقرة: ٧٤.

([283]) السابق.

([284]) السابق.

([285]) إش: ٣٥.

٢- أيضًا: المزمور المائة والرابع وفيه: "باركي يا نفسي الرب يا رب إلهي قد عظمت جدًا مجدًا وجلالاً لبست اللابس النور كثوب الباسط السماوات، كشقة المسقف علاليه بالمياه الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح، الصانع ملائكته رياحًا، وخدامه نارًا ملتهبة، المؤسس الأرض على قواعدها، فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد، كسوتها الغمر كثوب فوق الجبال تقف المياه من انتهارك، تهرب من صوت رعدك تفر، تصعد إلى الجبال تنزل إلى البقاع إلى الموضع الذي أسسته لها، وضعت لها تخمًا لا تتعداه لا ترجع لتغطي الأرض المفجر عيونًا في الأودية بين الجبال تجري، تسقي كل حيوان البر تكسر الفراء ظمأها فوقها طيور السماء تسكن من بين الأغصان تسمع صوتًا، الساقي الجبال من علاليه من ثمر أعمالك تشبع الأرض، المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت وخبز يسند قلب الإنسان، تشبع أشجار الرب أرز لبنان الذي نصبه؛ حيث تعشش هناك العصافير، أما اللقلق فالسرو بيته الجبال العالية للوعول الصخور ملجأ للوبار، صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها تجعل ظلمة، فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر، الأشبال تزمجر لتخطف، ولتلتمس من الله طعامها، تشرق الشمس فتجتمع وفي ماويها تربض الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء، ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك.

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار، هناك تجري السفن لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه، كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه تعطيها، فتلتقط تفتح يدك فتشبع خيرًا، تحجب وجهك فترتاع تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود، ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض، يكون مجد الرب إلى الدهر يفرح الرب بأعماله الناظر إلى الأرض فترتعد،

يمس الجبال فتدخن، اغني للرب في حياتي أرنم لإلهي ما دمت موجودا، فيلذ له نشيدي، وأنا افرح بالرب لتبد الخطاة من الأرض، والأشـــرار لا يكونـــوا بعـــد باركي يا نفسي الرب هللويا"[٢٨٦].

النبوءة الثانية:

في المزمور الثامن والسبعين: "شق صخورا في البرية. وسقاهم كأنه من يحج عظيمة" والمزامير كلها نبوءات عن محمد ﷺ.

النبوءة الثالثة:

١- ارتجاف جبل طور سيناء لما صعد موسى لمناجاة الله. وطلب منـــه العهد على بني إسرائيل أن يقوموا بالشريعة خير قيام "وقالوا كل ما تكلـــم بـــه الرب فإياه نفعل". ومن أحكامها الإيمان بنبي مثل موسى في حالة ظهوره، وهو محمد ﷺ.

٢- في الأصحاح الثالث عشر من سفر حزقيال عن هلاك أنبيـــاء بنـــي إسرائيل الكذبة في الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ "في مجلس شعبي لا يكونون، وفي كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون".

وقال عن إهلاكهم بالحجارة "وأنتن يا حجارة البرد تسقطن".

وهذا هو النص:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم تنبأ على أنبياء إســـرائيل، الـــذين يتنبأون، وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم: اسمعوا كلمة الرب هكذا قال السيد الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم، ولم يروا شيئًا، أنبياؤك يـــا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب، لم تصعدوا إلى الثغر، ولم تبنوا جـــداراً لبيت إسرائيل للوقوف في الحرب في يوم الرب، رأوا باطلاً وعرافـــة كاذبـــة، القائلون وحي الرب، والرب لم يرسلهم، وانتظروا إثبات الكلمة، ألم تروا رؤيـــا

---

(286) المزمور: ١٠٤.

باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين وحي الرب، وأنا لم أتكلم لذلك، هكـذا قـال السيد الرب: لأنكم تكلمتم بالباطل ورأيتم كذبًا؛ فلذلك ها أنا عليكم يقول السـيد الرب، وتكون يدي على الأنبياء الذين يرون الباطل، والذين يعرفون بالكذب في مجلس شعبي لا يكونون، وفي كتاب بيت إسـرائيل لا يكتبـون، والـى أرض إسرائيل لا يدخلون؛ فتعلمون أني أنا السيد الرب من أجل أنهم أضـلوا شـعبي قائلين: سلام وليس سلام، وواحد منهم يبني حائطاً، وها هم يملطونه بالطفـال، فقل للذين يملطونه بالطفال: إنه يسقط يكون مطر جارف، وانتن يا حجارة البرد تسقطن، وريح عاصفة تشققه، وهوذا إذا سقط الحائط، أفلا يقال لكم أين الطـين الذي طينتم به؟ لذلك هكذا قال السيد الرب أني اشققه بريح عاصفة في غضبي، ويكون مطر جارف في سخطي وحجارة برد في غيظي لإفنائه؛ فاهدم الحـائط الذي ملطتموه بالطفال وألصقه بالأرض، وينكشف أساسه فيسقط، وتفنون أنـتم في وسطه؛ فتعلمون أني أنا الرب، فأتم غضبي على الحائط، وعلى الذين ملطوه بالطفال، وأقول لكم ليس الحائط بموجود، ولا الذين ملطوه؛أي أنبياء إسـرائيل الذين يتنبأون لأورشليم، ويرون لها رؤى سلام ولا سلام. يقول السـيد الـرب: وأنت يا بن آدم، فاجعل وجهك ضد بنات شعبك، اللـواتي يتنبـأن مـن تلقـاء ذواتهن، وتنبأ عليهن، وقل: هكذا قال السيد الرب: ويل للواتي يخطن وسائد لكل أوصال الأيدي، ويصنعن مخدات لراس كل قامة؛ لاصطياد النفوس أفتصـطدن نفوس شعبي، وتستحيين أنفسكن، وتتجسنني عند شعبي لأجـل حفنـة شـعير، ولأجل فتات من الخبز؛ لإماتة نفوس لا ينبغي‌ن تموت، واسـتحياء نفـوس لا ينبغي أن تحيا بكذبكن على شعبي السامعين للكذب لذلك، هكذا قال السيد الرب: ها أنا ضد وسائدكن التي تصطدن بها النفوس كالفراخ، وأمزقها عن أذرعكـن، وأطلق النفوس، النفوس التي تصطدنها كالفراخ، وأمزق مخداتكن، وأنقذ شـعبي من أيديكن، فلا يكونون بعد في أيديكن للصيد، فتعلمن أني أنا الـرب؛ لأنكـن

أحزنتن قلب الصديق كذبًا، وأنا لم أحزنه، وشددتن أيدي الشرير؛ حتى لا يرجع عن طريقه الرديئة فيحيا؛ فلذلك لن تعدن ترين الباطل، ولا تعرفن عرافة بعـد، وأنقذ شعبي من أيديكن؛ فتعلمون أني أنا الرب"(٢٨٧).



---

(287) حز: ١٣.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السابع

في

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾

تكلم النبي حزقيال عن مجد "ابن الإنسان" – الذي هو محمد رسول الله ﷺ –، والمجد:هو العرش في مملكة الرب المعروفة بملكوت السموات. وقد تكلم عنه كما قد رأي في "مرأي النبوة"، وهي تشبه حالة الصرع. أي أنها حالة صرع يعترى النبي – منهم – إذا أراد الله أن يملكه بشيء. ويرى في هذه الحالة، وهو بين النائم واليقظان، كما يرى في اليقظة سواء بسواء، ولأن هذه الحالة تشبه "حلم الليل" والحلم غير اليقظة؛ فإن النبي يكتب ما رآه كأضغاث أحلام؛ ولذلك يحار مفسرو كلامه في بيان غرضه.

وعند بني إسرائيل من أسفار الرؤى كثير. وعند النصارى سفر يسمى بسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي. شبيه بسفر حزقيال.

ويقول المفسرون في هذين السفرين: إنهما يتنبآن عن ظهور "المَسِيَّا" وعرشه، ويصفان تعظمه وارتفاعه ومجده. يقسمون زمان "مجد الله" إلي قسمين. قسم بدأ مع موسى عليه السلام وسيرتفع هذا المجد عن بني إسرائيل. وسيعود هذا المجد علي يد النبي الآتي علي مثال موسى الذي يلقبونه "المَسِياّ" أو "المسيح"، ويعبرون عن زوال المجد بأن الله ابتعد عن "أورشليم" وغادر "صهيون"؛ أي أنهم صاروا بعد زواله كأمة من الأمم الوثنية؛ لأن الله ابتعد عنهم. أي أخذ منهم الشريعة التي تدل علي مجده في الأرض، وسلمها لقوم آخرين.

وقد تنبأ عن خراب أورشليم. وقال: إن من أهلها ستكون " بقية " لن يدركها الفناء وقت الخراب. وهي التي ستؤمن بالنبي الأمي الآتي. وأكد علي

مجيء هذا النبي. وقال: إن علي يديه يكون بعث اليهود خلقًا جديـدًا. وأيضـًا سيؤلف بين قلوب اليهود السامريين والعبرانيين.

وفي نهاية سفره تكلم عن المدينة الجديدة، وقال: "واسم المدينة من ذلـك اليوم يَهْوَه شَمَّه" أي الرب هنالك.

وإذ هو ينذر "أورشليم" بالهلاك في يوم الرب، تكون المدينة الجديدة التي ستكون عاصمة عرش النبي الآتي ومجده، هي مدينة "مكة المكرمـة" وعـرش النبي ومجده، هما عرش الله نفسه ومجده. بمعني سيادة شريعة علي الأرض لا سيادة شرائع عَباد الأصنام. فإذا عبد الناس الشيطان في مدينة من المدن. يقـال علي هذه المدينة: إن فيها عَرش الشيطان ومجده، وإذا عبدوا الله في مدينة مـن المدن. يقال علي هذه المدينة: إن فيها عرش الله ومجده. وأي ملك يعظم ملكـه يقال عن ملكه: إنه مجد هذا الملك.

فالمسيح عيسي ﷺ وهو يحث الحواريين علي الـدعوة إلـي "ملكـوت السموات" يقول: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال؛ لـذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبمـا تشـربون، ولا لأجسـادكم بمـا تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلي طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلي مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد علـي قامته ذراعًا واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمـو؟ لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يُوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يُلبسـه الله هكذا، أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين: مـاذا نأكل أوَ ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلهـا تطلبهـا الأمـم؛ لأن أبـاكم

السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلي هذه كلها. لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد؛ لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره"[٢٨٨].

ويقول المسيح أيضًا عن مجد محمد رسول الله الذي يلقبه بلقب "ابن الإنسان" كما لقبه حزقيال ودانيال:

ففي إنجيل لوقا:

"وقال للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورائي؛ فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني، فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي، فهذا يخلصها؛ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؛ لأن من استحى بي وبكلامي، فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الأب والملائكة القديسين. حقًا أقول لكم إن من القيام ها هنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله"[٢٨٩].

ففي إنجيل متى:

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس[٢٩٠] على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فأويتموني، عريانًا فكسوتموني، مريضًا فزرتموني محبوسًا فأتيتم إلي. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانًا

---

[288] متى: ٦: ٢٤- ٣٤.

[289] لوقا: ٩: ٢٣: ٢٧.

[290] بمعنى: يجلس على عرش مجده.

فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبًا فأويناك، أو عريانًا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته؛ لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبًا فلم تأووني، عريانًا فلم تكسوني، مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضًا قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا أو عطشانًا أو غريبًا أو عريانًا أو مريضًا أو محبوسًا ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية"[٢٩١].

قال المسيح: إنني لست صاحب المجد الآتي – أي لست صاحب عرش مملكة السموات الآتية – "أنا لست أطلب مجدي. يوجد من يطلب ويدين"[٢٩٢].

• • •

وفي سفر النبي حزقيال لا يوجه الإنذار لليهود في يوم الرب فقط، بل يوجهه إليهم وإلى الأمم أيضًا. فإنذار أورشليم يقول فيه:

"يا بن آدم قد جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل. فاسمع الكلمة من فمي، وأنذرهم من قبلي...الخ"[٢٩٣].

وفي إنذار الأمم يقول: إن الأمم المنذرة هي: بني عَمّون، موآب، وسعير، أدوم، فلسطين، كريت، صور، صيدون، مصر. وبعدما فرغ من إنذار الأمم؛ شرع في الكلام في يوم الرب. فقال:

([291]) متى: ٢٥: ٣١– ٤٦.

([292]) يوحنا: ٨: ٥٠.

([293]) حز: ٣: ١٧.

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم تنبأ وقل: هكذا قال السيد الـرب، ولولوا يا لليوم؛ لأن اليوم قريب، ويوم للرب قريب يوم غيم، يكون وقتًا للأمم، ويأتي سيف على مصر، ويكون في كوش خوف شديد عند سقوط القتلـى فـي مصر، ويأخذون ثروتها، وتهدم أسسها، يسقط معهم بالسيف كوش وفوط ولـود وكل اللفيف وكوب وبنو أرض العهد، هكذا قال الرب، ويسقط عاضد ومصـر، وتنحط كبرياء عزتها من مجدل إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف. يقول السـيد الرب: فتقفر في وسط الأراضي المقفرة، وتكون مدنها في وسط المدن الخربة؛ فيعلمون أني أنا الرب عند إضرامي نارًا في مصر، ويكسر جميع أعوانها فـي ذلك اليوم يخرج من قبلي رسل في سفن لتخويف كوش المطمئنة، فيأتي علـيهم خوف عظيم كما في يوم مصر؛ لأنه هوذا يأتي"[294].

وتكلم عن أن اليهود إذا قبلوا النبي الأتي؛ فإنه لن يهلكهم لن يهلكهم فـي يوم الرب: "وأنت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل، فتسمع الكلام مـن فمي، وتحذرهم من قبلي..."[295].

وتكلم عن علماء بني إسرائيل وقال: "هكذا قال السيد الرب للرعاة: ويـل لرعاة إسرائيل..."[296].

وقال: إن الله قادر علي أن يحييكم بشريعة هذا النبي، ويبعثكم خلقًا جديدًا "ها هم يقولون: يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا؛ لذلك تنبأ وقـل لهـم:

---

(294) حز: ٣٠: ١- ٩.

(295) حز: ٣٣: ٧.

(296) حز: ٣٣: ٢.

هكذا قال السيد الرب: هأنذا أفتح قبوركم[٢٩٧] وأصعدكم من قبوركم يا شعبي..."[٢٩٨].

وبعدما تكلم عن البعث الجديد، أخذ في الكلام عن معركة يوم الرب وشدتها فقال: إن شعب الله الجديد، سوف يجابه أعداء مخيفين، فيهم يأجوج ومأجوج، وفيهم الكافرون من اليهود والأمم. وأن شعب الملكون من البقية الصالحة من بني إسرائيل وقوم النبي الأمي الآتي. سوف يفتحون بلاد يأجوج ومأجوج في يوم الرب، وسوف يملكون علي بلادهم وبلاد الأمم أيضًا. وذلك في الأصحاح ٣٨ و ٣٩.

وقال حزقيال: إن شعب الله المجدد، ستكون له عاصمة ملك غير عاصمة ملك اليهود في فلسطين. ورسم بخياله الجبل الذي ستصبح عليه عاصمة شعب الله المجدَّد. وذلك في الأصحاح ٤٠ إلي ٤٨.

وإذا يقول حزقيال: إن هذه المعارك في يوم الرب، ومعلوم أن يوم الرب لم يكن من قبل المسيح عيسى عليه السلام، فإن المسيح نبه علي مجيئه من بعده: يكون الشعب المجدَّد هو شعب محمد رسول الله ﷺ، ولا يكون يوم الرب لملك بابل نبوخذ نصر أو غيره من الأمم الوثنية.

• • •

هيئة العرش:

ماذا رأي حزقيال؟ رأي:

١- غمامة كبيرة.

٢- عاصفة.

٣- نار.

---

(297) القبور مجاز عن الضيقات والشدائد.

(298) حز: ٣٧: ١٣.

٤- أربع حيوانات.

٥- الحيوانات الأربع تطير.

٦- الحيوانات تحمل جلَدا.

٧- علي الجلد عرش.

٨- وفوق الجلد هيئة إنسان.

٩- وحول الإنسان ضياء.

"ماذا رأي؟ رأى في داخل غمامة كبيرة نار تدوم، يسبقها هبوب العاصفة، ثم كائنات حية. وهي أربعة تطير حاملة جلَدا، يظهر عليه عرش. وفوق الجلد هيئة إنسان حوله ضياء.. هذه هيئة مجد الرب"[299].

* * *

النص علي عرش صاحب ملكوت السموات:

من ترجمة دار المشرق:

"في السنة الثلاثين، في الشهر الرابع، في الخامس من الشهر، وأنا بين المجلوين علي نهر كَبار انفتحت السموات، فرأيت رؤى إلهية. في الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من جلاء الملك يوياكين، كانت كلمة الرب إلى حزقيال بن بوزى الكاهن، في أرض الكلدانيين، علي نهر كبار، وكانت عليه هناك يد الرب.

فنظرت فإذا بريح عاصف مقبلة من الشمال، وغمام عظيم ونار متواصلة، وللغمام ضياء من حوله ومن وسطها ما يشبه اللمعان القِرمزي من وسط النار. ومن وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها: لها هيئة بشر، ولكل واحد أربعة وجوه، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل مستقيمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وهي تبرق مثل النحاس الصقيل. ومن تحت أجنحتها أيدي

---

(299) حز: ١: ٤- ٢٨.

بشر علي أربعة جوانبها، وكذلك وجوهها وأجنحتها لأربعتها أجنحتها متصلة واحد بالآخر، والحيوانات لا تعطف حين تسير، فكل واحد منها يسير أمام وجهه. أما هيئة وجوهها فهو وجه بشر، ووجه أسد عن اليمين لأربعتها، ووجه ثور عن الشمال لأربعتها، ووجه عُقاب لأربعتها. وجوهها وأجنحتها منفصلة من فوق، لكل واحد جناحان متصلان أحدهما بالأخرة، وجناحان يستران أجسامها. وكانت تسير كل واحد منها أمام وجهه، وإلي حيث الروح يوجِّه السير كانت تسير، ولا تعطف حين تسير. أما هيئة الحيوانات فمنظرها كجمرات نار متقدة، كمنظر مشاعل وهي تسير بين الحيوانات، وللنار ضياء، ومن النار يخرج برق. والحيوانات تجرى وترجع ومنظرها كالبرق. فنظرت الحيوانات، فإذا بدولاب واحد علي الأرض بجانب الحيوانات ذوات الوجوه الأربعة. منظر الدواليب وصنعها كلمعان الزبرجد، ولأربعتها شكل واحد، ومنظرها وصنعها كأنما كان الدولاب في وسط الدولاب. فعند سيرها علي جوانبها الأربعة، ولا تعطف حين تسير. أما دوائرها فعالية وهائلة، ودوائرها ملأي عيونًا، من حولها لأربعتها. وعند سير الحيوانات تسير الدواليب بجانبها، وعن ارتفاع الحيوانات عن الأرض ترتفع الدواليب، وإلي حيث الروح يوجِّه السير كانت تسير، والدواليب ترتفع معها؛ لأن روح الحيوان في الدواليب. فعند سير تلك تسير هذه، وعند وقوفها تقف، وعند ارتفاعها عن الأرض ترتفع الدواليب معها؛ لأن روح الحيوان في الدواليب. وكان علي رؤوس الحيوانات شبه جَلَد كلمعان البِلُّور الهائل، منبسط علي رءوسها. من فوق. وتحت الجلد أجنحتها مستقيمة، الواحد نحو الآخر. لكل واحد اثنان يستران أجسامها من جهة، ولكل واحد اثنان يسترانها من جهة أخرى.

وسمعت صوت أجنحتها كصوت مياه غزيرة، كصوت القدير. فعند سيرها كان صوت جلبة كصوت معسكر، وعند وقوفها كانت ترخي أجنحتهـا. وعنـد وقوفها وهي مرخية أجنحتها، كان صوت من فوق الجلد الذي علي رؤوسها.

وفوق الجلد الذي علي رؤوسها كمنظر حجر اللازورد في هيئة عـرش، وعلي هيئة العرش هيئة كمنظر بَشَر عليه من فوق.

ورأيت كلمعان القِرْمِز، كمنظر نار بالقرب منه محيطًا بـه، ممـا يشـبه وسطه إلى فوق. ومما يشبه وسطه إلي تحت. رأيت كمنظر نار والضياء يُحيطُ به. وكان منظر هذا الضياء من حوله مثل منظر قوس الغمام في يوم مطر. هذا منظر يشبه مَجْدَ الرب".

الشرح والبيان:

الإشارة بالغمام العظيم هو إلي ظهور شريعة ناسخة لشريعة موسى. وذلك لأن الله تعالي كلم موسى علي جبل طور سيناء من الغمام لما أراد أن ينزل عليه التوراة. ففي الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج:

"وأما موسى فصعد إلي الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعتُ بالمصريين. وأنا حملتكم علي أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي؛ تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل.

فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمـات التـي أوصاه بها الرب. فأجاب جميع الشعب معًا وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعـل. فرد موسى كلام الشعب إلي الرب. فقال الرب لموسى: ها أنا آت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك؛ فيؤمنوا بك أيضًا إلي الأبد. وأخبر موسى بكلام الشعب.

فقال الرب لموسى: اذهب إلي الشعب وقدّسهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث؛ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب علي جبل سيناء، وتقيم للشعب حدودًا من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصدوا إلي الجبل أو تمسوا طرفه. كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً. لا تمسه يد، بل يرجم رجمًا أو يرمي رميًا. بهيمة كان أم إنساناً؛ لا يعيش. أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلي الجبل.

فانحدر موسى من الجبل إلي الشعب، وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم. وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا امرأة.

وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح، أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل علي الجبل وصوت بوق شديد جدًا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدًا[٣٠٠].

• • •

فحزقيال ينقل صورة بدء الوحي علي موسى. وهي الغمام والرعود والبروق والسحاب الثقيل والدخان والنار وارتجاف الجبل، إلي بدء الوحي علي النبي الآتي علي مثاله. ففي صورة حزقيال. الريح العاصفة والغمام والنار. ويظهر اللمعان وهو الذي قال عنه موسى: إن بركة الله ستتلألأ من جبل فاران. وفي ترجمة: "لهم لُمعَ من فاران" ذلك قوله: " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس، ومن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك.

---

(300) حز: ١٩: ٣- ٩.

وقول حزقيال: "وكان علي رؤوس الحيوانات شبه جَلَد كلمعان البلّور الهائل منبسط علي رؤوسها" يدل علي أن الحيوانات تحمل إذن عرش الرب أكثر مما تجره.

وحمل عرش الرب الآتي. يشبه "تابوت العهد" في شريعة موسى. حيث "رب الجنود الجالس علي الكروبيم"[٣٠١].

ففي الأصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج عن صنعة التابوت:

"فيصنعون تابوتاً من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج تغشيه، وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه، وتسبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها على قوائمه الأربع، على جانبه الواحد حلقتان، وعلى جانبه الثاني حلقتان، وتصنع عصوين من خشب السنط، وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت؛ ليحمل التابوت بهما، تبقى العصوان في حلقات التابوت لا تنزعان منها"[٣٠٢].

وإذا خرج بنو إسرائيل لقتال أعدائهم كانوا يسيرون التابوت أمام الجيش، وكانت تطمئن قلوبهم إذا رأوه معهم. ويعبرون عن الأطمئنان بقولهم الله معنا؛ لأن التابوت نائب عن حضوره. ولما كان التابوت نائبًا عن الله، كانوا يقولون: الله يجلس علي التابوت، يجلس فوق الكروبيم. وهذا منهم كناية عن أن الله معهم. والتابوت يذكرهم به. وليس هذا منهم علي الحقيقة؛ وذلك لأن في التوراة: أن الله في كل مكان بذاته وبعلمه، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه[٣٠٣] يكلم الناس

---

(301) ١ صم: ٤: ٤.

(302) خر: ٢٥: ١٠: ١٥.

(303) "أيها العطاش جميعًا هلموا إلي المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا. هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً. لماذا تزنون فضة بغير خبز وتعبكم لغير شبع.

عن نفسه علي قدر عقولهم، شبه ما يكلم به بعضهم بعضًا؛ ليقدروا علي تصور ذاته.

ففي سفر إرمياء:

"العلي إله من قريب. يقول الرب. ولست إلهًا من بعيد؟ إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة. أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ السموات والأرض؟ يقول الرب"[٣٠٤].

وفي توراة موسى: "ليس مثل الله" ومثل هذا كثير في كتبهم.

وفي الأصحاح الرابع من سفر صموئيل الأول:

"وكان كلام صموئيل إلي جميع إسرائيل، وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب، ونزلوا عند حجر المعونة، وأما الفلسطينيون فنزلوا في أفيق، واصطف

استمعوا لي استماعًا، وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم وهلموا إلي. اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهدًا أبديًا- = مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شارعًا للشعوب رئيسًا. وموصيًا للشعوب: ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل؛ لأنه قد مجدك.

اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب؛ ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليت إلي الرب فيرحمه وإلي إلهنا؛ لأنه يكثر الغفران؛ لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي. يقول الرب: لأنه كما علت السموات عن الأرض؛ هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم؛ لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلي هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزاً للأكل. هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغة، بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له. لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تُحضرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنمًا وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي. عوضًا عن الشوك ينبت سرو، وعوضًا عن القريس يطلع آس. ويكون للرب اسمًا. علامة أبدية لا تنقطع"(إشعياء ٢٥).

([304]) إر: ٢٣: ٢٣- ٢٤.

الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب؛ فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين، وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل، فجاء الشعب إلى المحلة.

وقال شيوخ إسرائيل: لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب؛ فيدخل في وسطنا، ويخلصنا من يد أعدائنا، فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم، وكان هناك ابنا عالي: حفني وفينحاس مع تابوت عهد الله.

وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافًا عظيمًا، حتى ارتجت الأرض فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف، فقالوا ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين، وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة فخاف الفلسطينيون؛ لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة، وقالوا: ويل لنا؛ لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله"[٣٠٥].

ويقول مفسرو التوراة في معنى ما قلنا:

"كان بنو إسرائيل يخشون أن يروا وجه الرب؛ ولذلك فقد كان الله في أغلب الأحيان يريهم "مجده" أي العلامات الخارجية التي تحيط بشخصه وتكشفه[٣٠٦]. فمجد الرب هو إذن علامة حضوره. كان هذا المجد عادة في هيئة غمام نير[٣٠٧]. أما هنا فالغمام يرافقه نوع من الخيال البشرى الساطع[٣٠٨].

***

حملة العرش في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي:

---

[305] ١ صم: ٤: ١– ٧.

[306] راجع خر: ٣٣: ١٨–٢٢ إلخ.

[307] خر: ١٦: ١٠. خر: ٤٣: ١– ٥.

[308] تعليق دار المشرق على النص.

وقد ألف المسيحيون سفر الرؤيا، ووضعوا فيه مثل ما وضع اليهود عن عرش النبي الآتي في سفر حزقيال، بأسلوب أسطوري. يفهمون معناه، ولا يفهم معناه الأميون، وغرضهم من تأليفه: هو أن يطبقوا نبوءة العرش علي "الخروف" الذي هو "المسيح عيسى بن مريم" في نظرهم. وهم يلقبونه بالخروف؛ لأنه في نظرهم قد ذُبح فداء عن خطايا بني آدم. ومع هذا كتبوا فيه ما يدل العلماء علي أن صاحب العرش هو النبي محمد ﷺ، ولقبوه بلقب "الوحش" وقالوا: إن الوحش بحساب الجمل يدل علي اسم إنسان، وجملة حسابه ست مائة وستة وستون. ومعلوم: أن "محمد بن عبد الله العربي بمكة" تساوي هذا الرقم. وقالوا: إنه سيغلب القديسين أي اليهود والنصارى. ولقبوه بلقب "الأسد".

وقالوا: إن النبي الآتي الملقب بالأسد، سيكون من سبط يهوذا أصل داود. ومعلوم أن عيسى ليس من سبط يهوذا، ولا ينتسب إلي أب؛ لأنه بلا أب. وقالوا: إن الجالس علي العرش هو غير الخروف. وحزقيال في سفره لا يتكلم إلا عن واحد هو الجالس علي العرش. فيكون إشراك الخروف معه هو للغو في النبوءة. ذلك قوله: "سمعتها قائلة للجالس علي العرش وللخروف: البركة والكرامة والمجد والسلطان إلي أبد الآبدين".

* * *

وفي إنجيل برنابا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وأربعون ألفًا. ومحرف سفر الرؤيا جعل العدد في بني إسرائيل. ذلك قوله: "وسمعت عدد المختومين مائة وأربة وأربعين ألفا مختومين. من كل سبط من بني إسرائيل".

وهذا هو نص إنجيل برنابا:

" أجاب يسوع: لما خلق الله كتلة من التراب، وتركها خمسًا وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئاً آخر؛ علم الشيطان الذي كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة. لما كان عليه من الإدراك العظيم: أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مائة

وأربعة وأربعين ألفًا موسومين بسِمة النبوة، ورسول الله الذي خلق الله روحه قبل كل شيء آخر بستين ألف سنة؛ ولذلك غضب الشيطان فأغرى الملائكة قائلاً: انظروا سيريد الله يومًا ما أن نسجد لهذا التراب. وعليه فتبصَّروا في أننا روح، وأنه لا يليق أن نفعل ذلك؛ لذلك ترك الله كثيرون"[309].

ثم تكلم عن هزيمة اليهود والأمم في يوم الرب، في أرض هَـر مَجَـدُّون فقال:

"ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء ها أنا آتي كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشي عريانًا، فيروا عريته فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون"[310].

ومعلوم: أن المنتصر في هذه المعركة هم المسلمون أتباع محمد ﷺ.

وبعد ذلك قال:

"وخر الأربعة والعشرون شيخاً والأربعة الحيوانات، وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين هللويا. وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفين الصغار والكبار. وسمعت كصوت جمع كثير، وكصوت مياه كثيرة، وكصوت رعود شديدة قائلة: هللويا. فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء..."[311].

---

(309) برنابا: ٣٥: ١- ١١.

(310) رؤ: ١٦: ١٢- ١٦.

(311) رؤ: ١٩: ٤.

نبوءة كلمة الله:

ونبوءة كلمة الله هي من نبوءات التوراة الإنجيل علي محمد ﷺ، وقد لغا فيها كاتب سفر الرؤيا بقوله:

"ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلي رأسه تيجان كثيرة، وله مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويدعي اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه علي خيل بيض لابسين بزًا أبيض ونقيًا. ومن فمه يخرج سيف ماض؛ لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعصا من حديد، وهو يدوس معصرة خمر وسخط وغضب الله القادر علي كل شيء. وله علي ثوبه وعلي فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب"[٣١٢].

أي أن الملك هو الملقب بكلمة الله.

• • •

ثم تكلم عن شريعة جديدة ستأتي لتبدل الأرض غير الأرض والسموات.

فقال:

"ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة؛ لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها، وسمعت صوتًا عظيمًا من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبًا، والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم، وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد؛ لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها أنا اصنع كل

---

(312) رؤ: ١٩: ١١- ١٦.

شيء جديدًا. وقال لي: اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي: قد تم أنا هو الألف والياء البداية والنهاية أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانًا من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلها، وهو يكون لي ابنا، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني"[٣١٣].

* * *

وفي نهاية السفر يقول المحرف: إن مملكة النبي الآتي المرموز إليه بالوحش. سيكون المسيحيون فيها؛ لأنها ستكون مملكة واحدة لأتباع الاثنين. ذلك قوله:

"وأراني نهرًا صافيًا من ماء حياة لامعًا كبلور خارجًا من عرش الله، والخروف في وسط سوقها، وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة، وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم، ولا تكون لعنة ما في ما بعد وعرش الله، والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه، وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم، ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس؛ لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين"[٣١٤].

* * *

أقوال المفسرين في أن سفر الرؤيا يتكلم عن النبي الأمي الآتي:

أ- في كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس - العهد الجديد - الرؤيا. تأليف ليون موريس، نشر دار الثقافة المسيحية بالقاهرة:

---

(313) رؤ: ٢١: ١- ٨.

(314) رؤ: ٢٢: ١- ٥.

١- سفر الرؤيا باليونانية اسمه "أبو كالسوس".

٢- يتمسك البعض بأنه يختص بصفة قاطعة بأحداث نهاية الأيام[٣١٥].

هذا هو قولهم: "وقد بينا: أن نهاية الأيام هي آخر أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل، وبدء أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل".

٣- قال "فان يونيك": "إنه ليس كتاب ألغاز؛ لأنه ينادي بمملكة الله، التي ستستعلن في حينها، وتجلب معها سقوط، وتدمير كل مقاوم[٣١٦].

٤- وهو أيضًا مثل الكتابات الرؤيوية الأخرى في توقعه قيام ملكوت الله، وتطلعه لسماء جديدة وأرض جديدة[٣١٧].

٥- إن الرائي يكتب عن مسيح سيأتي بالحقيقة[٣١٨].

وقد ذكرنا أن المسيح بن مريم قال: إنه لن يأتي إلى العالم. فيكون المسيح الآتي هو محمد ﷺ.

• • •

ب- وفي دراسات تفسيرية في سفر الرؤيا للدكتور هاني ماهر طبعة ١٩٩٢.

١- إن يتكلم عن إقامة مملكة البرّ المنتظرة شأنه أسفار الرؤى[٣١٩].

٢- إن هذا السفر هو إعلان من يسوع المسيح نفسه لما لابد أن يكون عن قريب[٣٢٠].

٣- سيأتي المسيح ليحارب أعداءه في هَرَ مَجَدُّون[٣٢١].

---

(315) ص: ١٣.

(316) ص: ١٦.

(317) ص: ١٩.

(318) ص: ٢٠.

(319) ص: ٦.

(320) ص: ١١.

ومعلوم: أن هرمجدون هي معركة اليرموك. ولم يكن فيها المسيح ابن مريم.

٤- أحداث السفر من أصحاح ٤ إلي أصحاح ١٩، هي نبوءات لأحداث تنتظر التتميم[٣٢٢].

٥- الأصحاحات من ٤: ١٩ تتحدث عن تاريخ العالم إلي نهاية العالم[٣٢٣]. ومعلوم: إن نهاية العالم هي نهاية أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل.

٦- الجزء الخاص بالدينونة الأخيرة والحياة الأبدية. الذي تكلم عنه يوحنا؛ لم يكن قد تحقق من قلبه[٣٢٤]. ومعلوم أن الدينونة الخيرة هي هلاك الكافرين بمحمد ﷺ من اليهود والأمم في يوم الرب.

٧- يقول يوحنا في سفره: "كنت في الروح في يوم الرب" الآتي، وأصف مشاهده وأخبر بها من قبل أن تحدث[٣٢٥].

وهذا يدل علي أن السفر موضوع للتحذير من يوم الرب.

٨- الختم السادس هو يوم الرب، وأحداث هذا الختم ستتم في اليوم الأخير[٣٢٦].

ومعنى ذلك: أن السفر يتحدث عن ظهور النبي الآتي؛ ليهلك اليهود في آخر أيامهم علي الأرض في هرمجدون. وقد تم ذلك على أيدي المسلمين.

• • •

---

(321) ص: ١٦.

(322) ص: ١٦.

(323) ص: ١٧.

(324) ص: ١٩.

(325) ص: ٢٨.

(326) ص: ٦٩.

ولأن سفر الرؤيا مكتوب على مثال سفر حزقيال، وغرضنا هو تفسير نبوءة {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ}. فإننا سنذكر نص حزقيال عن العرش من ترجمة البروتستانت وسنظهر تفسيره. ومن التفسير التطابق بينه وبين سفر الرؤيا في العرش. وما سيتبقى من النبوءات؛ قد ذكرته في كتاب "الإنجيل في التوراة" وفي التوراة وفي كتاب "الدفاع عن إنجيل برنابا "، وغيرهما.

* * *

نص نبوءة ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾:

الأصحاح الأول من سفر حزقيال:

"كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المسبيين عند نهر خابور، أن السماوات انفتحت، فرأيت رؤى الله في الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك، صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور، وكانت عليه هناك يد الرب، فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة، ونار متواصلة وحولها لمعان، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار، و من وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها لها شبه إنسان، ولكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة كمنظر النحاس المصقول، وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة، ووجوهها، وأجنحتها لجوانبها الأربعة، وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم تدر عند سيرها كل واحد يسير إلى جهة وجهه. أما شبه وجوهها فوجه إنسان، ووجه أسد لليمين لأربعتها، ووجه ثور من الشمال لأربعتها، ووجه نسر لأربعتها، فهذه أوجهها، أما أجنحتها فمبسوطة من فوق لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه، واثنان يغطيان أجسامها، و كل واحد كان يسير إلى جهة وجهه إلى حيث تكون الروح لتسير تسير لم تدر عند سيرها.

أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح هي سالكة بين الحيوانات، وللنار لمعان، ومس النار كان يخرج برق، الحيوانات راكضة وراجعة كمنظر البرق، فنظرت الحيوانات، وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة منظر البكرات، وصنعتها كمنظر الزبرجد، وللأربع شكل واحد ومنظرها وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة لما سارت، سارت على جوانبها الأربعة لم تدر عند سيرها. أما أطرها فعالية ومخيفة و أطرها ملآنة عيوناً حواليها للأربع، فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها، وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات إلى حيث تكون الروح لتسير يسيرون إلي حيث الروح لتسير والبكرات ترتفع معها؛ لأن روح الحيوانات كانت في البكرات، فإذا سارت تلك سارت هذه، وإذا وقفت تلك وقفت، وإذا ارتفعت تلك عن الأرض ارتفعت البكرات معها؛ لأن روح الحيوانات كانت في البكرات، وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشرا على رؤوسها من فوق، وتحت المقبب أجنحتها مستقيمة الواحد نحو أخيه لكل واحد اثنان يغطيان من هنا، ولكل واحد اثنان يغطيان من هناك أجسامها، فلما سارت سمعت صوت أجنحتها كخرير مياه كثيرة كصوت القدير صوت ضجة كصوت جيش، ولما وقفت أرخت أجنحتها، فكان صوت من فوق المقبب الذي على رؤوسها إذا وقفت أرخت أجنحتها، وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق، ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله من منظر حقويه إلي فوق، ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نار، ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر،

هكذا منظر اللمعان من حوله هذا منظر شبه مجد الرب، ولما رأيته خررت على وجهي، وسمعت صوت متكلم"(٣٢٧).

٢- وفي الأصحاح الثالث من سفر حزقيال:

"ثم حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم: مبارك مجد الرب من مكانه وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه، وصوت البكرات معها، وصوت رعد عظيم. فحملني الروح وأخذني فذهب مرا في حرارة، ويد الرب كانت شديدة علي"(٣٢٨).

الشرح والبيان

الأصحاح الأول:

المقدمة

"كان في سنة الثلاثين(٣٢٩) في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المسبيين عند نهر خابور، أن السماوات انفتحت، فرأيت رؤى الله. في الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك، صار كلام الرب إلي حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور. وكانت عليه هناك يد الرب"(٣٣٠).

بدأت نبوة حزقيال في سن الثلاثين لقيام مملكة بابل، وفي السنة الخامسة من سبي يوياكين (يهوياكين)(٣٣١)، وذِكْر السنة الخامسة من سبي يهوياكين ليس

---

(327) حزقيال: ١.

(328) حز: ٣: ١٢- ١٤.

(329) يرى البعض أن حزقيال بدأ خدمته النبوية في سن الثلاثين.

(330) ع: ١: ٣.

(331) هناك بعض حوادث هامة كانت تؤرخ الأحداث بالنسبة لها. من هذه الحوادث قيام مملكة بابل سنة ٦٢٥ ق.م وسبي يهوياكين الذي حدث سنة ٥٩٩ ق.م (انظر جدول التواريخ

بدون معنى أو سبب خاص، بل قصد الله أن يكون هناك وقت كاف[٣٣٢] بين هذه السنة والخراب النهائي الذي حل بأورشليم سنة ٥٨٨ ق.م، لأولئك الذين تركوا في الأرض وللذين كانوا في السبي.

ويقول المفسرون إن الغرض من رؤيا حزقيال هو أن يتوب اليهود عن عصيانهم لله. وقولهم باطل. فإن اليهود لما حدث لهم ما حدث من المصائب في ذاك الزمان وقالوا: "قد هلك رجاؤنا" بيَّن الله لهم أن الرجاء لم يهلك؛ لأنه سوف يرسل لهم النبي الأمي الآتي على مثال موسى ليحييهم مرة أخرى، وفي ظله يعيشون بين الأمم. يدل على ذلك: ما في سفر حزقيال عن "يوم الرب" الآتي. وقد آتي من بعده بأكثر من ألف سنة. وعناصر الموضوع هي:

١- السماوات المفتوحة.

٢- رؤى الله

٣- صار كلام الله إليه

٤- يد الله كانت عليه



السموات المفتوحة:

لا نقرأ في العهد القديم أن السماء فتحت إلا في هذا المكان. إلا أن حزقيال قد رأي السماء المفتوحة في رؤى الله، شبه ما جاء في الإنجيل. عندما تكلم المسيح مع نثنائيل قائلاً له: "من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان[٣٣٣](٣٣٤).

والحوادث الهامة في الكتاب المقدس بلبنان، وأيضًا شرح حز: رشاد فكري: طبعة ٢٠٠٣. نشر مكتبة الأخوة بالقاهرة).

([332]) هذه الحوادث تقرب من ٧ سنوات من سنة ٥٩٥ إلى سنة ٥٨٨ ق.م

([333]) ابن الإنسان لقب لمحمد ﷺ في الأصحاح السابع من سفر دانيال.

([334]) يو: ١: ٥١.

رؤى الله:

السماوات المفتوحة قد أحضرت لحزقيال في رؤى الله؛ فهو قد رأي الرؤيا التي تصور الله في معاملاته القضائية مع بني إسرائيل.

كلام الرب الذي صار إليه:

نفهم من هذا أن رسالته هي من الرب؛ لأن كلام الرب صار إليه. فهو لم يرسل نفسه بل أرسله الرب وتكلم بكلام الرب.

يد الرب كانت عليه:

ذكرت هذه العبارة في هذا السفر سبع مرات:

(١) ١: ٣ (٦) ٣٧: ١

(٢) ٣: ١٤ (٧) ٤٠: ١

(٣) ٣: ٢٢

(٤) ٨: ١

(٥) ٢٣: ٢٢

كم هو أمر جميل ومبارك عندما توضع يد الرب علي المؤمن؛ لكي تعضده وتمنحه القوة التي يحتاجها لمواجهة الخدمة المكلف بها من الرب؛ لأننا لسنا كفاة من أنفسنا بل الكفاية كلها من الله؛ لأن فضل القوة لله لا منا.

• • •

رؤيا المجد:

"فنظرت وإذا بريح عاصفة جائت من الشمال. سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار. ومن وسطها شبه أربعة حيوانات. وهذا منظرها: لها شبه إنسان. ولكل واحد أربعة أجنحة. وأرجلها أرجل قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة كمنظر النحاس المصقول. وأيدي إنسان تحت أجنحتها علي جوانبها الأربعة

ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة. وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه. لم تـدر عند سيرها. كل واحد يسير إلي جهة وجهه. أما شبه وجوهها: فوجـه إنسـان ووجه أسد لليمين لأربعتها، ووجه ثور من الشـمال لأربعتهـا، ووجـه نسـر لأربعتها. فهذه أوجهها. أما أجنحتها فمبسوطة من فـوق. لكـل واحـد اثنـان متصلان أحدهما بأخيه، واثنان يغطيان أجسامها. وكل واحد كان يسير إلي جهة وجه. إلي حيث تكون الروح لتسير؛ تسير؛ لم تدر عند سيرها.

أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة، كمنظر مصابيح هي سالكة بين الحيوانات. وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق. الحيوانات راكضـة وراجعة كمنظر البرق "[٣٣٥].

وقد ذكرت هذه الرؤيا عدة مرات في السفر. ذكرت في الأصحاح الحادي عشر. عندما رأي النبي الكروبيم وأجنحتها والبكرات معها، ومجد الرب الـذي عليها من فوق راحلة من أورشليم، وواقفة علي الجبل الذي يقع شرق المدينة.

والمرة الأخيرة التي ذكرت فيها هذه الرؤيا نجدها في الأصحاح الثالـث والأربعين، عندما رأي النبي مجد إله إسرائيل، وقد جاء مـن طريـق الشـرق وصوته كصوت مياه[٣٣٦] كثيرة، والأرض أضاءت من مجده، ويذكر أن المنظر الذي رآه عند نهر خابور[٣٣٧].

وهذه الرؤيا تسمى رؤيا: "شبه مجد الرب" كما تقول في أيـة ٢٨ "هـذا منظر شبه مجد الرب" أي أن الله يُرى في مجده لتنفيذ القضاء.

أول ما رآه حزقيال في هذه الرؤيا: هو الريح العاصفة التي جاءت مـن الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة، فالريح العاصفة والنـار تشـيران إلـي

([335]) ع: ٤: ١٤.

([336]) من المؤكد أنه يشير إلى بئر زمزم في مكة.

([337]) حز: ٤٣: ١- ٤.

القضاء الإلهي، وعن هذا نقرأ في سفر المزامير: "ارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال، ارتعدت وارتجت؛ لأنه غضب.صعد دخان من أنفه، ونار من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل. وضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار، وهف على أجنحة الرياح..."[338].

كما أن إرمياء يذكر غضب الله في صورة الريح فيقول: "هوذا كسحاب يصعد، وكزوبعة مركباته. أسرع من النسور خيله"[339].

وأيضًا: "يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل، وحوله عاصف جدًا"[340].

وكون الريح العاصفة التي رآها حزقيال قادمة من الشمال: يدل على أن سحابة القضاء الإلهي وزوبعة الدينونية، التي ستأتي على مملكة يهوذا، ومدينة أورشليم؛ لن يستخدم فيها الله بابل، كأداة لتنفيذ هذا القضاء؛ لأن اليهود في ذلك الوقت في بابل. وإذا هو يتكلم عن يوم الرب الآتي، تكون الآتية للعقاب أمة النبي الآتي.

ويدل على ذلك: أن أفق النبوة يمتد إلى ما وراء "نبوخذ نصر"؛ حيث يصل إلى اجتماع الشعوب ضد أورشليم في الأيام الأخيرة[341].

وأيضًا: "ارفعوا الراية نحو صهيون، احتموا. لا تقفوا؛ لأني آتي بشر من الشمال، وكسر عظيم. قد صعد الأسد من غابته، وزحف مهلك الأمم"[342].

([338]) مز: ١٨: ٧- ١٥. انظر أيضًا مزمور: ٧٧: ١٨، ٩٧: ٢- ٤.

([339]) إر: ٤: ١٣.

([340]) مز: ٥٠: ٣.

([341]) زكريا: ١٤: ٢.

([342]) إرميا: ٤: ٦- ٧.

وأيضًا: "هوذا صوت خبر جاء، واضطراب عظيم من أرض الشمال لجعل مدن يهوذا خرابًا، مأوى لبنات آوى"[٣٤٣].

كما أن السحابة حولها لمعان كمنظر النحاس اللامع من وسط النار. والنحاس يشير إلي الدينونة التي بحسب البر أو بمعنى آخر رمز لبر الله في علاقته مع الإنسان في القضاء، كما أن النار تشير إلي القضاء أيضًا؛ لأن إلهنا نار آكلة"[٣٤٤]. كما يقول:"وكان منظر مجد الرب كنار آكلة علي رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل"[٣٤٥].

• • •

بعد ذلك يذكر الكتاب الرؤيا نفسها:

فأولاً: رأي أربعة حيوانات – وبمعنى أدق أربعة كائنات حية – وهذا منظرها: لها شبه إنسان، ولكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وأيدي إنسان تحت أجنحتها، وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه، أما شبه وجوهها: فوجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر.

تسمي هذه الحيوانات الأربعة في الأصحاح العاشر بالكروبيم والكروبيم تمثل المبادئ الإلهية التي بمقتضاها يمارس الله سلطته القضائية؛ لأن الله يستخدم الملائكة أحيانًا والناس أحيانًا أخرى في التعبير عن طرق قضائه.

• • •

والحيوانات الأربعة هنا تختلف بعض الشيء عن الحيوانات الأربعة المذكور في سفر الرؤيا. ويمكن ملاحظة أوجه الخلاف فيما يلي:

---

(343) إر: ١٠: ٢٢.

(344) تث: ٤: ٢٤.

(345) حز: ٢٤: ١٧.

١- في سفر الرؤيا الحيوان له وجه واحد، أما في حزقيال فالحيوان له أربعة وجوه.

٢- في سفر الرؤيا الحيوان له ستة أجنحة، أما في حزقيال فالحيوان له أربعة أجنحة.

٣- لا نقرأ في سفر الرؤيا أن للحيوانات أيدي، أما في حزقيال فنقرأ أن لها أيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة.

٤- في سفر حزقيال يذكر أن لها أرجل قائمة. وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، أما سفر الرؤيا فلا نقرأ عن أرجل لها.

ولكل حيوان أو كروب أربعة أوجه. أي أنه يتحرك في كل الاتجاهات. وأوجه الكروب توحي إلينا بمختلف أنواع وأشكال معاملات الله سياسيًا وقضائيًا.

فوجه الإنسان يوحي بالحكمة والفهم، والأسد بالجلال والقوة، والثور بالصبر والاحتمال والعمل والاجتهاد، والنسر بحدة البصر وسرعة العمل والتنفيذ.

هذه الأوصاف والمميزات مجتمعة تعبر عن مبادئ عرش الله في قضائه على الأرض، سواء نفذ الله هذا القضاء بواسطة بشر أو ملائكة بحسب حكمة مشيئته.

وترتيب الأوجه في سفر حزقيال يختلف عنه في سفر الرؤيا، ففي حزقيال يأتي الترتيب هكذا: إنسان، أسد، ثور، نسر.

أما الترتيب في سفر الرؤيا فيأتي هكذا: أسد، ثور، إنسان، نسر.

في سفر حزقيال يُرى الرب وقد سحب عرشه من أورشليم، وسلم السيادة لأمة جديدة. أي لشعب غير شعب اليهود. أي أنه سيمارس حقوقه الملكية في نهاية أزمنة الأمم عندما يستعلن بالمجد والقوة عن طريق النبي الملقب بابن الإنسان.

وهذا ما قد رآه دانيال: "مع سحب السماء مثل ابن إنسان.. فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة"(٣٤٦).

ونرى أجنحة هذه الكائنات الحية السرعة المدهشة التي تنفذ بها مقاصد الله وجميع طرقه ومعاملاته.

كما أن أجنحتها متصلة، أحدها بأخيه، وفي ذلك نرى الوحدة الكاملة بين تلك الكائنات الحية.

أما الأيدي التي تحت الأجنحة التي هي شبه أيدي إنسان: فهو كناية عن الاستعداد؛ لأن تمتد بالقضاء إذا كان هذا ضروريًا، مثلما امتدت طرف اليد الكاتبة لكي تعلن القضاء علي بيلشاصر الملك ونهاية مملك بابل(٣٤٧).

أما أرجلها فقائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة كمنظر النحاس المصقول. فإذا عرفنا أن هذه الكائنات الحية تمثل صفات الله في القضاء؛ سهل فهم مدلولها.

فالأرجل يقال عنها إنها قائمة أو مستقيمة، ثم بارقة كمنظر النحاس المصقول: كناية عن أن القضاء يسير، ولن يتوقف ولن تقف قوة لمنعه. ثم عن الأقدام كقدم رجل العجل، كناية عن الصبر الكامل في تنفيذ الدينونة. وعندما تصل أناة الله إلي نهايتها، لابد أن يتم القضاء.

وما أقساه حيث نقرأ: "قدامه(٣٤٨) ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية"(٣٤٩).

---

(346) دا: ٧: ١٣- ١٤.

(347) دا: ٥، ٦.

(348) نبوءة حبقوق هي لمحمد ﷺ.

(349) حب: ٣: ٦.

وكل واحد كان يسير إلي جهة وجهه؛ أي أنها تسير مستقيمة إلي الأمـــام ولا تدور، بل تتجه إلي الهدف الذي تقصده، ولن تنحرف عن تنفيـــذ المبـــادئ الإلهية للدينونة. وليس هناك قوة تستطيع أن تغير مسارها، أو تعترض أحكام بِرّ الله التي تسير وتمضي متممة أغراضها إلي النهاية.

ثم نلاحظ القول: "كل واحد كان يسير إلي جهة وجهه. إلي حيث تكـــون الروح لتسير؛ تسير"(٣٥٠). فالكل يسير موجهًا بواسطة الروح الذي هو التعبيـــر عن الله عاملاً.

ومنظر هذه الحيوانات الأربعة كجمر نار متقدة. هـــذا يـــذكرنا بـــالقول: "الصانع ملائكته رياحًا، وخدامه نارًا ملتهبة"(٣٥١). حيث أن الملائكة هـــم خـــدام ورسل أعمال عنايته.

"كمنظر مصابيح هي سالكة(٣٥٢) بين الحيوانات. وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق"(٣٥٣). وهذا يذكرنا بأوصاف النبي السيد المذكور في مزمـــور ١٨: ١٢ "من الشعاع قدامه عبرت سحبه، برد وجمر نار".

وأيضًا: "جلاله غطى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكـــان لمعان كالنور. له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته"(٣٥٤).

"الحيوانات راكضة وراجعة كمنظر البرق"(٣٥٥). أي أنها رسل سريعة في تنفيذ ما يوكل إليها بسرعة. راكضة وراجعة. وتحديد الوقت ليس لها إنما هـــي تتقدم بسرعة من مكان إلي مكان حسب أمر سيدها.

---

(350) آية: ١٢.

(351) مز: ١٠٤: ٤.

(352) أو صاعدة هابطة.

(353) آية: ١٣.

(354) حب: ٣: ٣- ٤.

(355) آية: ١٤.

النص:

"فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة علـــي الأرض بجانـــب الحيوانـــات بأوجهها الأربعة. منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد، وللأربعـــة شـــكل واحد، ومنظرها وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة. لما سارت، سارت علي جوانبها الأربعة. لم تَدُر عند سيرها. أما أطرها فعالية ومخيفة، وأطرها ملآنـــة عيوناً حواليها للأربع.

فإذا سارت الحيوانات، سارت البكرات بجانبها، وإذا ارتفعت الحيوانـــات عن الأرض ارتفعت البكرات. إلي حيث تكون الروح لتسير؛ يسيرون إلي حيث الروح لتسير والبكرات ترتفع معها؛ لأن روح الحيوانات كانت في البكرات.

فإذا سارت تلك؛ سارت هذه، وإذا وقفت تلك؛ وقفت. وإذا ارتفعـــت تلـــك عن الأرض ارتفعت البكرات معها؛ لأن روح الحيوانات كانت فـــي البكـــرات. وعلي رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشرًا علي رؤوســـها من فوق. وتحت المقبب أجنحتها مستقيمة. الواحد نحو أخيه. لكل واحـــد اثنـــان يغطيان من هنا، ولكل واحد اثنان يغطيان من هناك أجســـامها، فلمـــا ســـارت؛ سمعت صوت أجنحتها كخرير مياه كثيرة، كصوت القـــدير. صـــوت ضـــجة، كصوت جيش. ولما وقفت أرخت أجنحتها.

وفوق المقبب الذي علي رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلي شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق. ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله، من منظر حقويه إلي فـــوق، ومـــن منظـــر حقويه إلي تحت؛ رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها. كمنظر القـــوس التي في السحاب يوم مطر. هكذا منظر اللمعان من حوله. هذا منظر شبه مجـــد الرب. ولما رأيته خررت علي وجهي، وسمعت صوت متكلم"[٣٥٦].

([356]) آية: ١٥: ٢٤.

التفسير:

بعد مشهد الحيوانات الأربعة يأتي مشهد البكَرات - العَجَلات - والبكرات تحدثنا عن تطورات الزمن ومجريات الأمور التي يسيطر عليها الله؛ لأننا نقرأ أن روح الحيوانات كانت في البكرات؛ أي أن الله هو الذي يسيطر على كل شيء. كما يذكر الحكيم إذ يقول: "لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت"[357].

أي أن العناية الإلهية هي التي ترتب جميع الأمور كبيرها وصغيرها، وأن الإنسان لا يستطيع أن يغير شيئًا، فكل شيء محدد بزمانه المعين له. وللإنسان دورته المحددة ودوره في التقلب، مثل دورة الشمس والريح والمياه؛ لأن البكرة متحركة وسائرة وليست ساكنة.

والبكرة تأخذ منظر الزبرجد؛ أي أنها تعلن كمالات الله نفسه. هو الذي يخرج النور من الظلمة والحياة من الموت. ومنظرها كأنها بكرة داخل بكرة. أي أن أعمال الله في تنوع من حيث الأغراض والمظاهر.

أما أطرها - جع إطار - فعالية ومخيفة، أي أن قدرة الله هي التي تتحكم في كل شيء وتسير كل شيء. أنها فوق إدراكنا وفهمنا كما يقول الله:

"لأن أفكاري ليست أفكاركم. ولا طرقكم طرقي. يقول الرب: لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم"[358].

وإن كانت طرقه فوق إدراكنا لكل شيء تحت سيطرته؛ لأنه يعمل كل شيء طبقًا للخطة التي رسمها، وينفذها بالطريقة التي تحقق أغراضه. لكن البكرة ترتفع وتعلوا فتبدو مخيفة. الأمر الذي لا يسمح للإنسان أن يرى من

---

(357) جا: ٣: ١.

(358) إش: ٥٥: ٨- ٩.

تطورات الحوادث سوي القليل، ولا يتابع خطوات الزمن إلا فترة قصيرة؛ لأنها عالية جدا، وبعيدة عن متناول الحواس المجردة.

كما أن البكرات لا يمكن أن نفصل عن الحيوانات في حركتها أو سيرها، كما نقرأ: "فإذا سارت تلك؛ سارت هذه، وإذا وقفت تلك وقفت. وإذا ارتفعت تلك عن الأرض؛ ارتفعت البكرات معها"[359].

أي أن الكل يعمل في انسجام تام؛ لأن القوة المنظمة لكل من الحيوانات والبكرات هي قوة الروح الذي فيها. أي أن الله هو الذي يسيطر علي الكل، وهو الذي يوجه كل حركة، ولا يمكن أن تخطئ أغراضه في معاملاته الخاصة بسيادته علي الأرض؛ لأنه المنزه عن الخطأ، فلا مجال للصدف أو ما يسميه الناس "القضاء والقدر" لكن كل شيء يسير طبقًا للخطة المرسومة التي لا تخطئ.

ثم هناك العيون التي في أطر البكرات، وهي تكلمنا عن الفهم والإدراك. أي أن أعمال الله القضائية صادرة عن حكمة وفهم "لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليشدد الذين قلوبهم كاملة نحوه، فقد حمقت في هذا حتى إنه من الآن تكون عليك حروب"[360].

ثم رأي حزقيال علي رؤوس الحيوانات شبه مقبب - الجَلَد - كمنظر البلور الهائل منتشرًا علي رؤوسها من فوق. ثم فوق المقبب الذي علي رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق، وعلي شبه العرش كمنظر إنسان عليه من فوق. وهنا يبدو الاختلاف عن سفر الرؤيا؛ حيث أن حزقيال يرى الحيوانات تحت العرش في حين أن يوحنا يري الحيوانات حول العرش، فحزقيال يراها علي الأرض، وأما يوحنا فيراها وهو في السماء. ومن هنا ندرك تمامًا اتجاه

([359]) آية: ٢١.

([360]) ٢ أخ: ١٦: ٩.

الحيوانات والبكرات إنما يخضع خضوعًا كاملاً لسلطة وقوة الجالس على العرش.

ثم إن الأجنحة مبسوطة وفي حالة الاستعداد للخدمة، أما أجسامها فمغطاة دائمًا بأجنحتها. وعندما سارت؛ سمع النبي "صوت أجنحته كخرير مياه كثيرة، كصوت القدير، صوت ضجة، كصوت جيش"(٣٦١).

وهنا يجب أن نتذكر أن هذه الحيوانات تعبر عن مبادئ عرش الله في قضائه علي الأرض، ولهذا أدرك النبي أن هذا الصوت الذي سمعه من أجنحة الحيوانات هو صوت القدير. وهذا ما أكده النبي أيضًا في القول المرتبط بهذه الرؤيا بعد ذلك: "وإذا بمجد إله إسرائيل جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة"(٣٦٢).

وهذا ما نلاحظه أيضًا في أعمال عنايته. فعندما قصد الرب أن ينقذ شعبه من الجوع في أيام السامرة نقرأ: "فإن الرب أسمع جيش الأراميين صوت مركبات وصوت خيل، صوت جيش عظيم"(٣٦٣). والحيوانات هنا في المكان الصحيح تؤدي الخدمة عند سماع صوته. وتدور قدامه ملفوفة بأجنحتها. وعند سماع صوته تصمت مرخية أجنحتها.

ويوصف العرش أنه كمنظر حجر العقيق الأزرق. وهذا يذكرنا بذلك الذي شوهد مرة علي جبل سيناء حيث نقرأ:

"ثم صعد موسي وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف،

---

(361) آية: ٢٤.

(362) حز:٤٣: ٢.

(363) ٢ مل: ٧- ٦. انظر: أخ: ١٤: ١٥.

وكذالك السماء في النقاوة"[٣٦٤]. كما أن يوحنا أعطي أن يـري الجـالس علـي العرش في المنظر؛ شبه حجر اليشب والعقيق[٣٦٥].

ولم يعط لنا أن نري العرش فقط أو نسمع صوت السرمدي فقط، بـل أن نرى أيضًا الجالس عليه حيث نقرأ: "وعلي شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق"[٣٦٦].

وهذا الإنسان الذي رآه النبي علي العرش كان محاطًا بالمجد حيث نقـرأ: "ورأيت مثل منظر النحاس اللامع. كمنظر نار داخلة من حولـه، مـن منظـر حقويه إلي فوق، ومن منظر حقويه إلي تحت، رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها. كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر، هكذا منظر اللمعان مـن حوله. منظر شبه مجد الرب"[٣٦٧]. ففي النحاس اللامع نري اسـتعلان القداسـة التي لا تتغير في القضاء. أما القوس التي في السحاب، أي قوس قزح، فيكلمنـا عن العهد الذي لا يتغير الذي عمله الله مع نوح، وهو علامـة عهـد الله مـع الأرض[٣٦٨].

وهو نفسه الذي رآه يوحنا حيث نقرأ: "وكان القوس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق، وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمـرد"[٣٦٩]. ففـي قوس قزح نري رحمة الله في وسط الغضب.

---

[364] خر: ٢٤: ٩- ١٠.

[365] رؤ: ٤: ٣.

[366] آية: ٢٤.

[367] ع: ٢٧: ٢٨.

[368] تك: ٩: ٩- ١٧.

[369] رؤ: ٤: ٣.

ثم يختم المشهد بهذا التعبير الجميل: "هذا منظر شبه مجد الرب" أو هـذا "لمعان شبه مجد الرب" وهنا النبي يخر علي وجهه قدام الله. وهنا نسمع صوتاً ينهضه فيرسله رسولاً من قبل الله لشعب متمرد.

• • •

وجهة نظر المسيحيين في نبوءة رفيع الدرجات ذو العرش:

إن هذا التفسير الذي ذكرناه من كتبهم باختصار. غرضهم منه: تطبيق نبوءة رفيع الدرجات ذو العرش علي المسيح عيسي عليه السلام في معركة "يوم الرب" يريدون أن يقولوا: إن مملكة الرب الآتية، وهي ملكوت السموات ستكون للمسيح، والمسيح يجلس علي عرشها بمعنى أن كتابه هو الذي سيكون مرجع الديانة فقط. ويرد قولهم بسهولة: أن المسيح وهو يتكلم عن مجيء "بيراكليت" من بعده قال: "في ذلك اليوم تطلبون باسمي"[٣٧٠]. أي يوم هذا؟ وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً[٣٧١]. أي يوم هذا؟

يقول مؤلف شرح سفر حزقيال. وهو الأستاذ رشاد فكري:

ما نصه: "وترتيب الأوجه في سفر حزقيال يختلف عنه في سفر الرؤيا، ففي حزقيال يأتي الترتيب هكذا: إنسان، أسد، ثور، نسر. أما الترتيب في سفر الرؤيا فيأتي هكذا: أسد، ثور، إنسان، نسر. أما سفر حزقيال فيرى الرب وقد سحب عرشه من "أورشليم"، وسلم السيادة للأمم أي أنه سيمارس حقوقه الملكية في نهاية أزمنة الأمم عندما يستعلن بالمجد. وهذا ما رآه دانيال: "مع سحب السماء مثل ابن إنسان.. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ليتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة"[٣٧٢].

---

(370) يو: ١٦: ٢٦.

(371) يو: ١٦: ٢٣.

(372) دا: ٧: ١٣- ١٤.

تطابق نبوءة العرش مع القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿حم (١) تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ (٣) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤْمِنُونَ بِهِ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وعَدتَّهُمْ ومَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٨) وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ومَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وحْدَهُ كَفَرْتُمْ وإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ويُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ومَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ (١٦) اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ (١٧) وأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣٧٣].

البيان:

ابتداء السورة بالحاء والميم، والحروف المقطعة في القرآن؛ هي مثل الحروف المقطعة في التوراة والإنجيل. ولذلك قال في معناها: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٧٤]. ومدح الله نفسه بغفران الذنوب وبشدة العقاب وبالإحسان، وبين أنه الخالق للعالم وحده، وإليه سيرجع الناس.

ودلائل نبوة محمد ﷺ واضحة. ولا يجادل لإنكارها إلا اليهود الكفرة. ومنها نبوءة عنه في التوراة وفي الإنجيل. وهي نبوءة العرش. في "ملكوت السموات". وسنذكرها كدليل عندكم على نبوته، تعرفونه بها. ومع ذلك تجادلون. ويقول لنبيه ولكل مسلم في شخصه: لا تهتم بتنقلهم في بلاد الأمم ليصرفوا الناس عن الإيمان بك. وسوف تهلكهم؛ لأنهم يفعلون معك كما فعلت الأمم السابقة مع أنبيائها. ومتى سيكون الهلاك؟ وابتدأ في الإشارة إلى أن تأسيس العرش في مملكة الله: سيكون في "يوم الرب". وعرشه في هذه المملكة: كناية عن سيادة شريعة على الناس؛ لأن من يقرأ منهم {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} سوف يعرف منها موضعها في التوراة. فإذا قرأها فسيجد بعدها أن الهلاك للكافرين به محقق في يوم الرب.

([373]) غافر: ١- ٢٠.

([374]) الشورى: ٣.

وقد جاء في النبوءة عن تسبيح من حوله: "وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفين" وحملة العرش ومن حوله. يعنى به عرش محمد ﷺ في مملكته الآتية المعروفة بملكوت السماوات. وعرشه ﷺ هو نفسه عرش الله ومجده وملكه وسلطانه؛ لأنه وسيلة لتنفيذ مقاصده بين البشر. وهو يدعو إليه. وهؤلاء يسبحون وهو يؤمنون به؛ لأن الإيمان به يسبق تسبيحه، ويطلبون المغفرة للتائبين؛ لأن المسيح عيسى عليه السلام كان يدعوا إلى اقتراب ملكوت السموات بقوله: "توبوا" فهم يطلبون المغفرة للذين تابوا ودخلوا في الملكوت من بني إسرائيل والأمم وهم المسلمون، ولأن حزقيال تكلم عن التوبة كثيرًا بعد كلامه عن العرش مباشرة.

ومن كلامه:

"وكان عند تمام السبعة الأيام أن كلمة الرب صارت إليّ قائلة: يا ابن آدم قد جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل، فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم من قبلي إذا قلت للشرير موتًا تموت، وما أنذرته أنت، ولا تكلمت إنذارًا للشرير من طريقه الرديئة لإحيائه، فذلك الشرير يموت بإثمه، أما دمه فمن يدك اطلبه، وإن أنذرت أنت الشرير، ولم يرجع عن شره، ولا عن طريقه الرديئة، فإنه يموت بإثمه، أما أنت فقد نجيت نفسك. والبار إن رجع عن بره وعمل إثمًا، وجعلت معثرة أمامه فانه يموت؛ لأنك لم تنذره يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله، أما دمه فمن يدك اطلبه، وإن أنذرت أنت البار من أن يخطئ البار، وهو لم يخطئ، فانه حياة يحيا؛ لأنه أنذر، وأنت تكون قد نجيت نفسك"[375].

وقد وصف إشعياء النبي هلاك الكافرين في يوم الرب، بأنه دخول في جهنم كأن قد خلق الله لهم الجحيم، وأدخلهم فيه، كناية عن قسوة العقاب.

---

(375) حز: ٣: ١٦- ٢١.

ففي سفر أشعياء: "لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركبته كزوبعة ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار. أن الرب بالنار يعاقب وبسوطه علي كل بشر، ويكثر قتلي الرب"[٣٧٦].

* * *

وأشار إلي يوم الرب بقوله: {يَوْمَئِذٍ}

وفي هذا اليوم في أرض " هرمجدون" واليهود صفاً صفاً أمام المسلمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[٣٧٧].

ينادون بلسان الحال وقت اشتداد المعارك، كأن قائلاً يقول لهم هذا. وبلسان الحال وهم الكرب العظيم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[٣٧٨].

* * *

يعنون بالموتتين وبالحياتتين:

١- أنهم كانوا أحياء على شريعة نوح عليه السلام.

٢- فلما نسخت؛ تركوها – والترك موت – فصار تركهم لشريعة نوح؛ موتاً أولاً.

والحياة الثانية هي حياتهم علي التوراة.

وقد نسخها الله فماتوا عنها. وهذا هو الموت الثاني.

---

[376] إش: ٦٦: ١٥- ١٦.

[377] غافر: ١٠.

[378] غافر: ١١.

ثم قالوا لله بلسان الحال: نحن مذنبون {فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} فهل ستتوب علينا، وتخرجنا من المعركة لئلا نهلك. فإذا خرجنا قبلنا دين رسولك، ونجينا أنفسنا من الهلاك {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}.

ورد بقوله: إن الإيمان في وقت معاينة العذاب لا ينفع ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[٣٧٩].

ثم خاطب المؤمنين بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[٣٨٠]. وعبر بالتنكير ليدل به على هذا الذي هو مذكور في التوراة في نبوءة العرش ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

وأمر المسلمين بأن لا يسكتوا عن ذكره بحجة أن لا يُغضبوا الكافرين بهذا الذكر فقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣٨١].

• • •

ثم قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾.

والدرجات في التوراة. هي المستفادة من النص: وهو "وفوق المقبب الذي على رؤوسها؛ شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق. وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق"[٣٨٢] أي أنه فوق جميع الدرجات إنسان جالس على العرش. ثم عبر عن رفعة الدرجة وعن العرش بقوله: "هذا منظر شبه مجد

---

(379) غافر: ١٢.

(380) غافر: ١٣.

(381) غافر: ١٤.

(382) حز: ١: ٢٦.

الرب"[٣٨٣]. ومجد الرب معناه: ظهور مملكة الجديد علي يد النبي الآتي، كما ظهرت مملكة الله القديمة علي يد النبي السابق وهو موسي عليه السلام.

فإذا ظهر النبي الآتي الذي هو في النبوءة رفيع الدرجات صاحب العرش في مملكة الرب الآتية؛ فإنه سينفي من مملكته بالحرب كل من لا يؤمن به من اليهود. وستكون المعرفة الفاصلة في يوم الرب. يوم معركة هرمجدون.

وقد جرت عادة الله في خلقه أن ينذر برسله من قبل هلاك الأمم. وقد أنذر اليهود بالهلاك في يوم الرب علي يد حزقيال في "رؤى الله"، وكانت عليه "يد الرب" أي أن الله ألهمه وقواه وأراه ما يتكلم به أمامهم. ولما كانت عليه قوة الله "لأجل ذلك تنبأ عليهم. وحلَّ عليه روح الرب"[٣٨٤].

وهذا هو معنى ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٣٨٥].

أي يلقي ربه - رب رفيع الدرجات - ﴿الرُّوحَ﴾ - وهو الإلهام والنفث في الروع - علي من يشاء من عباده. مثل حزقيال وحوارييه - أي رسله - وذلك للإنذار من قبل الهلاك. في يوم الرب الذي قال عنه حزقيال: "أو كان إلى كلام الرب قائلاً: وأنت يا بن آدم، فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل: نهاية قد جاءت النهاية علي زوايا الأرض الأربع، الآن النهاية عليك". وفي "يوم الرب" في معركة سيلتقي المؤمنون أصحاب محمد ﷺ بالكفار به، من اليهود وشركائهم من الأمم، كل فريق يريد أن ينتصر علي الفريق الآخر. والله يعلم أن الكفار لهالكون. ولذلك أرسل إليهم بالإنذار ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ في المعركة الفاصلة

([383]) حز: ١: ٢٨.

([384]) حز: ١١: ٤.

([385]) غافر: ١٥.

في أرض فلسطين في يوم الحرب ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ لقتال المؤمنين ﴿لا يَخفي عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾(٣٨٦).

وعبر الله عن نصره للمؤمنين بقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ هل هو لمحمد ﷺ الآتي ليؤسس مملكة لله غير المملكة التي أسسها موسى عليه السلام؟ أجل سيكون الملك اليوم لمحمد وأصحابه. النائبون عن ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

فإذا هزم الله اليهود. ومكن للمؤمنين في ديارهم؛ فإنه لا يكون ظالما لليهود؛ لأنه نبه في كتبهم وفي القرآن علي أن محمداً سيأتي خلفا لموسي. وقد أنذرهم علي ألسنة أنبيائهم. وبسور من القرآن سمعوها وفهموها.

وأنت يا محمد ومن معك ﴿وأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٣٨٧).

وقد أنذرهم هو ومن معه بالقرآن كله. وبيان ذلك:

هو أن النبي ﷺ قد ترك القرآن مكتوبًا كله في مصحف واحد، ومحفوظًا في الصدور، وسلمه لأصحابه. فلما جهز أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش لفتح فلسطين – عاصمة ملك اليهود – وكانوا يومئذ تحت سيطرة الروم عليهم – والروم نصارى كاثوليك. وهم طائفة من اليهود. وكانوا يسيطرون علي بلاد فارس أيضًا – أرسل من قبل وصول الجيش رسلاً بمصحف. قد أمر بكتابته من المصحف الذي تركه النبي ﷺ ليعلم اليهود والنصارى أن ما جاء به محمد ﷺ هو من عند الله، ولينذر بالهلاك من قبل وقوعه؛ لأن المصحف الكريم يحتوي علي الإنذار – كما في سورة غافر – ويحتوي علي ما جاء به كله من عند الله.

---

(386) غافر: ١٦.

(387) غافر: ١٨.

وقد لغا الرواة في مصحف أبي بكر ﷺ بقولهم:

"إن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في حياته. وقد كان متفرقًا علي العظام والأحجار واللخاف فجمعه أبو بكر".

والحق هو ما ذكرنا؛ لقوله تعالي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾[388]. الذين أرسلهم المسلمون إليهم ليخبروا المسلمين بأنهم مخيرون بين أمرين هما الخروج من أرض اليهود[389]، أو العودة إلي شريعة إبراهيم التوراة التي هي ملة اليهود الكافرين ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ بواسطة الإلهام ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرض مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[390].

يريد بالظالمين اليهود الذين سيأخذ المسلمون أرضهم وسيسكنون فيها {ذَلِكَ} الإنذار ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[391].

ولا يمكن أن يكون هذا الإنذار كلامًا بين المسلمين وحدهم؛ لأن الإنذار ليس لهم لأنهم أمنوا. وإنما هو لليهود. فلابد أن يبلغ المسلمون لهم القرآن كاملاً غير منقوص من قبل المعركة؛ وذلك ليعلموا منه:

١- الإنذار.

٢- والآيات التي تدل علي أن محمدًا رسول الله. وإلا فكيف يعلمون أنه النبي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم؟

([388]) إبراهيم: ١٣.

[389]) كان المسلمون بنو إسماعيل قد أخذوا في بدء الإسلام أراضي اليهود بالحرب.

([390]) إبراهيم: ١٣- ١٤.

([391]) السابق.

٣- والأيات التي تدل علي أنه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب؛ قد قال الحق. ولا يمكن أن يكون هذا علي حكاية الحال، بل علي الحقيقة. وقال تعالي عن فتح أورشليم علي يد المسلمين ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ وهذا مثـل قولـه: ﴿وَيَقُولُـونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٩٢].

ثم قال تعالى: ﴿واللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣٩٣].

•••

﴿واللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾

في سفر الزبور:

١- "أما الرب. فإلي الدهر يجلس. ثَبّت للقضاء كرسيه. وهو[٣٩٤] يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة"[٣٩٥].

٢- "نحمدك يا الله. نحمدك واسمك قريب بعجائبك؛ لأني أعيّن ميعادًا. أنا بالمستقيمات أقضي"[٣٩٦][٣٩٧].

([392]) السجدة: ٢٨.

([393]) غافر: ٢٠.

([394]) في ترجمة كتاب الحياة " أما الرب فإلي الأبد يملك، ثبت عرش للقضاء. يدين العالم بالعدل، ويقضي بين الشعوب بالإنصاف".

([395]) مز: ٩: ٧- ٨.

([396]) "نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب. يحدثون بعجائبك. لأني أعين ميعادًا. أنا بالمستقيمات أقضي. ذابت الأرض وكل سكانها. أنا وزنت أعمدتها. سلاه. قلت للمفتخرين: لا تفتخروا. وللأشرار: لا ترفعوا قرناً. لا ترفعوا إلي العلي قرنكم. لا تتكلموا بعنق متصلب "لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبال. ولكن الله هو القاضي. هذا يضعه وهذا يرفع لأن في يد الرب كأساً وخمرها مختمرة. ملآنة شراباً ممزوجاً. وهو يسكب منهـا.

٣- "الله قاض عادل"[٣٩٨].

٤- "وتخبر السموات بعدله"[٣٩٩].

وفي سفر إشعياء أن النبي الأمي الآتي في آخر زمان الملك والنبوة في بني إسرائيل: سيكون قاضيًا بشريعة إلهية "فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين؛ فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة علي أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد"[٤٠٠]. ولما كان الله هو القاضي بين جميع الأمم والشعوب.

والنص يبين أنه يقضي لبعض الشعوب، وفي زمان شريعته سيعم السلام والأمن في البلاد التي ستدخل في دينه؛ يكون القاضي ههنا هو النبي الأمي الآتي علي مثال موسي عليه السلام. وكيف يقضي وهو أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ يقضي بحسب نصوص الشريعة المعطاة له من الله. وعارفوا شريعة من المسلمين؛ يحلون محله، كل في مكانه وبين شعبه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[٤٠١].

وفي سفر ميخا:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة، ويقولون هلم نصعد

لكن عكرها يمصه يشربه كل أشرار الأرض. أما أنا فأخبر إلي الدهر. أرنم لإله يعقوب. وكل قرون الأشرار أعضب. قرون الصديق تنتصب"(مزمور ٧٥)

(397) ز: ٧٥: ١- ٢.

(398) مز: ٧: ١١.

(399) مز: ٥٠- ٦.

(400) إش: ٢: ٤.

(401) النساء: ١٠٥.

إلي جبل الرب، وإلي بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنـــه مـــن صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب.

فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة، فيطبعـــون ســـيوفهم سككًا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة علي أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب في مـــا بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرعـــب؛ لأن فم رب الجنود تكلم؛ لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهـــه، ونحـــن نسلك باسم الرب إلهنا إلي الدهر والأبد، في ذلك اليوم يقول الرب: أجمع الظالعة وأضم المطرودة والتي أضررت بها، وأجعل الظالعة بقية والمقصاة أمة قويـــة، ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلي الأبد"[٤٠٢].

اليهود لا يحكمون بالعدل: ويقول إشعياء النبي في الأول من ســـفر مـــا معناه: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤٠٣].

"اسمعوا كلام يا قضاة سدوم، اصغوا إلي شريعة إلهنا يا شعب عمـــورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب: اتخمـــت مـــن محروقـــات كبـــاش وشـــحم ممئات.وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر. حينما تأتون لتظهروا أمامي. مـــن طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودو تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكـــاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي صارت علي ثقلاً، مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، وأن كثرتم الصلاة لا أسمع أيديكم ملآنة دمًا. اغتسلوا تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر، تعلمـــوا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملـــة. هلم نتحاجج يقول الرب: إن كان خطاياكم كالقرمز تبيض كـــالثلج. إن كانـــت

([402]) ميخا: ٤: ١– ٧.

([403]) الحج: ٧٧.

حمراء كالدودي تصير كالصوف. إن شئتم وسمعتم تأكلون خيـر الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف؛ لأن فم الرب تكلم.

كيف صارت القرية الأمينة زانية. ملآنة حقاً. كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون. صارت ضد فضتك زغلاً وخمرك مغشوشة بمـاء. رؤسـاؤك متمردون ولُغفاء اللصوص. كل واحد منهم يحب منهم الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.

لذلك يقول السيد رب الجنود عزيـز إسـرائيل: آه أنـي أسـتريح مـن خصمائي، وأنتقم من أعدائي. وأرد يدي عليك وأنقي زغلـك كأنـه بـالبورق، وأنزع كل قصديرك، وأعيد قضاتك كما في الأول ومشيريك كما في البداءة.

بعد ذلك تُدعين مدينة العدل القرية الأمينة. صهيون تُفدى بالحق وتأبوهـا بالبر. وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء. وتـاركوا الـرب يفنـون؛ لأنهـم يخجلون من أشجار البطم التي اشـتهيتموها، وتُحـرون مـن الجنـات التـي اخترتموها؛ لأنكم تصبرون كبطمة قد ذبل وكجنة ليس لها ماء، ويصبر القـوى مشاقة وعمله شرارًا فيحترقان كلاهما معًا. وليس من يُطفئ[404].

المسيح عيسى عليه السلام ينفي عن نفسه كونه قاضيا؛ ليبين بالنفي أن القاضـي سيأتي من بعده:

لما كانت نبوءات التوراة تصف الله بأنه يقضي بالحق، وبأن النبي الآتـي سيكون قاضيًا بالحق. قال المسيح بصريح العبارة: "لست أنا القاضي الآتي؛ لأن عندكم التوراة تتحاكمون فيما بينكم عليها إلى أن يأتي الذي يحكم عليكم ويقضي بينكم". ثم تكلم بعدما نفى عن نفسه سلطة القضاء عن مجيء محمد ﷺ، وعبـر عن مملكته بملكوت السموات. وأمر أصحابه باليقظة التامة لمعرفة زمانه ولقبه بابن الإنسان. في قوله:

---

(404) إش: ١.

"فكونوا أنتم إذن مستعدين؛ أنه في ساعة لا تظنون؛ يأتي ابن الإنســـان".

وقال لأصحابه: "لا تهتموا بالدنيا وزينتها أكثر من اهتمامكم بالدعوة إلي ملكوت الله، بل اطلبوا ملكوت الله، وهذه كلها تزاد لكم".

النص:

"وقال لتلاميذه: من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحيتكم بما تــأكلون، ولا للجسد بما تلبسون. الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تــأملوا الغربان أنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد علي قامته ذراعًــا واحدة. فإن كنتم لا تقدرون ولا علي الأصغر لماذا تهتمون بــالبواقي. تــأملوا الزنابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم: ولا سليمان فــي كــل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان العشب الذي يوجد اليــوم فــي الحقــل ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا، فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا. فإن هذه كلهــا تطلبهــا أمــم العالم. وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلي هذه. بل اطلبوا ملكوت الله. وهذه كلها تزاد لكم.

لا تخف أيها القطيع الصغير؛ لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت. بيعوا مالكم وأعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياسًا لا تفني وكنزًا لا ينفد فــي الســموات؛ حيث لا يقرب سارق ولا يُبلي سوس؛ لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضًا. لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون ســيدهم متي يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طــوبى لأولئــك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم: أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم. وإن أتي في الهزيع الثاني أو أتي في الهزيع الثالث ووجــدهم هكذا؛ فطوبي لأولئك العبيد. وإنما اعملوا هذا أنه لو عرف رب البيت في أيــة

ساعة يأتي السارق لسهر، ولم يدع بيته ينتهب. فكونوا أنتم إذن مستعدين؛ لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان"(٤٠٥).

* * *

ونكتفي هنا بشرح المزمور التاسع والعاشر. الذي فيه أن الله "يقضي للمسكونة بالعدل".

نص المزمورين ٩ و١٠.

المزمور التاسع: "أحمد الرب بكل قلبي، أحدث بجميع عجائبك، أفرح وأبتهج بك، أرنم لاسمك أيها العلي. عند رجوع أعدائي إلى خلف، يسقطون ويهلكون من قدام وجهك؛ لأنك أقمت حقي ودعواي. جلست على الكرسي قاضيًا عادلاً. انتهرت الأمم. أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى الدهر والأبد. والعدو تم خرابه إلى الأبد وهدمت مدنًا. باد ذكره نفسه. أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبت للقضاء كرسيه. وهو يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة. ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ في أزمنة الضيق. ويتكل عليك العارفون اسمك؛ لأنك لم تترك طالبيك يا رب. رنموا للرب الساكن في صهيون، أخبروا بين الشعوب بأفعاله؛ لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينس صراخ المساكين. ارحمني يا رب. انظر مذلتي من مبغضي، يا رافعي من أبواب الموت، لكي أحدث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون، مبتهجًا بخلاصك. تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم. معروف هو الرب. قضاء أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه. ضرب الأوتار. سلاة(٤٠٦) الأشرار يرجعون إلى الهاوية، كل الأمم الناسين الله؛ لأنه لا يُنسى المسكين إلى

---

(405) لوقا: ١٢: ٢٢- ٤٠.

(406) سلاة: يقولون معناها فاصل شعري. وفي هذا المزمور. يأمر بطرب الأوتار وسؤال الله.

الأبد، رجاء البائسين لا يخيب إلي الدهر. قم يا رب لا يعتز الإنسان لتحاكم الأمم قدامك. يا رب اجعل عليهم رعبًا ليعلم الأمم أنهم بشر سلاه".

المزمور العاشر: "يا رب، لماذا تقف بعيدًا؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟ في كبرياء الشرير يحترق المسكين. يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها؛ لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه، والخاطف يجدف يهين الرب. الشرير حسب تشامخ أنفه يقول: "لا يطالب" يقول: كل أفكاره أنه لا إله. تثبت سبله في كل حين. عالية أحكامك فوقه. كل أعدائه ينفث فيهم. قال في قلبه:"لا أتزعزع. من دور إلي دور بلا سوء" فمه مملوء لعنة وغشًا وظلمًا. تحت لسانه مشقة وإثم. يجلس في مكمن الديار، في المختفيات يقتل البريء. عيناه تراقبان المسكين يكمن في المختفي كأسد في عرينه. يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين بجذبه في شبكته، فتنسحق وتنحني وتسقط المساكين ببراثنه. قال في قلبه: "إن الله قد نسي حجب وجهه لا يري إلي الأبد".

قم يا رب يا أله ارفع يدك. لا تنسى المساكين. لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه: "لا تطالب" قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم؛ لتجازي بيدك. إليك يسلم المسكين أمره. أنت صرت معين اليتيم. أحطم الفاجر. والشرير تطلب شره ولا تجده. الرب ملك إلي الدهر والأبد. بادت الأمم من أرضه. تأوه الودعاء قد سمعت يا رب. تثبت قلوبهم. تميل أذنك لحق اليتيم والمنسحق، لكي لا يعود أيضًا يرعبهم إنسان من الأرض".

• • •

التفسير:

الترجمة السبعينية جعلت المزمور التاسع والعاشر مزمورًا واحدًا. والمزمور التاسع مرقم بالحروف الأجنبية. ففيه أحد عشر حرفًا من الحروف

الاثنين والعشرين. المجموعة في أبجد - هوز - حطي - كلمن - سعفص - قرشت.

والمزمور العاشر بعد أن بدأ بالحرف ١٢ أسقط نظام الأبجدية حتى وصل إلي الآيات ١٢-١٨، حيث تظهر الحروف الأربع الأخيرة من الأبجدية. وهذا المزمور بقسيمة. هو كلام النبي الأمي الآتي إلي العالم يظهر الغيب عن نفسه.

والمتكلم بدله وعلى لسانه هو داود ﷺ.

ويبدأ كلامه بحمد الله. ويذكر من عجائب قدرته أنه نصره علي أعدائه. وكلمة "أعدائه" تخزي وتبكت شراح هذا المزمور؛ وذلك لأنهم يقولون: وإن المزمور كلام داود نفسه، وليس كلام النبي الآتي الذي أظهره داود علي لسانه. وإنه لو كان هو داود نفسه ما كان يقول: "انتهرت الأمم. أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلي الدهر والأبد. العدو تم خرابه إلي الأبد. وهدمت مدنًا. باد ذكره نفسه" فإن الأمم جمع أمة، واليهود أمة واحدة لا أمم. والنبي الآتي أهلك أممًا ومنها أمة اليهود. وداود لم يهلك الأمم.

أيضًا: "يقضي للمسكونة بالعدل" والمسكونة هي العالم بأسره.

أيضًا: "تورطت الأمم في الحفرة".

ودعا النبي ﷺ على أعدائه بقوله: "يا رب اجعل عليهم رعبًا". وفي القرآن الكريم أن الله استجاب له ونصره علي أعدائه بالرعب ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[٤٠٧].

---

(407) آل عمران: ١٥١.

وفي هذا المزمور التاسع يبين النبي أن الله نصره بقوله: "تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها...". ولم تتورط الأمم في الحفرة في زمان داود عليه السلام ولا في زمان المسيح عيسي بن مريم عليه السلام.

وقد بين في لبدء أن الله نصره بقوله: "عند رجوعي. أعدائي إلي خلف، يسقطون...".

وفي المزمور العاشر يقول النبي لله: "إليك يُسلّم المسكين أمره". ويقول عن انتصاره: "بادت الأمم من أرضه". وأن الله سينصر أتباعه. ووصفهم بالتواضع لله "تأوه الودعاء قد سمعت يا رب...". ووصف اليهود بقوله: "فمه مملوء لعنة وغشاً وظلمًا". وحكى عن اليهود قولهم إنهم لن يخرجوا من فلسطين إلي الأبد "قال في قلبه: لا أتزعزع. من دور إلي دور بلا سوء".

وحكي عن اليهود قولهم الوقح: "كل أفكاره أنه لا إله".

وقول النبي ﷺ: "إليك يُسلّم المسكين أمره". يعبر عن الثقة المتزايدة للنبي في الله تعالي. وقد كررها في المزمور ٣٧ "سلم للرب طريقك، واتكل عليه. وهو يُجري ويخرج مثل النور برك، وحقك مثل الظهيرة".

جلوس محمد ﷺ علي العرش في الدار الآخرة:

يقول الإمام القرطبي ﷺ في تفسير قوله تعالي: ﴿عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مُحْمُوداً﴾(٤٠٨). ما نصه: "القول الثالث: ما حكاه الطبري عن فرقة، منها مجاهد، أنها قالت: المقام المحمود هو أن يُجلس الله تعالي محمداً ﷺ معه علي كرسيه؛ وروت في ذلك حديثًا. وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا علي تلطف في المعني، وفيه بُعْد. ولا يُنكر مع ذلك أن يروي، والعلم يتأوله. وذكر النقاش عن أبي داود السِّجِستاني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهَم، مازال أهل العلم يتحدثون بهذا، من أنكر جوازه علي تأويله. قال أبو عمر: ومجاهد وإن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم: أحدهما هذا. والثاني في تأويل(٤٠٩) قوله تعالي: ﴿وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٤١٠). قال: تنتظر الثواب؛ ليس من النظر.

قلت: ذكر هذا في باب شهاب في حديث التنزيل. وروى عن مجاهد أيضًا في هذه الآية قال: يجلسه علي العرش. وهذا تأويل غير مستحيل؛ لأن تعالي كان قبل خلقه الأشياء كلها والعرش قائمًا بذاته، ثم خلق الأشياء من غير حاجة إليها، بل إظهار لقدرته وحكمته، وليعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بكل أفعاله المحكمة، وخلق لنفسه عرشًا استوي عليه كما شاء من غير أن صار له مماسًا، أو كان العرش له مكانًا. قيل: هو الآن علي الصفة التي كانت عليها من قبل أن يخلق المكان والزمان؛ فعلي هذا القول سواء الجواز أقعد محمد علي

---

(408) الإسراء: ٧٩.

(409) المراد بيومئذ معارك يوم الرب.

(410) القيامة: ٢٢- ٢٣.

العرش أو علي الأرض؛ لأن استواء الله تعالي علي العرش ليس بمعني الانتقال والزوال، وتحويل الأحوال من القيام والقعود، والحال التي تشغل العرش، بل هو مستو علي عرشها، كما أخبر عن نفسه بلا كيف. وليس إقعاده محمـدًا علـي العرش موجبًا له صفة الربوبية، أو مخرجًا له عن صفة العبودية، بل هو رفـع لمحله، وتشريف له علي خلقه. وأما قوله في الأخبار: "معه" فهو بمنزلة قولـه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[411]. و ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّـةِ﴾[412]. ﴿وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[413]. ونحو ذلك. كل ذلك عائد إلي الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة، لا إلي المكان" اهـ.

* * *

وفي تفسير الإمام الرازي:

"قال الواحد: روى عن ابن مسعود أنه قال: "يُقعد الله محمدًا علي العرش".

وعن مجاهد أنه قال: "يجلس معه علي العرش".

ثم قال الواحدي: "هذا القول رذل موحش فظيع".

وصدَّق شيخ الإسلام الرازي علي كلام الواحدي وقال:"ونـص الكتـاب ينادي بفساد هذا التفسير. ويدل عليه وجوه.. إلخ".

* * *

والخلاصة:

١- أن الخلاف بيننا وبين المسيحيين فـي صـاحب عـرش "ملكـوت السموات" فهم يقولون بأنه "الخروف"، والخروف عندهم هو المسيح عيسي عليه السلام. ونحن نقول: إن صاحب عرش " ملكوت السموات " هو محمد ﷺ.

([411]) الأعراف: ٢٠٦.

([412]) التحريم: ١١.

([413]) العنكبوت: ٦٩.

٢- ولا خلاف بيننا وبينهم في أن العالم كله قد خلقه الله. ثم اســتوي الله علي عرش العالم أجمع.

ومعني العرش في "ملكوت السموات" هو أن هذه المملكة سيؤسسها محمد ﷺ ويضع فيها شريعته؛ فكأنه جالس عليّ عرش الملكوت يحكم على المــؤمنين به بشريعته. وعلماء أمته نُوّاب عنه في التفسير والاستنباط من القرآن.

تم الكتاب ولله الحمد.



الـفـهـرس

مقدمة 5
الفصل الأول 13
_ يأجوج ومأجوج في الكتب الحديثية وبعض كتب التفاسير 13
_ الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج 13
_ هدم سد يأجوج ومأجوج وخروج التتار والمغول 23
_ نهاية يأجوج ومأجوج في الإسلام 41
_ موقع سد ذي القرنين على خريطة العالم وصفاته 43
_ آراء علماء المسلمين الذين أكدوا أن التتار
والمغول هم يأجوج ومأجوج 45
الفصل الثاني 49
_ يأجوج ومأجوج في التوراة والإنجيل 49
_ رأي مفسري الكتاب المقدس في هذه النصوص 50
الفصل الثالث 55
_ في نقد الكتب التفسيرية في موضوع يأجوج ومأجوج 55
_ أحاديث نبوية في التوراة 56
الفصل الرابع 61
_ يأجوج ومأجوج في القرآن والتوراة 61
_ في القرآن الكريم 61
_ في التوراة 62
_ علامات يوم الرب في نبوءة يأجوج ومأجوج 68
أولاً: في سفر حزقيال 71
ثانياً: في سفر يوئيل 72

_ جبال إسرائيل 73
_ الحرب للرب 78
_ تنبؤ أنبياء بني إسرائيل بنصر الله في يوم الرب 79
_ عودة يأجوج ومأجوج إلى الله 82
_ قلب الأرض المقدسة والشعب الذي يسكن في وسط الأرض 86
_ فتح بلاد يأجوج ومأجوج 86
_ عرض جهنم في معركة يوم الرب 88
_ التوبة عند معاينة الإهلاك 90
_ الكلام عن الإسكندر الأكبر في التوراة 92
_ رأي المسيحيين المعاصرين في نبوءة يأجوج ومأجوج 93
_ الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم بلسانهم 96
_ البيان الأول: زيادات الصفات عن الذات 96
_ البيان الآخر: تكلم الله عن نفسه بلسان بني آدم 97
_ رأي علماء بني إسرائيل في ذات الله وصفاته 102
الفصل الخامس 105
_ في إحياء عظام بني إسرائيل اليابسة 105
_ متى يكون هذا البعث 107
_ لا سلام مع الأشرار 109
_ من صهيون تخرج الشريعة 117
_ المراد ببيت الرب: الكعبة في مكة المكرمة 132
الفصل السادس 145
_ في التوبة إلى الله في سفر حزقيال 145
_ توبة الفرد أم توبة الجماعة؟ 145
_ الإيمان والأعمال 148
_ بولس يلغو في نبوءة حزقيال 148

_ نص كلام بولس في النعمة 149
_ الخطايا في مملكة يسوع المسيح 151
_ نصوص في سفر حزقيال عن التوبة 152
_ إتمام النعمة 162
_ الحياة الأبدية 164
_ الحياة الأبدية من بعد القبر 169
_ النبوءة الأولى 173
_ النبوءة الثانية 175
_ النبوءة الثالثة 175
الفصل السابع 179
_ في رفيع الدرجات ذو العرش 179
_ حملة العرش في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 191
_ أقوال المفسرين في أن سفر الرؤيا يتكلم عن النبي الأمي الآتي 195
_ نص نبوءة رفيع الدرجات ذو العرش 198
_ تطابق نبوءة العرش مع القرآن الكريم 215
_ الإشارة إلى يوم الرب بقوله (يومئذ) 218
_ جلوس محمد (ص) على العرش في الدار الآخرة 232

من إصدارات مكتبة النافذة

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
المقدسات	ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود مراجعة وتقديم: أ. د. محمد خليفة حسن
الطهارات	
الأضرار	
ناشيم النساء	
زراعيم الزروع	
الأعياد (موعيد)	
سلسلة الفرق الدينية اليهودية:	
1_ القبالاة (التصوف اليهودي)	نبيل أنسي الغندور
2_ يهود الدونمة	د. مصطفى عبد المعبود
3_ يهود الخزر	د. مصطفى عبد المعبود
النصرانية والإسلام	د. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي
سر مريم	حسني يوسف الأطير
عقائد النصارى الموحدين	حسني يوسف الأطير
السر المكتوم بشأن ورقة بن نوفل	حسني يوسف الأطير
نقض الاشتباه بتعلم الرسول من ورقة بن نوفل	حسني يوسف الأطير
المواجهة بين القرآن والإسرائيليات	حسني يوسف الأطير
البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام	حسني يوسف الأطير
المذهب الدهري عند العرب	حسني يوسف الأطير
على هامش الحوار بين القرآن واليهود	حسني يوسف الأطير
تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين	حسني يوسف الأطير
الشفاعة وأصولها الوثنية العربية	حسني يوسف الأطير
المسيح في الإنجيل بشر	د. ممدوح جاد
المسلمون في انجيل متى	د. ممدوح جاد
الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان	الطوفي الحنبلي
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية	محمد طاهر التنير
نظرة في قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات	د. محمد توفيق صدقي
نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية	د. محمد توفيق صدقي
الإسلام والنصرانية	الإمام محمد عبده
المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان	د. محمود علي حماية
التثليث (بين الوثنية والمسيحية)	د. محمود علي حماية
دراسات في الكتاب المقدس	د. محمود علي حماية
يأجوج ومأجوج بين التوراة والقرآن	د. أحمد حجازي السقا
أقانيم النصارى	د. أحمد حجازي السقا
أهل الكهف (بين الإسلام والمسيحية)	د. أحمد حجازي السقا

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
يوحنا المعمدان (بين النصرانية والإسلام)	د. أحمد حجازي السقا
الأرواح وحياة القبور	د. أحمد حجازي السقا
هيكل سليمان (عند المسلمين وأهل الكتاب)	د. أحمد حجازي السقا
معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر	د. أحمد حجازي السقا
بروتوكولات حكماء صهيون	د. أحمد حجازي السقا
الحج إلى الكعبة (في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن)	د. أحمد حجازي السقا
الله وصفاته	د. أحمد حجازي السقا
نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة)	د. أحمد حجازي السقا
المناظرة العالمية	أحمد ديدات
أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية	الإمام القوافي
الرد على أصناف النصارى	على بن رين الطبري
المناظرة التاريخية	تحقيق/ د. أحمد حجازي السقا
إظهار الحق ج1/ ج2	الشيخ/ رحمت الله الهندي
الفارق بين المخلوق والخالق	عبد الرحمن أفندي باجة جي زادة
هل العهد القديم كلمة الله؟	د. منقذ السقار
الله واحد أم ثلاثة	د. منقذ السقار
هل العهد الجديد كلمة الله؟	د. منقذ السقار
هل افتدانا المسيح على الصليب؟	د. منقذ السقار
تأويل الظاهريات	د. حسن حنفي
ظاهرايات التأويل	د. حسن حنفي
مخطوطات البحر الميت	د. محمد ممتاز القط
تخجيل من حرف التوراة والإنجيل	تقي الدين الجعفري
رسالة في اللاهوت والسياسة	سبينوزا- ترجمة: حسن حنفي
هرمجدون	محمود النيجيري
شريعة البقرة الحمراء في مشناة التلمود	نبيل أنسي الغندور
الرد على النصارى	أبو عيسى الوراق
أبي آدم (من الطين إلى الإنسان)	د. عمرو شريف
هل الكتاب المقدس معصوم؟	عبد السلام محمد عبد الله
خبايا الكتاب المقدس	عبد السلام محمد عبد الله
تحريف مخطوطات الكتاب المقدس	علي الريس
الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر	علي خان جومان
ولكن شبه لهم	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
المسيح والمسيا	ع. م. جمال الدين الشرقاوي

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
اليسوع النصراني	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
هاروني أم داودي	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
قضايا مثيرة في المسيحية والإسلام	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة	الإمام القرافي
قيامة المسيح بين الحقيقة والخرافة	سامي عامري
بشرى موسى عليه السلام بمحمد (ص) بيسوع	سامي عامري
التوراة السامرية	ترجمة: نبيل أنس الغندور
أصل الأنواع	تشارلز داروين
ذلك الرجل (ماذا يقول اليهود في المسيح)	شنآن أبيجدور
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج1	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج2	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج3	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الصابئين (الأمة المقتصدة)	د. أحمد حجازي السقا
استيقظ أيها الهندوسي	د. شاترجي
الحراب في صدر البهاء والباب	محمد فاضل
البوذية	صلاح أبو السعود
الديانة الدرزية	جبارة البرغوثي
الكتب المقدسة عند الفراعنة	إسماعيل حامد
الله واحد أم ثالوث	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
المسيح إنسان أم اله	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
محمد (ص) نبي الحب	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
بذل المجهود في إفحام اليهود	السمو أل بن يحيى المغربي
لماذا اسلم هؤلاء	د. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي
الإنجيل والصليب	الأب/ عبد الأحد داود الآشوري
تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب	أنسلم تورميد
لماذا أسلمت	الحسن بن أيوب
لماذا اخترت الإسلام	الشماس جمال زكريا أرمانيوس
القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم	موريس بوكاي
محمد (ص) في الكتاب المقدس	الأب عبد الأحد داود
المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية	ترجمة: نبيل أنسي الغندور
اليهود وأكاذيبهم	مارتن لوثر
حكم النبي محمد	تولستوي
محمد (ص) المثل الأعلى	توماس كارليل
الإسلام خواطر وسوانح	هنري دي كاستري
اليهود في تاريخ الحضارات الأولى	جوستاف لوبون

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان	الطوفي الحنبلي
الظاهرة القرآنية	مالك بن نبي
القرآن معجزة الإسلام	مصطفى ثابت
تنزيه القرآن عن المطاعن	القاضي عبد الجبار
عربية القرآن	د. عبد الصبور شاهين
أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة	رسول جعفريان
قراءة لسور الطعن	عمرو الشاعر
القرآن واليهود	حسني يوسف الأطير
محمد (ص) في الكتب المقدسة	سامي عامري
محمد (ص) نبي الإسلام	د. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي
بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم	د. محمد توفيق صدقي
هل بشر الكتاب المقدس بمحمد (ص)؟	د. منقذ السقار
أمية محمد (ص)	خالد محمد عبده
الرسول والسيف	صلاح أبو السعود
دلائل النبوة	ابن تيمية
بشارة أحمد في الإنجيل	محمد الريس
لماذا اختفى إنجيل المسيح	حسني يوسف الأطير
من أين جئنا؟	إسرائيل فنوهل
أساطير اليهود	د. كارم محمود عزيز
تاريخ اليهود	إسماعيل حامد
حكماء الهند والصين وفارس	إسماعيل حامد